

كتاب

السَّيْفُ الصَّقِيلُ

فى

الرد على شبهات اليهود والمسيحيين حول الاسلام
وهو رد على الرسالة المسيحية المسماة بالبرهان الجليل
على صحة التوراة والإنجيل

تأليف

الشيخ العلامة /التميمى الدارى

تقديم وتحقيق وتعليق

نادى فرج درويش العطار

من كلية الشريعة جامعة الأزهر
و قسم الدراسات العليا فى
كلية الحقوق جامعة القاهرة

الناشر
مركز ابن العطار للتراث
بالقاهرة

phd 712006

STN (1)

كتاب

السَّيْفُ الصَّقِيلُ

فى

الرد على شبهات اليهود والمسيحيين حول الاسلام
وهو رد على الرسالة المسيحية المسماة بالبرهان الجليل
على صحة التوراة والإنجيل

تأليف

الشيخ العلامة /التميمي الدارى

تقديم وتحقيق وتعليق

نادى فرج درويش العطار

من كلية الشريعة جامعة الأزهر
وقسم الدراسات العليا فى
كلية الحقوق جامعة القاهرة

الناشر

مركز ابن العطار للتراث
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

أهدى المؤلف كتابه هذا للسلطان العثماني
عبد الحميد خان أمير المؤمنين وطبع
بمطبعة المحروسة مصر سنة ١٣١٣ هـ وعلى
هامشه كتاب تنوير الأذهان تأليف الشيخ محمد
زكي الدين سند . وحقوق الطبع والنشر محفوظة
لمركز ابن العطار للتراث بالقاهرة - طبعة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

رقم الإيداع ١٧١١٥ / ٢٠٠٤

فهرس وتنقسم كتب العهد القديم (التوراة)

اختصار

اسم السفر

القسم الأول: الخليفة والناموس

تك

التكوين

خر

الخروج

لا

اللاويين

عد

العدد

تث

التثنية

القسم الثاني: تاريخ العهد القديم

يش

يشوع

قض

قضاة

را

راعوث

صم ١

صموئيل الأول

صم ٢

صموئيل الثاني

امل ١

الملوك الأول

امل ٢

الملوك الثاني

أخ ١

أخبار الأيام الأول

أخ ٢

أخبار الأيام الثاني

القسم الثالث : أناشيد وأمثال وحكمة

أي

أيوب

مز

المزامير (الزبور)

الأمثال
الجامعة
نشيد الأنشاد

أم
جا
نش

القسم الرابع: أسفار الأنبياء

إشعيا
إرميا
مراثي إرميا
حزقيال
دانيال
هوشع
يوئيل
عاموس
عوبديا
يونا
ميخا
ناحوم
حبقوق
صفنيا
حجاي
زكريا
ملاخي

إش
إر
مرا
حز
دا
هو
يو
عا
عو
يون
مي
نا
حب
صف
حج
زك
مل

عدد أسفاره ٣٩

فهرس الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية

اختصار

اسم السفر

طوبيا	طو
يهوديت	يه
أستير (يوناني) يه	أس (يو)
الحكمة	حك
يشوع بن سيراخ	سى
باروك	با
رسالة إرمياء	إر (يو)
دانيال (يوناني)	دا (يو)
المكابين الأول	١ مك
المكابين الثانى	٢ مك

فهرس وتقسيم كتب العهد الجديد (الإنجيل)

اختصار

اسم السفر

القسم الأول : تاريخ البشارة وأعمال

الرسل	
متى	مت
مرقس	مر
لوقا	لو
يوحنا	يو
برنابا	بر

دي
اع

الذيداي
أعمال الرسل

القسم الثاني : الرسائل

رو	رومة
١ كور	كورنثوس الأولى
٢ كور	كورنثوس الثانية
غل	غلاطية
أف	أفسس
في	فيلبي
كو	كولوسي
١ تس	تسالونيكى الأولى
٢ تس	تسالونيكى الثانية
١ تم	تيموثاوس الأولى
٢ تم	تيموثاوس الثانية
تى	تيطس
فل	فيلمون
عب	عبرانيين
يع	يعقوب
١ بط	بطرس الأولى
٢ بط	بطرس الثانية
١ يو	يوحنا الأولى
٢ يو	يوحنا الثانية
٣ يو	يوحنا الثالثة
يهو	يهوذا

القسم الثالث : رؤيا يوحنا

رؤيا يوحنا

رؤ

عدد أسفاره ٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

ألف المسلمون من قديم الأيام كتبًا بينوا فيها للمسيحيين أن التوراة محرقة عمداً، وأن الأنجيل محرقة عمداً، وأن اليهود خدعهم وصدوهم عن دين الإسلام الذى هو الحق من ربهم ، وجعلوهم فى وجه المسلمين؛ ليتحارب المسلمون والمسيحيين ، ولا يصاب اليهودى بأذى، وأبعدوهم عن الله بالتثليث وصلب المسيح وفداء البشرية ، وشغلوهم بموضوعات دينية عن البحث العميق فى الدين الصحيح . ومن هذه الكتب الذائعة الصيت كتاب أدلة الوجدانية فى الرد على الملة النصرانية . وقد أهداه مؤلفه للملك الكامل الأيوبي ﷺ . وكتاب إظهار الحق الذى ألفه الشيخ رحمة الله الهندى لمقاومة المبشرين بالمسيحية فى الهند . وهذا الكتاب الذى سماه مؤلفه "السيف الصقيل" وأهداه إلى السلطان العثمانى عبد الحميد خان ﷺ .

وَألف المرسلون الأميركان فى "مصر" فى سنة ألف وتسعمائة ميلادية كتابًا اسمه "الهداية"^(١) للرد على إظهار الحق . والسيف الصقيل . وطبعوه فى أربعة أجزاء وبينوا فيه: أن القرآن مجرف، وأن الأحاديث النبوية من تأليف رواة مجهولين . وقالوا : إن محمدًا ليس

(١) طبع دار ابن العطار للتراث بالقاهرة تأليف نادى فرج درويش العطار

نبيًا من الله ، وقالوا : إن القرآن لا يدعو إلى محاسن الأخلاق ... إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يرتاب عاقل في كذبها .

لذلك . رأينا أن ننشر السيف الصقيل ؛ ليتبين منه للعالم غيرة علماء المسلمين على دينهم ، وما في كتبهم التي يقدسونها من الكذب على الله ورسله .

ورأينا أيضًا : أن نرد على مؤلفي الهداية ، ردا حسنا مؤيدا بالأدلة من التوراة والأنجيل على أن كتبهم التي يقدسونها مكتوبة بأيديهم وفيها من الأغلاط ما لا يحصى ولا يعدّ ، وعلى أن القرآن كتاب الله . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أى أن التوراة المحرفة التي في زمانه ليس فيها نصوص تدل على بطلانه . والتوراة الأولى غير المحرفة لا تدل على بطلانه . لأنه تنزيل من حكيم حميد . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِكُلِّ كِتَابٍ عَزِيزًا لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

ومما في الكتب الثلاثة

١- إظهار الحق . وهو كتاب من جزأين

٢- الهداية وهو كتاب مكون من أربعة أجزاء

٣- الرد على الهداية . وهو كتاب مكون من أربعة

أجزاء

١- من إظهار الحق :

جرت عادة المسلمين في مجادلة المسيحيين أنهم يبدأون بالتوراة؛ لإثبات تحريفها ، ثم يُثَبِّتُونَ بالأناجيل لنفس الغرض من التوراة. والتوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام خمسة أسفار هي : التكوين والخروج واللاويين " الأحبار " والعَدَد وتثية الاشتراع والأسفار الخمسة التي يقدسها السامريون ، تُعرف بالتوراة السامرية. والتي يقدسها العبرانيون تعرف بالتوراة العبرانية . والتي يقدسها المسيحيون تعرف بالتوراة اليونانية، ويقدسها بعض اليهود مع المسيحيين .

وأضاف العبرانيون أربعة وثلاثين سفرا إلى توراة موسى عليه السلام هي: يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والملوك الثاني وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني وعزرا ونَحْمَيا وأستير وأيوب والمزامير (زبور داود) والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد وإشعيا وإرميا ومراثي إرميا وحزقيال ودانيال وهُوشَع ويُوئِيل وعاموس وعُويديا ويونان ومِخَا وناحُوم وحبَّقُوق وصَفَنيا وحَجِّي وزكريا وملاخي .

وأضاف المسيحيون وبعض اليهود العبرانيين سبعة أسفار إلى التسعة والثلاثين سفرا هي : طوبيا "لقمان " ويهوديت والمكابيَّين الأول والمكابيَّين الثاني والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروك .

ومؤلف إظهار الحق أورد أمثلة على الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث نذكر منها:

يقول مؤلف إظهار الحق ما نصه:

" الباب الثاني في إثبات التحريف وهو قسمان: لفظي ومعنوي ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين في القسم الثاني لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود، وأن علماء بروتستنت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رمياً شديداً، فلا احتياج إلى إثباته. يبقى القسم الأول وقد أنكره علماء بروتستنت في الظاهر إنكاراً بليغاً لتغليط جهال المسلمين وأوردوا أدلة مموهة مزورة في رسائلهم ليوقعوا الناظرين في الشك، فهو محتاج إلى الإثبات. فأريد إثباته في كتابي هذا بعون خالق الأرض والسموات، وأقول: إن التحريف اللفظي بجميع أقسامه أعني بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت في الكتب المذكورة. وأورد هذه الأقسام الثلاثة على سبيل الترتيب في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول : في إثبات التحريف اللفظي بالتبديل :

اعلم أرشدك الله تعالى أن النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ " الأولى " النسخة العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود وجمهور بروتستنت " والثانية " النسخة اليونانية وهي التي كانت

معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية ، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية . وهي إلى هذا الزمان أيضاً معتبرة عند الكنيسة اليونانية ، وكذا عند كنائس المشرق وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق " والثالثة " النسخة السامرية وهي المعتبرة عند السامريين وهذه النسخة هي النسخة العبرانية لكنها تشتمل على خمسة كتب من العهد العتيق فقط أعني الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى ^{عليه السلام} لأن السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق وتزيد على النسخة العبرانية في الألفاظ والفقرات الكثيرة التي لا توجد فيها الآن وكثير من محققي علماء بروتستنت مثل كني كات وهيلزوهيوبي كينت وغيرهم يعتبرونها دون العبرانية ، ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية وجمهور علماء بروتستنت أيضاً يضطرون في بعض المواضع إليها ويقدمونها على العبرانية كما ستعرف إن شاء الله تعالى. وإذا علمت هذا فأقول:

اليونانية	السامرية	النسخة العبرانية	
٢٣٠	١٣٠	١٣٠	آدم ^{عليه السلام}
٢٠٥	١٠٥	١٠٥	شيث ^{عليه السلام}
١٩٠	٩٠	٩٠	أنوش
١٧٠	٧٠	٧٠	قينان
١٦٥	٦٥	٦٥	مهلائيل

بارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
حنوك	٦٥	٦٥	١٦٥
متوسالح	١٨٧	١٨٧	١٨٧
لامك	١٨٢	١٨٢	١٨٨
نوح عليه السلام	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠

الشاهد الأول :

إن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦ وعلى وفق اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون ٢٢٦٢ وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين ١٣٠٧ وفي تفسير هنري واسكات جدول كتب فيه في مقابلة اسم كل شخص غير نوح عليه السلام من سنى عمر هذا الشخص سنة تولد له فيها الولد ، وكتب في مقابلة اسم نوح عليه السلام من سنى عمره زمان الطوفان. والجدول المذكور هذا يبين أن فى النسخ المذكورة في بيان المدة المسطورة فرق كثير واختلاف فاحش؛ لا يمكن التطبيق بينها ولما كان نوح عليه السلام في زمن الطوفان ابن ستمائة سنة على وفق النسخ الثلاث وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية على وفق ١٦٥٦ ١٣٠٧ ٢٢٦٢ الأولى بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة وعلى وفق الثانية بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة ٧٣٢ ولأجل الاختلاف الفاحش ما أعتمد يوسفيس

انبهودي المؤرخ المشهور المعتبر عند المسيحيين على نسخة من
النسخ المذكورة ، واختار أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست
وخمسون سنة .

الشاهد الثاني :

أن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم ~~عليه السلام~~ على وفق العبرانية
مائتان واثنان وتسعون سنة ٢٩٢ وعلى وفق اليونانية ألف واثنان
وسبعون سنة ١٠٧٢ وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنان وأربعون
سنة ٩٤٢ وفي تفسير هنري واسكات أيضاً جدول مثل الجدول
المذكور لكن كتب في هذا الجدول في محاذاة اسم كل رجل غير سام
من سني عمره سنة تولد له فيها ولد وكتب في محاذاة اسم سام زمان
تولد له فيه ولد ، بعد الطوفان والجدول المذكور هذا:

الاسماء	النسخة العبرانية	السامرية	اليونانية
سام	٢	٢	٢
ارفخشذ	٣٥	١٣٥	١٣٥
قينان	*	*	١٣٠
شالح	٣٠	١٣٠	١٣٠
عابر	٣٤	١٣٤	١٣٤
فالغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
رعو	٣٢	١٣٢	١٣٢
سروغ	٣٠	١٣٠	١٣٠
ناحور	٢٩	٧٩	٧٩
تارح	٧٠	٧٠	٧٠

فهنا أيضاً اختلاف فاحش بين النسخ المذكورة لا يمكن التطبيق بينها ولما كانت ولادة إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنين وتسعين سنة ٢٩٢ على وفق النسخة العبرانية وعاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ٣٥٠ كما هو مصرح به في الآية الثامنة والعشرين من الباب التاسع من سفر التكوين فيلزم أن يكون إبراهيم عليه السلام حين مات نوح عليه السلام ابن ثمان وخمسين سنة. وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه ٢٩٢ ٩٤٢ ١٠٧٢ اليونانية والسامرية إذ ولادة

إبراهيم عليه السلام بعد موت نوح عليه السلام بسبع مائة واثنين وعشرين سنة على وفق النسخة الأولى وبخمسمائة واثنين وتسعين سنة على وفق النسخة الثانية تزيد في النسخة اليونانية بطن واحد بين أرفخشد وشالح وهو قنان، ولا يوجد هذا البطن في العبرانية والسامرية. واعتمد لوقا الإنجيلي على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح ، ولأجل الاختلاف الفاحش المذكور اختلف المسيحيون فيما بينهم ، فنبذ المؤرخون النسخ الثلاث في هذا الأمر وراء ظهورهم وقالوا إن الزمان المذكور ثلاثمائة واثنان وخمسون سنة ٣٥٢ وكذا ما اعتمد عليها يوسيفس اليهودي المؤرخ المشهور وقال إن هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة ٩٩٣ كما هو يقول في تفسير هنري واسكات. واكستائن الذي كان أعلم العلماء المسيحية في القرن الرابع من القرون المسيحية وكذا القدماء الآخرون على أن الصحيح النسخة اليونانية واختاره المفسر هارسلي في تفسيره ذيل تفسير الآية الحادية عشر من الباب الحادي عشر من سفر التكوين وهيلز. على أن الصحيح النسخة السامرية ويفهم ميلان. محققهم المشهور هورن إلى هذا في المجلد الأول من تفسير هنري واسكات: "إن اكستائن كان يقول إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد الدين المسيحي، ويعلم أن القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة في سنة مائة

وثلاثين من السنين المسيحية " انتهى كلام التفسير المذكور " [انتهى من إظهار الحق]

٢- ومما فى كتاب الهداية - تأليف المرسلون الأمريكان بمصر سنة ١٩٠٠م

إبراهيم والكواكب

سورة الأنعام ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ﴾ - أى على إبراهيم - ﴿ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

ولمفسريهم فى هذه الأقوال آراء شتى فمنهم من قال : إن إبراهيم قال هذا القول قبل البلوغ . أى فى حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله ﴿ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ وهذا يدل على نوع تحيُّر . وقيل : إن كلامه هذا كان بعد بلوغه . وأولوا عبارة القرآن بما يأتى : وهو أن إبراهيم أراد أن يعرفهم جهلهم وخطأهم فى تعظيم النجوم وعبادتها بأن أراهم النقص الداخلى عليها بسبب الغيبوبة والأفول . ثانيا : قالوا : إنه قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار . وإسقاط حرف الاستفهام كثير فى

كلام العرب. وثالثًا: إنه قال هذه على وجه الاحتجاج. كأنه قال لهم: لو كان إلها كما تزعمون لما غاب. وغير ذلك من الأوجه التي اعتذروا بها عن وقوع إبراهيم في عبادة الكواكب. والقول الحق الذي يغني عن كثرة التأويل: هو الوارد في التوراة من أن إبراهيم كان يعبد الله، وكان والده من شعبه تعالى: وقد تقدّم أن أبا إبراهيم كان من شعب الله المعترفين بوحدانيته المطيعين لأوامره فلا يتوقع أن إبراهيم المتربى في مخافة الله يقول عن الكواكب: إنها ربه، حتى وإن كانت غايته إقناعهم ببطلان معبودهم؛ فإنه توجد طرق كثيرة لدرك المقصود بغير هذه الطريقة. طريقة المواربة والمخاتلة. وحاشا لخليل الله من ذلك. وأنت ترى أنه لما رأى العلماء قبح هذا الأمر؛ أخذوا في تأويل عبارة القرآن بطرق شتى. فالأسلم والأغنى التعويل على كتاب الله، ونبذ ما سواه ظهريًا "أ. هـ

٣- من الرد على شبهة إبراهيم والكواكب:

يقول مؤلفو الهداية: إن أبا إبراهيم كان مؤمنًا بالله، ولم يكن يعبد الأصنام.

والرد عليهم: هو أن التلمود ومخطوطات البحر الميت وإنجيل برنابا. كل هؤلاء ذكروا أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام، وأن أبا إبراهيم كان يصنع الأصنام ويبيعها. وذكر يوسابيوس القيصري: أن أبا إبراهيم كان اسمه "آزر" Edher وقال دنيسدال في كتابه

المصادر الأصلية للقرآن The original source of the Quran : إن اليهود الشرقيين كانوا يقولون : إن اسم أباه آزر Zereh

وهذا هو نص قصة إبراهيم عليه السلام من إنجيل برنابا :

" فقال عندئذ يسوع : إنكم تكونون مجانيين إذا كنتم لا تعطون حواسكم لله لتشتروا أنفسكم حيث يستقر كنز المحبة • لأن المحبة كنز لا نظير له • لأن من يحب الله كان الله له • ومن كان الله له كان له كل شيء •

أجاب بطرس : قل لنا يا معلم كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة ؟ فأجاب يسوع : الحق أقول لكم: إن من لا يبغض أباه وأمه وحياته وأولاده وامراته لأجل محبة الله^(١) ؛ فمثل هذا ليس أهلا أن يحبه الله • ١٠ أجاب بطرس : يا معلم لقد كتب في ناموس الله في كتاب موسى : "أكرم أباك لتعيش طويلا على الأرض"^(٢) • ثم يقول أيضا: "ليكن ملعونا الابن الذي لا يطيع أباه وأمه"^(٣) ولذلك أمر الله بأن يُرجم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة وجوبا^(٤) بغضب الشعب • فكيف تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا ؟

أجاب يسوع : كل كلمة من كلماتي صادقة • لأنها ليست منى بل من الله الذي أرسلني^(٥) إلى بيت إسرائيل • لذلك أقول لكم : إن كل

(٤) تث ٢١ : ١٨ - ٢١

(١) لو ١٤ : ٢٦

(٥) يو ١٤ : ٢٤

(٢) خر ٢٠ : ١٢

(٣) تث ٢٧ : ١٦

ما عندكم قذ أنعم الله به عليكم . فأى الأمرين أعظم قيمة؟ العطية أم المعطى ؟ فمتى كان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك فى خدمة الله ؛ فانبذهم كأنهم أعداء . ألم يقل الله لإبراهيم : " اخرج من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن فى الأرض التى أعطيتها لك ولنسلك^(١) " ولماذا قال الله ذلك ؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبد آلهة كاذبة ؟ لذلك بلغ العداء بينهما حدا أراد معه الأب أن يحرق ابنه .

أجاب بطرس : إن كلماتك صادقة . وإنى أضرعُ إليك أن نقص علينا كيف سخر إبراهيم من أبيه ؟ أجاب يسوع : كان إبراهيم ابن سبع سنين لما ابتداء أن يطلب الله . فقال يوما لأبيه : يا أبتاه من صنع الإنسان ؟ أجاب الوالد الغبى : الإنسان . لأنى أنا صنعتك وأبى صنعتنى . فأجاب إبراهيم : يا أبى ليس الأمر كذلك . لأنى سمعت شيئا ينتحب ويقول : يا إلهى لماذا لم تعطنى أولادا ؟ أجاب أبوه :حقا يا بنى . الله يساعد الإنسان ليصنع إنسانا ولكنه لا يضع يده فيه . فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه ويقدم له حُمَلانا وغنما ليساعده إلهه . أجاب إبراهيم :كم إلهًا هنالك يا أبى ؟ أجاب الشيخ : لا عدد لهم يا بنى .

فحينئذ أجاب إبراهيم : ماذا أفعل يا أبى إذا خدمت إلهًا وأراد بى الآخر شرا لأنى لا أخدمه ؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاق ويقع الخصام بين الآلهة ولكن إذا قتل الإله الذى يريد بى

(١) تك ١٢ : ١

شرا ؛ إلهى فماذا أفعل ؟ من المؤكد أنه يقتلنى أنا أيضا ؟ فأجاب الشيخ ضاحكا : لا تخف يا بنى لأنه لا يخاصم إله إليها . كلا فإن فى الهيكل الكبير ألّوفا من الآلهة مع الإله الكبير بعل . وقد بلغت الآن سبعين سنة من العمر، ومع ذلك فإنى لم أر قط إلهها ضَرَبَ إليها آخر . ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلهها واحدا . بل يعبد واحد إلهها، وآخر آخر . أجاب إبراهيم : فإذا يوجد وفاق بينهم ؟ أجاب أبوه: نعم يوجد . فقال حينئذ إبراهيم :يا أبى أى شئ تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ : يا غبى إنى كل يوم أصنع إلهها أبيعه لآخرين لأشترى به خبزا ، وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة ؟ وكان فى تلك الدقيقة يصنع تمثالا . فقال : هذا من خشب النخل وذاك من الزيتون وذلك التمثال الصغير من العاج انظر ما أجمله . ألا يظهر كأنه حى . حقا لا يُعوزُه إلا النفس . أجاب إبراهيم: إذا يا أبى ليس للآلهة نفس فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما لم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذا الحياة؟ فمن المؤكد يا أبى أن هؤلاء ليسوا هم الله . فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلا: لو كنت بالغا من العمر ما تتمكن معه من الإدراك ؛ لشجبتُ رأسك بهذه الفأس . ولكن اصمت إذ ليس لك إدراك . أجاب إبراهيم: يا أبى إن كانت الآلهة تساعد على صنع الإنسان فكيف يتأتى للإنسان أن يصنع آلهة؟ وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى . ولكن قل لى يا أبت: كيف وأنت قد صنعت آلهة هذا عددها لم لم

تساعدك الآلهة لتصنع أولادا كثيرين فتصير أقوى رجل فى العالم؟
فحقن الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا.

فأكمل الابن قائلا : يا أبت هل وجد العالم حيننا من الدهر بدون
بشر؟ أجاب الشيخ نعم . ولماذا ؟ قال إبراهيم : لأننى أحب أن أعرف
من صنع الإله الأول فقال الشيخ :انصرف الآن من بيتى ودعنى أصنع
هذا الإله سريعا ولا تكلمنى كلاما فمتى كنت جائعا فإنك تشتهى خبزا
لا كلاما . فقال إبراهيم :إنه لإله عظيم. فإنك تقطّعه كما تريد وهو لا
يدافع عن نفسه . فغضب الشيخ وقال: إن العالم بأسره يقول إنه إله
وأنت أيها الغلام الغبى تقول كلا ؟ فو آلهتى لو كنت رجلا لقتلتك ولما
قال هذا ضرب إبراهيم ورفسه وطرده من البيت .

فضحك التلاميذ من حق الشيخ، ووقفوا منذهلين من فطنة
إبراهيم . ولكن يسوع وبّخهم قائلا : لقد نسيتم كلام النبى القائل :
"الضحك العاجل نذير البكاء الآجل"^(١) وأيضا: " لا تذهب إلى حيث
الضحك بل اجلس حيث ينوحون لأن هذه الحياة تنقضى فى الشقاء" ثم
قال يسوع : ألا تعلمون أن الله فى زمن موسى مسح ناسا كثيرين فى
مصر حيوانات مخوفة لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين احذروا من
أن تضحكوا من أحد مّا ؛ لأنكم بكاء تبكون بسببه. أجاب التلاميذ: إننا
ضحكنا من حماقة الشيخ.

فأجاب حينئذ يسوع : الحق أقول لكم : كل نظير يحب نظيره
فيجد في ذلك مسرة • ولذلك لو لم تكونوا أغبياء لما ضحكتم من
الغباوة • أجاوبوا : ليرحمنا الله قال يسوع : ليكون كذلك

حينئذ قال فيلبس : يا معلم كيف حدث أن أبا إبراهيم أحب أن
يحرق ابنه؟ أجاب يسوع : لما بلغ بلغ إبراهيم اثنتى عشرة سنة من
العمر قال له أبوه يوما مّا : غدا عيد كل الآلهة • فلذلك سنذهب إلى
الهيكل الكبير ونحمل هدية لإلهى بعل العظيم • وأنت تنتخب لنفسك
إلهًا • لأنك بلغت سنا يحق لك معه اتخاذ إله • فأجاب إبراهيم بمكر :
سمعا وطاعة يا أبى فبكرا فى الصباح إلى الهيكل قبل كل أحد • ولكن
إبراهيم كان يحمل تحت صدرته فأسا مستورة • فلما دخلا الهيكل
وازداد الجمع ؛ خبأ إبراهيم نفسه وراء صنم فى ناحية مظلمة فى
الهيكل • فلما انصرف أبوه ؛ ظن أن إبراهيم سبقه إلى البيت ولذلك لم
يمكث ليفتش عنه .

ولما انصرف كل أحد من الهيكل أقفل الكهنة الهيكل
وانصرفوا • فأخذ إبراهيم إذ ذاك الفأس وقطع قوائم جميع الأصنام إلا
الإله الكبير بعلا فإنه وضع الفأس عند قوائمه بين جذاذ التماثيل التى
تساقطت قطعاً لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء ولما كان
إبراهيم خارجاً من الهيكل رآه جماعة من الناس فظنوا أنه دخل ليسرق
شيئاً من الهيكل فأمسكوه .

ولما بلغوا به الهيكل ورأوا آلهتهم محطمة قطعاً صرخوا منتحبين : أسرعوا يا قوم ولنقتل الذى قتل آلهتنا • فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة وسألوا إبراهيم عن السبب الذى لأجله حطم آلهتهم • أجاب إبراهيم: إنكم لأغبياء • أيقتل الإنسانُ الله • إن الذى قتلها إنما هو الإله الكبير • ألا ترون الفأس التى له عند قدميه إنه لا يبتغى له أندادا.

فوصل حينئذ أبو إبراهيم الذى ذكر أحاديث إبراهيم فى آلهتهم • وعرف الفأس التى حطم بها إبراهيم الأصنام • فصرخ : إنما قتل آلهتنا ابنى الخائن هذا ؛ لأن هذه الفأس فأسى • وقصّ عليهم كل ما جرى بينه وبين ابنه • فجمع القوم مقداراً كبيراً من الحطب • وربطوا يدى إبراهيم ورجليه • ووضعوه على الحطب ووضعوا ناراً تحته • فإذا الله قد أمر النار بواسطة ملاكه جبريل أن لا تحرق عبده إبراهيم • فاضطربت النار باحتدام وحرقت نحو ألفى رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت • أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح • إذ حمله ملاك اله إلى مقربة من بيت أبيه دون أن يرى من حمله • وهكذا نجا إبراهيم من الموت •

حينئذ قال فيلبس : ما أعظم هى رحمة الله للذين يحبونه • قل لنا يا معلم كيف وصل إلى معرفة الله ؟ أجاب يسوع : لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه خاف أن يدخل البيت فانتقل إلى بعد عن البيت ، وجلس تحت شجرة نخل حيث لبث منفرداً • وقال: لا بد من وجود إله ذى

حياة وقوة أكثر من الإنسان لأنه يصنع الإنسان • والإنسان بدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان.

حينئذ التفت حوله وأجال نظره فى النجوم والقمر والشمس فظن أنها هى الله ولكن بعد التبصر فى تغيراتها وحركاتها قال : يجب أن لا تطرأ على الله الحركة ولا تحجبه الغيوم وإلا فنى الناس • وبينما هو متحير سمع اسمه يُنادى : يا إبراهيم • فلما التفت ولم ير أحداً فى جهة قال : إني قد سمعت : يا إبراهيم • ثم سمع كذلك اسمه يُنادى مرتين آخرين : يا إبراهيم • فأجاب : من يناديني ؟ حينئذ سمع قائلاً يقول : إنه أنا ملاك الله جبريل • فارتاع إبراهيم : ولكن الملاك سَكَنَ روعه قائلاً : لا تخف يا إبراهيم لأنك خليلُ الله • فإنك لما حطمت آلهة الناس تحطيمًا ؛ اصطفاك إله الملائكة والأنبياء حتى أنك كُتبت فى سفر الحياة^(١).

حينئذ قال إبراهيم : ماذا يجب على أن أفعل لأعبد إله الملائكة والأنبياء الأطهار؟ فأجاب الملاك : اذهب إلى ذلك الينبوع واغتسل لأن الله يريد أن يكلمك • أجب إبراهيم : وكيف ينبغي أن أغتسل ؟ فتبدى له حينئذ الملاك يافعا جميلا واغتسل من الينبوع قائلاً : افعل كذلك بنفسك يا إبراهيم فلما اغتسل إبراهيم قال الملاك : ارتق ذلك الجبل لأن الله يريد أن يكلمك هناك • فارتقى إبراهيم الجبل كما قال له الملاك.

(١) فى ٤ : ٣

ولما جثا على ركبتيه قال لنفسه : متى يا ترى يكلمنى إله الملائكة؟ فسمع صوتا لطيفا يناديه : يا إبراهيم • فأجابه إبراهيم : من ينادينى ؟ فأجاب الصوت : أنا إلهك يا إبراهيم • أما إبراهيم فارتاع وعفر بوجهه الأرض قائلا : "كيف يُصغى عبدك إليك وهو تراب ورماد" (١) "حينئذ قال الله : "لا تخف بل انهض لأنى قد اصطفيتك عبدا لى وإنى أريد أن أباركك وأجعلك شعبا عظيما • فاخرج إذا من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن فى الأرض التى أعطيكها أنت ونسلك" • فأجاب إبراهيم : إنى لفاعل كل ذلك يا رب ولكن احرسنى لكيلا يضرنى إله آخر • فتكلم الله قائلا : "أنا الله أحد • ولا إله غيرى • أضرب وأشفى أميت وأحيى • أنزل إلى الجحيم وأخرج منه • ولا يقدر أحد أن ينقذ نفسه من يدي" (٢)

ثم أعطاه الله عهد الختان . وهكذا عرف الله أبونا إبراهيم ولما قال يسوع هذا رفع يديه قائلا : الكرامة والمجد لك يا الله ليكن كذلك " [برنابا ٢٦ - ٢٩]

الأحكام الفقهية

فى التوراة

وقد اهتم علماء علم مقارنة الأديان اهتماما عظيما بإظهار التحريف القصدى المتعمد فى كتاب التوراة . خاصة أسفار موسى

(١) تك ١٨ : ٢٧

(٢) تث ٣٢ : ٣٩

الخمسة ، ولم يهتموا كثيرا بإظهار الأحكام الفقهية الشرعية حتى نسي الناس أن التوراة كتاب فقه .

لذلك ألفت كتابنا الموسوم بالأحكام الشرعية فى التوراة - النص والتفسير؛ لأظهر للناس فى جميع أنحاء العالم أن التوراة كتاب فقه . والفقه فيها فيه إصر وأغلال . وأن الله أنزل القرآن ليرفع الإصر والأغلال . ولذلك يجب عليهم أن يشكروا الله على نعمة القرآن لأنه أنزله لمصلحتهم . وبينت فى هذا الكتاب ما فى التوراة عن محمد ﷺ . وأذكر ههنا نصا من كتابنا الأحكام الفقهية فى التوراة يشير إلى الإصر والتخفيف ، وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا .

النص :

يقول الله تعالى فى محكم كتابه الكريم :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ وَالَّذِينَ يَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٧﴾

والدين الذى شرعه الله لنوح عليه السلام لجميع المؤمنين الناجين معه
من الغرق ؛ هو أن يستسلم المرء لإرادة الله ويقوم سلوكه على
تشريعات الله . وقد شرع الله للمؤمنين الناجين وألزمهم بما شرعه لهم.
ومما جاء فى كتاب التوراة عن هذه الشريعة :

"وبارك الله نوحا وبنيه و قال لهم أثمروا و اكثروا و املاوا
الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور
السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل اسماك البحر قد دفعت إلى
أيديكم. كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفعت إليكم
الجميع غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط
من يد كل حيوان أطلبه و من يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد
الإنسان أخيه سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لان الله على
صورته عمل الإنسان فأثمروا أنتم وأكثروا وتوالدوا في الأرض و
تكاثروا فيها" [تك ٩ : ١-٧]

فقد أباح فيها كل المطعومات ولم يستثنى من المطعومات شيئا.
لا الميتة ولا لحم الخنزير ولا الدم. وانتشرت هذه الشريعة فى كل
مكان حل فيه إنسان من المؤمنين الناجين وعلمها أولاده . وهكذا إلى

أن أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام وحلل فيها وحرم وجعلها شريعة لقومه وللأمم إلى أن يأتي نبي أمي من بنى إسماعيل عليه السلام .

والتوراة لأنها تؤدب الناس إلى مجئ هذا النبي الأمي، وتهيئ عقولهم لتقبل شريعته ، ولأن هذا النبي سيكون نبيا لجميع الأمم ؛ جعلها الله شريعة عامة ليسهل على الأمم الإيمان بمحمد ﷺ وكان بنو إسرائيل شهداء على الناس بمجئ محمد ﷺ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

وغزا أنبياء بنى إسرائيل بلاد الكفر وعلموهم دين الله . ومن أحكامه: الإيمان بمحمد إذا ما ظهر . فإن فى التوراة : " يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك . مثلى له تسمعون " [تث ١٨]

وقال داود عليه السلام عن محمد ﷺ : " ويملك من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقاصى الأرض " وقال : إن الله يصلى عليه دائما " ويُصَلَّى لأجله دائما . اليوم كله يباركه " [مز ٧٢]

ومن ذلك يُعلم أن محمدا ﷺ كان الناس فى جميع الأمم يسمعون عن مجيئه. ولذلك سارعوا فى الدخول فى الإسلام وسهلوا على العرب فتح البلاد ، وحسن إسلامهم .

وإذا ثبت أن التوراة من أحكامها حكم الإيمان بنبي يظهر من بعد موسى ؛ يثبت أن شريعة التوراة شريعة مؤقتة . غير مؤبدة... إلخ"

وقد بين المؤلف فى هذا الكتاب النفيس أن دين الإسلام هو الدين الذى اصطفاه الله للعالم أجمع وأن التوراة محرفة وكذلك الإنجيل وأثبت صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ ودفع مطاعن المبشرين بالمسيحية عن الإسلام . فجزى الله المؤلف خيرا الجزاء ، وجعل هذا الكتاب فى ميزان حسناته ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

نادى فرج درويش العطار

١٥ يوليو ٢٠٠٤م

كلية الشريعة / جامعة الأزهر

وقسم الدراسات العليا فى

كلية الحقوق / جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمداً لمن أنزل على عبده الفرقان، وخصه بالحفظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان. والصلاة والسلام على مَنْ خُصَّ بنسخ جميع الشرائع والأحكام، سيدنا محمد المبعوث إلى كافة الأنام المنعوت. في التوراة والإنجيل، المتحققة بظهور دعوة أبيه إبراهيم الخيل. صلى الله عليه وعلى آله ذوى المجد والشان، وأصحابه المؤيدين بأقوى الحجة والبرهان.

أما بعد

فيقول راجى العفو والفتوح من مولاه الكريم البارى، بكر بن السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد موسى التميمى الدارى: إن بتوفيق الله قد وقفت على رسالة لبعض أنكباء المسيحيين، من فرقة بورتستنت فى الرد على أئمة المسلمين فى مسألتى النسخ والتحريف عدد صحائفها ثمانية عشر. صحيفة بالقطع الثمن. مطبوعة بحروف

مصرية سنة ألف وثمانمائة وثلاث وثمانين ميلادية. بمطبعة الإنكليز
فى مدينة أورشليم- أى القدس الشريف- التابعة إدارتها إلى الدولة
العثمانية الإسلامية. سماها " البرهان الجليل على صحة ^(١) التوراة
والإنجيل "

زعم فيها: أنه أقام الحجة القاطعة على المسلمين فى مسألتى
النسخ والتحريف، وأنه استنبط من الآيات القرآنية صحة التوراة
والإنجيل وأن النسختين الموجودتين فى أيديهم؛ الآن هما عين الموجود
نكرهما فى القرآن. وقد أوجب فيها على أهل الإسلام الاهتمام
بشأنهما، والقيام بما فيهما من الأحكام؛ لينالوا بذلك السعادة الأبدية
والحياة السرمدية .

مع ما فى آخرها من الطعن والتكذيب الصريح والاستخفاف
بالحضرة النبوية.

(١) يعرف المسلمون: أن التوراة التى بيد اليهود؛ يقدسها النصارى كتقديسها لها. ولذلك
أول نقد يتوجه به المسلم لليهودى وللنصرانى هو إثبات المسلم لأى واحد منهما أن
التوراة محرفة باللفظ. أى أن اليهود كتبوها بأيديهم، بعدما كانت مكتوبة بيد الله عز
وجل. وبعدما يثبت المسلم تحريف التوراة، يخص النصرانى بتحريف آخر. وهو
تحريف الإنجيل.

واليهودى والنصرانى يقوم كلا منهما بإظهار تحريف فى القرآن. وما ذلك منهما إلا خوفا
من إسلام اليهود والنصارى. وعدم انتفاعهم بأموالهم. وهم يعلمون أن القرآن خالى من
التحريف. فقد قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

وقد نشرها مبشروهم فى الأقطار، من القرى والأمصار، مع أن
نشر مثل هذه الرسالة وطبعها فى بلاد الإسلام؛ اعتداء زائد خارج عن
رسوم النظام. لكن الباطل كسيح بل قبيح، وأن غطى وجهه بكل مليح.
ولما كان ديننا القويم وصراطنا المستقيم. يطالبنا بردّ الشكوك
والشبه ويرخص لنا بمكافأة المعتدين بمثل ما اعتدوا به ؛ أردت أن أرد
على هذا المفترى، وأبين له إفكهُ وخطأه الجلى . وإنى وإن كنت ليس
لى أهلية لهذا الشأن لحدوث سنّى وقرب العنفوان. ولشغل البال
بحوادث الأحوال ، لكن الاتكال على معونة الواحد المنان، يرفع عن
العبد قيودات الأزمان؛ فلذلك شرعتُ فى المطلوب، راجيا تمام
المرغوب. مراعيًا صحة النقل لما يلزم عن النقّات الفخام، مستمداً
التوفيق من الملك العلام. وسميته " السيف الصقيل فى الرد على رسالة
البرهان الجليل " ليقطع لسانها، ويمزق حجتها وبرهانها. ثم المأمول
ممن عثر فى هذا الكتاب، من ذوى الألباب، على شيء. زلّ به الفهم
القاصر، والعزم الفاتر. أن ينظر إليه بنظر الإصلاح، ويستتره بذيل
السماح. فإن الاعمال بالنيات والإنسان محل الهفوات. والفقير معترف
بقلة البضاعة، وعدم ممارسة هذه الصناعة. لكن عناية الملك اللطيف،
إذا لاحظت قد يسبق الضعيف كما قيل :

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالقادر

فالله أسأل، وبنييه أتوسل. أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم،
موصولاً للفوز بجنتي النعيم. وأن يرشدني إلى الحق والصواب، ويسهل
لي جميع الصعاب. إنه أكرم مأمول، وأعظم مسئول .
وما أنا شارح في المقصود، بعون عناية الملك المعبود. فأقول :

التحريف فى التوراة والزبور والأنجيل الأربعة

قال القسيس النبيل، صاحب البرهان الجليل، بعد البسملة والحمدلة والبعدية هكذا: " فلما كانت التوراة والإنجيل والزبور هى الكتب المعتبرة، وبالعامل بها تنال سعادة الدنيا والآخرة، ورأينا بعض أحبائنا المسلمين غير مهتمين بقراءتها؛ فسألناهم عن سبب ذلك فقالوا: إن علمائنا قالوا بحرمة مطالعتها لاشتغالها على التغيير والتبديل والزيادة والنقصان؛ أردنا أن نذكر بعض براهين تبطل ذلك مستنبطة من القرآن "

أقول^(١) وبالله التوفيق، وبه الهداية إلى أقوم طريق : إنما قال علماء المسلمين بحرمة مطالعة هذه الكتب الثلاث التى ذكرها حضرة القسيس وغيرها من بقية كتب العهد العتيق والجديد؛ لما اشتملت عليه من المفاسد والمناقضات والاختلافات والغلط الكثير. وما ذلك إلا بسبب

(١) التحريف ينقسم إلى قسمين ١-تحريف لفظى ٢- وتحريف معنوى والمؤلف المسيحى ينكر التحريف اللفظى. والمؤلف المسلم يثبت بأدلة من التوراة والزبور والأنجيل.

والمؤلف المسيحى يذكر آيات من القرآن الكريم تنفى التحريف اللفظى فى نظره- والمؤلف المسلم يفسر آيات القرآن تفسيراً يثبت التحريف اللفظى. فعندنا قضيتان: القضية الأولى: إثبات التحريف اللفظى فى التوراة والزبور والأنجيل والقضية الثانية: تفسير آيات القرآن الكريم التى تتكلم على التحريف اللفظى تفسيراً يدل على أن القرآن الكريم قد شهد بتحريف التوراة والزبور والأنجيل لفظياً وتحريفاً معنوياً.

وقوع التغيير والتبديل بالزيادة والنقصان، كما ستقف عليه فى محله إن شاء الله تعالى بالتفصيل الشافى، والبيان الكافى. فمن قال بحرمة مطالعة هذه الكتب؛ فهو مضطر ومعدور لأن الكلام الإلهى مصان عن المناقضات والاختلافات والغلط. ونسبة ذلك إلى الله ﷻ كفر. وكذا يسان عن تفسيق الأنبياء الكرام وتتقيصهم، ونسبة الكذب والزنا والكفر إليهم؛ لأن الله تعالى لما اصطفاهم لهذه الرتبة الشريفة؛ حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمنهى عنه- نهى تحريم أو كراهة- وإنك لتعلم أيها العاقل اللبيب أن تلبسهم بذلك؛ يوجب تنفير أقوامهم المرسلين إليهم فلا ينقادون لهم؛ فتبطل فائدة بعثتهم، ويفوت الاستصلاح والغرض إلا من رسالتهم، وهو محال .

وإننا نرى هذه الكتب التى عناها حضرة القسيس تصرح وتُنادى بتفسيقهم وتتقيصهم. وما نرى من نبى ذكر فيها من نوح إلى المسيح إلا ويكون فاسقاً أو كافراً أو زانياً أو من أولاد الزنا- أعاذنا الله من أمثال هذه الإعتقادات الفاسدة فى حق الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام- وإنى كنت أرى أن أنقل ما نسبوه فى كتبهم المقدسة إلى الأنبياء الكرام من الذنوب والكفريات المفتريات ولو على سبيل الإلزام؛ لكنى لما رأيت علماء بروتستنت فى هذا الزمن الأخير؛ أطالوا ألسنتهم فى كتبهم. كمؤلف رسالة الكندى، وصاحب ميزان الحق فى الدين المبين والصراط المستقيم. سيما فى حق سيد المرسلين. إطالة فاحشة لتغليب العوام الذين لا وقوف لهم على كتبهم وإفكهم؛ أحببت أن أنقل

بعضها على سبيل الإلزام وأتبرأ من اعتقادها بالقلب واللسان وأستغفر الله العظيم الشأن. وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر ونقل الكفر ليس بكفر. فأقول :

من ذلك: ما جاء فى العدد الثامن عشر من الأصحاح التاسع من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٧٠ فى حق نوح عليه السلام هكذا: "فكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لآخوته" إلى هنا أهـ

ففى هذا الكلام تصريح بأن نوحا شرب الخمر وسكر وصار مكشوف العورة. وفيه شئ آخر: وهو أن المذنب بالنظر إلى عورته؛ حام أبو كنعان والذى عوقب باللعنة ابنه كنعان، مع أن أخذ الابن بذنب الأب، خلاف العدل .

قال النبى حزقيال أحد أنبيائهم عليه السلام فى العدد العشرين من الأصحاح الثامن عشر من كتابه هكذا: "النفس الى تخطئ فى تموت

الابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه^(١) "

(١) نص كلام حزقيال - الأصحاح الثامن عشر:

"وكان إليّ كلام الرب قائلاً ما لكم انتم تضربون هذا المثل على ارض إسرائيل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرسست حي أنا يقول السيد الرب لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل ها كل النفوس هي لي نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي النفس التي تخطئ هي تموت والإنسان الذي كان باراً و فعل حقاً و عدلاً لم يأكل على الجبال ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ولم ينجس امرأة قريبه ولم يقرب امرأة طامثاً و لم يظلم إنساناً بل رد للمديون رهنه و لم يغتصب اغتصاباً بل بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوباً و لم يعط بالربا ولم يأخذ مراهجة وكف يده عن الجور وأجرى العدل و الحق بين الإنسان والإنسان وسلك في فرائضي وحفظ أحكامي ليعمل بالحق فهو بار حياة يحيا يقول السيد الرب فان ولد ابناً معتقفا سفاك دم ففعل شيئاً من هذه ولم يفعل كل تلك بل أكل على الجبال و نجس امرأة قريبه و ظلم الفقير و المسكين و اغتصب اغتصاباً ولم يرد الرهن و قد رفع عينيه إلى الأصنام و فعل الرجس وأعطى بالربا و اخذ المراهجة افحيا لا يحيا قد عمل كل هذه الرجاسات فموتا يموت دمه يكون على نفسه وان ولد ابناً رأى جميع خطايا أبيه التي فعلها فراها و لم يفعل مثلها لم يأكل على الجبال و لم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل ولا نجس امرأة قريبه و لا ظلم إنساناً ولا ارتهن رهناً ولا اغتصب اغتصاباً بل بذل خبزه للجوعان و كسا العريان ثوباً ورفع يده عن الفقير ولم يأخذ ربا و لا مراهجة بل أجرى إحكامي و سلك في فرائضي فانه لا يموت بإثم أبيه حياة يحيا أما أبوه فلأنه ظلم ظلماً و اغتصب أخاه اغتصاباً وعمل غير الصالح بين شعبه فهوذا يموت بإثمه وانتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياة يحيا النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون و شر الشرير عليه

على أنه لو فرضنا أن الابن يحمل إثم الأب وكان ذلك من العدل فما وجه تخصيص كنعان من بين أولاد حام الناظر إلى عورة أبيه، مع أن أولاده كانوا أربعة كوش ومصر ايم وفوط وكنعان كما هو مصرح به على هذا الترتيب في العدد السادس من الأصحاح العاشر من سفر التكوين؟ على أنه ما سُمع أن كنعان ولا بنوه كانوا عبيداً. ولا في وقت من الأوقات بل كانوا سادة وملوكا وجبابرة فلسطين وغيرها كما يعلم ذلك من سفر التكوين.

يكون فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياہ التي فعلها و حفظ كل فرائضي و فعل حقا و عدلا فحياة يحيا لا يموت كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره الذي عمل يحيا هل مسرة اسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن طريقه فيحيا وإذا رجع البار عن بره و عمل إثما و فعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير افيحيا كل بره الذي عمله لا يذكر في خيانتہ التي خانها وفي خطيته التي اخطأ بها يموت وانتم تقولون ليست طريق الرب مستوية فاسمعوا الآن يا بيت إسرائيل اطريقي هي غير مستوية أليست طرقكم غير مستوية إذا رجع البار عن بره وعمل إثما ومات فيه فيبائمه الذي عمله يموت وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل وعمل حقا وعدلا فهو يحيي نفسه رأى فرجع عن كل معاصيه التي عملها فحياة يحيا لا يموت وبيت إسرائيل يقول ليست طريق الرب مستوية اطريقي غير مستقيمة يا بيت إسرائيل أليست طرقكم غير مستقيمة من اجل ذلك اقضي عليكم يا بيت إسرائيل كل واحد كطرقه يقول السيد الرب توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلكة اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا وروحا جديدة فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل لأنني لا اسر بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا"

وجاء في العدد العاشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين في حق إبراهيم عليه السلام هكذا: "وحدث جوع في الأرض. فأنحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك. لان الجوع في الارض كان شديدا. وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراي امرأته اني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر. فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك. قولي انك أختي. ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك فحدث لما دخل ابرام الى مصر ان المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا. ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة الى بيت فرعون. فصنع الى ابرام خيرا بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام. فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني انها امرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي. والآن هوذا امرأتك. خذها واذهب" أ هـ

فظهر من هذه الحكاية: أنه لو لم يقل عن زوجته إنها أخته؛ ما كان أخذها فرعون، وإن الكذب بقوله هي أختي ما كان لمجرد الخوف بل كان لرجاء حصول المنفعة والخير أيضاً، بل رجاء حصول الخير والمنفعة كان أقوى. ولذلك قدمه في كلامه. على أن خوفه من القتل مجرد وهم. سيما إذا كان راضيا بتركها فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً، وكيف يجوز العقل -أيها العاقل- صدور مثل هذا عن إبراهيم

عليه السلام وكيف يرضى بترك حريمه وتسليمها للغير، ولم يدافع دونها. حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك، بل لا يرضى بمثله من له أدنى غيرة، فكيف إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء وصفوة الأمناء .

ومثل هذا: ما جاء في حق ابنه إسحق عليه السلام من أنه لما حدث في الأرض جوع؛ ارتحل إلى أرض فلسطين وسكن في "جرار" فسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته فقال عنها إنها اخته لئلا يقتلوه من أجل حسنها. كما هو مصرح به في العدد السابق من الأصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين .

قال القسيس وليم اسمث في الصفحة ١٦٩ من كتابه المسمى طريق الأولياء بعد أن نقل هذه الحكاية هكذا: "يا أسفى يا أسفى أنه لا يوجد كمال في أحد من بنى آدم غير الواحد العديم النظير. والعجب أن شبكة الشيطان التي وقع فيها إبراهيم وقع فيها إسحق وقال عن زوجته إنها أخته. فيا أسفى أن أمثال هؤلاء المقربين عند الله محتاجون إلى وعظ " انتهى كلام القسيس المذكور بلفظه. أقول: ولما تأسف هذا القسيس تأسفاً شديداً على عدم وجود كمال في أحد من الناس غير المسيح الواحد العديم النظير، وعلى أن هؤلاء المقربين محتاجون إلى واعظ يعظهم؛ فلا نطيل الكلام فيه لكنى أتأسف على عدم وجود هذا القسيس في تلك الأيام حتى يكون واعظاً لهؤلاء المقربين والأنبياء الصالحين. ربنا لا تجعلنا من القوم الضالين، ولا من العقول مسلوبين.

ومن طالغ الأصحاب السابع والعشرين من سفر التكوين وجد فيه نسبة الكذب إلى سيدنا يعقوب عليه السلام ثلاث مرات وأنه خادع أباه -حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك- أما الخداع الذى نسب إليه فى الأصحاب المذكور: فهو أن أباه إسحاق عليه السلام لما شاخ وكبر طلب من ولده عيسو طعاما لكى يدعو له بالبركة التى يكون مستحقا بها وأهلاً لمنصب النبوة. فلما سمع بذلك يعقوب عليه السلام ذهب وجاء إلى والده بالطعام المطلوب وقال له: ها أنا ولدك عيسو قد فعلت لك الطعام كما أمرتني. قم يا والدى وكل؛ لكى تباركنى نفسك. فلما أكل إسحاق عليه السلام من ذلك الطعام دعا لولده يعقوب عليه السلام بدعاء كثير وباركه لكن بنيته أنه عيسو، لا أنه يعقوب. ومع ذلك فقد صار يعقوب عليه السلام بسبب ذلك الدعاء مستحقاً لمنصب النبوة. ولذلك حصلت له، بخلاف عيسو. فكما أثر ذلك الخداع عند إسحاق عليه السلام أثر عند الله تعالى أيضاً فإن إسحاق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقاده داعياً إلى ولده عيسو لا لولده يعقوب عليه السلام لأن يعقوب جاءه بصورة أخيه عيسو وكما لم يميز إسحاق عليه السلام بين الأخوين فى حال الدعاء؛ فكذلك لم يميز الله ﷻ بينهما عند إجابة الدعاء -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- والعجب أن ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال على أصول كتبهم المقدسة فلو كان حال ديانة أبى الأنبياء الإسرائيلية هكذا أو حال علم الله هكذا فللمنكر أن يقول يجوز أن يكون مبنى معاملات سائر الأنبياء الإسرائيلية مع الله تعالى على الخداع والمكر كأبيهم الأعلى -والعياذ

بالله تعالى من هذه الأمور الواهية التي يكذبها البرهان وتقشع من
نكرها جلود أهل الإيمان-

ولقد جاء في العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع عشر من سفر
التكوين في حق لوط عليه السلام هكذا: "وصعد لوط من صوغر وسكن في
الجبل وابنتاه معه. لانه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة
هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض
رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع
معه. فنحیی من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة. ودخلت
البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث
في الغد ان الكبرى قالت للصغرى اني قد اضطجعت البارحة مع أبى.
فهلّم نسقيه خمرًا الليلة أيضا وقامت الصغرى واضطجعت معه. ولم
يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر
ابنا ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضا
ولدت ابنا ودعت اسمه عمان. وهو أبو العمانيين إلى اليوم " أهـ

أقول: لو فرضنا صدق هذا الحكاية المحال وقوعها، وأنها
صادرة عن قلم موسى عليه السلام فما الحامل له على نكرها؟ وما الغرض
والفائدة من بثها مع أنه لم يُلحقها بوعيد عذاب ولا شديد عقاب؟ حاشا
جنابه الشريف أن يتعرض لهتك أعراض الأنبياء المنزهة أعراضهم
عن عروض مثل هذه الأعراض. وما هي إلا دسيسة دسها من لا
يخشى الله تعالى في الكتب السماوية. وهذا الإنجيل المتداول يشهد بأن

لوطاً ^{الطاهر} بارّ قديس. لم يعق الوهن في قديسيته وبرارته بعد نسبة هذه الحركة الشنيعة له. ففي العدد السابع من الأصحاح الثاني من رسالة القديس بطرس الثانية هكذا:

"وأنقذ لوطاً البارّ من سيرة الأرياء في الدعارة إذ كان البارّ بالنظر والسمع وهو الساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة " أ هـ

فهذا بطرس الحوارى قد أطلق عليه لفظ البار ومدحه على شدة طاعته لله تعالى، وأنا أشهد أيضاً أنه كان باراً، برياً مما نسبوه إليه على أنا ما سمعنا أن السكر يوصل إلى هذه الحركة الشنيعة. فإن السكران لا يخلو إما أن يكون سكره متوسطاً أو في أعلى طبقة. فإن كان متوسطاً يبقى له تمييز فيميز بناته عن الأجنيبات، وإن كان سكره في أعلى طبقة يسقط حينئذ تمييزه، لكن لا يبقى في هذا الوقت قابلاً للجماع. كما شهد بذلك الأطباء والمولعون بشرب الخمر، وإلى هذا الحين ما سمعنا أن في الدنيا بأسرها أن رزلاً من الأرزال الذين يكونون في أغلب أوقاتهم مخمورين أنه فعل مثل هذا الفعل الشنيع، وإذا كان الخمر موصلاً إلى هذه الرتبة السافلة فوا أسفى على حال المولعين بشرب الخمر، كيف يرجى نجاة بناتهم وأمهاتهم من أيدي الآباء والأبناء والإخوة، سيما إذا أضفنا ذلك إلى من يجمع نسائهم ورجالهم كأس واحد. والعجب كل العجب من هذا القديس البار بحكم الإنجيل كما ابتلى في الليلة الأولى ابتلى في الليلة الثانية وما انتبه فيها

لما فعلته معه ابنته الكبرى فى الليلة الأولى. وذلك مما لا يمكن
تصوره .

وكيف يجوز العقل السليم وقوع ذلك الفعل الشنيع من ابنتى لوط
عليهما السلام بعد أن نظرنا وقوع الخسف والعذاب فى قوم أبيهما بسبب فعل
الفاحشة التى كانوا يفعلونها بالأجانب فضلاً عن الأقارب؟ ولو فرضنا
وقوع ذلك المحال وقوعه؛ لِمَ لَمْ تخسف بهم الأرض كما خُسفت
بأقوامهم؟ بل كان يجب أن يعذبوا بأشد أنواع العذاب حيث رأوا
القصاص على مثل ذلك الفعل الشنيع بأعينهم. وقد نجاهم الله منه ولم
يخشوه فيما بعد وما اتعظوا. لعل أن يقال من طرف حضرة القسيس:
أن فعل هذا الأمر كان مقضياً مرضياً ليتولد داود وسليمان وعيسى
أبناء الله من نسل هذين الولدين السعيدين؛ لأن عوبيد جد لداود عليه السلام
واسم أمه راعوث. كما هو مُصرَّح به فى العدد الخامس من الأصحاح
الأول من إنجيل متى. وراعوث هذه كانت موايية من أولاد موآب ابن
سيدنا لوط عليه السلام كما هو مصرح فى سفر راعوث ولأن رحبعام
بن سليمان عليه السلام من أجداد عيسى عليه السلام كما هو مصرح به فى العدد
السابق من الأصحاح الأول من إنجيل متى واسم أمه نعمة. ونعمة هذه
التى هى أم رحبعام الذى هو جد للمسيح عليه السلام كانت عمانية من أولاد
عمان بن لوط عليه السلام كما هو مصرح به فى العدد الثانى والعشرين من
الأصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول. فهذه نعمة من جدات
ابن الله الوحيد بل الله على زعمهم. فأى شرف لموآب وعمان ولدى

الزنا؟ أأزید من أن بعض بنات الأول صارت جدة معظمة لأبناء الله -
على زعمهم- وبعض بنات الثانى الذى هو عمان صارت جدة خاصة
لابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم؟

وحيث ثبت لك أيها اللبيب أن نسب المسيح عليه السلام قد وصل إلى
موآب وعمان باعتبار تولده من هاتين الجدتين؛ فقد صار المسيح عليه
السلام موآبياً وعمانياً وما كان للعمانيين والموآبيين أن يدخلوا فى
جماعة الرب إلى الأبد. كما هو مصرح به فى العدد الثالث من
الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية من الترجمة المطبوعة سنة
١٨٤٨ ميلادية. فكيف دخل المسيح عليه السلام فى جماعة الرب بل صار
رئيسهم -على زعمهم- ولا يصح أن يقال إن اعتبار النسب بالآباء لا
بالأمهات فلا يكون المسيح عليه السلام عمانياً ولا موآبياً لأننا نقول: لو كان
الأمر كذلك يلزم أن لا يكون المسيح أيضاً إسرائيلياً ولا يهوذاوياً ولا
داودياً ولا سليمانياً؛ فإن حصول هذه الأوصاف له من جانب الأم لا
من جانب الأب؛ فلا يكون حينئذ مسيحاً موعوداً به. واعتبارهم هذه
الأوصاف باعتبار الأم وعدم اعتبارهم كونه عمانياً موآبياً من جهة
الجدات؛ ترجيح بلا مرجح. وهو باطل. وهذا وارد على نبوة داود
وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث. لكن لا نطيل الكلام
فيهما. فتأمل.

ومثل هذا ما جاء فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح
الخامس والثلاثين من سفر التكوين فى حق رآوبين عليه السلام هكذا "ومضى

رأوبين^(١) وضاجع بلهة سرية ابيه وسمع أبوه بذلك " فانظر أيها اللبيب إلى ما نسبوه إلى رأوبين الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام أنه زنى بزوجة أبيه، وأبوه قد سمع بذلك ولم يُجرى الحد والتعزير عليه ولا على هذه الزوجة. والظاهر أن حد الزنا بالنار كما يفهم ذلك من العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين .

ولقد جاء مثل هذا الفعل الشنيع في العدد السادس من الأصحاح المذكور في حق يهوذا ابنه الآخر هكذا: " واخذ يهوذا زوجة لغير بكره اسمها ثامار. وكان غير بكر يهوذا شريرا في عيني الرب. فأماته الرب. فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له. فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلا لأخيه. فقبح في عيني الرب ما فعله. فأماته أيضا. فقال يهوذا لثامار كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني. لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويه. فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها.

ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا. ثم تعزى يهوذا فصعد الى جراز غنمه إلى تمّنة هو وحيرة صاحبه العدلامي. فأخبرت ثامار وقيل لها: هوذا حموك صاعد إلى تمّنة ليجزّ غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمّنة. لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تُعط له زوجة. فنظرها

(١) في الأصل: روبيل.

يهودا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك. لانه لم يعلم أنها كنته. فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل علي؟ فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم. فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله. فقال: ما الرهن الذي أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطاهها ودخل عليها. فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة. فلم يجدها. فسأل أهل مكانها قائلا: أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق؟ فقالوا لم تكن ههنا زانية. فرجع إلى يهوذا وقال لم أجدتها. وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية. فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لثلا نصير إهانة. إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها ولما كان نحو ثلاثة اشهر أخبر يهوذا وقيل له: قد زنت ثمار كنتك. وها هي حبلى أيضا من الزنى. فقال يهوذا: أخرجوها فتحرق. أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حبلى؟ وقالت: حق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه؟ فتحققها يهوذا وقال: هي أبرّ مني لاني لم أعطيها لشيلة ابني. فلم يعد يعرفها أيضا.

وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان. وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلا: هذا خرج أولا. ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج. فقالت: لماذا

اقتحمت؟ عليك اقتحام. فدعي اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز. فدعي اسمه زارح "أهـ

أقول: لا عجب ولا استغراب من نسبة هذا الفعل الشنيع ليهودا الطيِّب على حسب أصولهم المقدسة. لكنى أتعجب من نظم وتركيب هذه الحكاية ومن قولهم إن يهوذا أعطى خاتمه وعصاه وعمامته لكنَّته رهناً على أجرة ذلك الفعل الشنيع .

وكيف يُتصور أيها العاقل اللبيب من يهوذا أن يذهب من ذلك المكان في رابعة النهار إلى محلة بلا عمامة ومكشوف الرأس مع أنه كان رئيساً في قومه. وإلى هذا الحين ما سمعنا في الدنيا بأسرها أن رزياً من الأرزال الذين يكونون في أغلب أوقاتهم في محلات الفواحش أنه أعطى عمامته رهناً على أجرة فعل مثل هذا الفعل الشنيع. والأغرب منه قولهم: إن يهوذا أمر بإحراق كنته لما أخبروه أنها حبلى من الزنا، ولما أعلمته أنه هو الذي كان قد زنا بها وحبلها؛ أمر بتركها وشهد لها بشدة البر وأنها أبرُّ منه. فنعم البار ونعمة البارة الفائقة بالبر. فكيف لا وهى التى لم تكشف عورتها إلاً على حميها وما زنت إلاً به وقد حصلت منه بسبب هذا الزنا الواحد على ابنين كاملين تولد من أحدهما -الذى هو فارص- أنبياء كرام داود وسليمان وعيسى^(١) عليهم السلام كما هو مصرح به فى الأصحاح الأول من

(١) لا يصح الإيهام بأن عيسى تولد من "فارص" لأن عيسى عليه السلام مخلوق من الله بغير أب. وهذا فى القرآن. وأما عند اليهود فإنهم يقولون بأنه مخلوق من أب هو "باندارا"

إنجيل متى. فأى شرف لثامار أعظم من أن ابنها فارص المولّد لها من حميها صار جدًا لأبناء الله داود وسليمان والمسيح ابن الله الوحيد بل الله -على زعمهم-؟ والأعجب من هذا قولهم إن الرب قتل عيرًا زوج ثامار الأول لكونه رديًا. ورداعته لم تعلم من أى جهة كانت. أكانت هذه الرداءة أعظم من رداءة أبيه حيث زعموا أنه زنى بزوجه بعد موته، أو من رداءة عمه الكبير حيث زعموا أنه زنا بسرية أبيه، أو من رداءة فلان حيث زعموا أنه زنا بينتيه بعد أن نجاه الله من عذاب قومه؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرافة وعدم القتل. وكان غير الذى لم تعلم خطيئته مستحقًا للقتل فقتله الرب. والأغرب منه قولهم إن الرب قتل أونان أيضا زوج ثامار الثانى على خطأ عزل المنى، وما قتل أباه وأجداده وعمه على تلك الخطيئات. أهذا العزل أشد ذنبًا من تلك الخطيئات؟ نعوذ بالله أن نكون من القوم الكافرين الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

وحيث عرفت أيها اللبيب أن داود عليه السلام من ذرية فارص بن ثامار المولود منها بالزنا، وداود عليه السلام هو البطن العاشر من فارص

الرومانى. وهم -لعنهم الله- يعلمون أن مريم أمه -شرفها الله تعالى وعظمها- كانت محتجة عن الناس جميعا فى هيكل سليمان. لأنها كانت منذورة لله تعالى. وأما النصارى ففى إنجيل متى: أنها ولدت المسيح وهى عذراء. ومن بعد ولادته من عذراء تزوجت مريم. وهذا من عبث النصارى فى الأنجيل. لأنها كانت منذورة بإرادتها لخدمة الرب إلى الموت والمنذورة لا تتزوج. ففى الأصحاح الأول من إنجيل متى: ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع" [متى ١: ٢٥]

المذكور كما يعلم ذلك من الأصحاح الأول من إنجيل متى وما كان لابن الزنا أن يدخل في جماعة الرب حتى يمضى عليه الجيل العاشر، كما هو مصرح به في العدد الثاني من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية، فكيف دخل داود وآبؤه في جماعة الرب بل صار من رؤساء الأنبياء الكرام وصاحب كتاب وإلهام؟ فهو لا يخلو إما أن يكون هذا الحكم ليس من جانب الله تعالى وما صدر عن قلم موسى عليه السلام أو أن قصة يهوذا مع كخته ثامار ليست حقيقية وإنما هي من جملة مفتريات بنى إسرائيل. دسها من لا يخشى الله تعالى في الكتب السماوية حسداً منه في الأنبياء الكرام ليجعلهم من غير أبناء للرشد. وليس ذلك ببعيد على قوم عبدوا العجل بعد أن رأوا الآيات البينات والمعجزات الباهرات ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

ولقد جاء في العدد الرابع من الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج في حق هارون عليه السلام من أنه صور العجل وعبدته، وأمر بنى إسرائيل بعبادته. ونظير ذلك: ما زعموه في حق موسى عليه السلام من أنه أمر بأن يصنع من ذهب صورة كرويين باسطين أجنحتهما إلى فوق ووجه كل واحد الآخر. يوضعان فوق غطاء تابوت الشهادة الذي فيه نسخة التوراة كما هو مصرح به في الأصحاح السابع والثلاثين من سفر الخروج مع أن موسى عليه السلام قد نهى عن اتخاذ الصور أشد النهى كما هو مصرح به في العدد الرابع من الأصحاح العشرين من سفر

الخروج أيضًا. وقد زعموا في حقه أيضًا من أنه استعفى واستقال من النبوة والرسالة فاشتد غضب الله تعالى حيث قال الرب: "ارغب منك يا سيدى أن ترسل غيرى" كما أشير إلى ذلك فى الأصحاح الرابع من سفر الخروج أيضًا .

فكيف يتصور أيها العاقل غضب الرب على موسى عليه السلام مع أنه من أنبيائه وأصفياه. وغضبه إنما يكون على أعدائه؟ ونظير هذا: ما زعموه فى حقه أيضًا من أن الله تعالى حرمه وأخاه هارون عليهما السلام عن الدخول إلى الأرض المقدسة لكونهما عصياه ولم يقديساه ولم يصدقاه. أمام بنى إسرائيل كما هو مصرح به فى العدد الثانى عشر من الأصحاح العشرين من سفر العدد من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية .

وقد صرّح فى العدد الخمسين من الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية أن آخر حياتهما ختمت بإعراض الله عنهما -والعياذ بالله تعالى- والأعجب من هذا ما نسبوه لسليمان عليه السلام من أنه فى آخر عمره ارتد وعبد الأصنام وبنى لها المعابد. كما هو مصرح به فى الأصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول. فانظر أيها النبيل إلى جراءة بنى إسرائيل على الأنبياء العظام كيف أنهم لم يكتفوا بنسبة المعاصى والكبائر إليهم بل تجاوزوا الحد حتى أخرجوهم عن دائرة الدين بالكلية. ويا عجبًا من بنى إسرائيل كيف ساغ لهم أن يدخلوا فى التوراة هذا البهتان المبين. وإذا حملهم الحسد لأنبيائهم الذين هم من

جنسهم فافتروا عليهم هذه الأمور التي يكذبها البرهان وتقشعر من ذكرها جلود أهل الإيمان؛ فلا عجب ولا استغراب من إنكارهم اسم نبينا وحذفه، وهو من غير جنسهم، ولا يستبعد ذلك من قوم قذفوا المسيح وأمه الطاهرة البتول وقد قتلوا جملة من الأنبياء الكرام بعد أن رأوا منهم الآيات البينات والمعجزات الباهرات .

وحيث ظهر لك أيها اللبيب أنهم يكفرون بنبي الله سليمان عليه السلام تعرف سرّ قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وإنه وارد للرد على من افترى ذلك وتكذّبه وليس واردا مورد المدح وإلا لم يكن فيه كبير فائدة. ألا ترى أنه لو قيل عن أحد من آحاد الناس في مقام المدح أنه ليس بكافر لم يعدّ كبير مدح وربما أغضب من قيل فيه ذلك لأن الكفر من أقبح أنواع العيوب ونفيه يشعر بإمكان ثبوته ولا يستلزم نفي غيره بخلاف ما إذا أريد بذلك الرد على المفترى. فتأمل .

وقد زعموا في حق والده داود عليه السلام من أنه افتنن بزوجة أوريا الحثي فقاربها وحملت منه بولد وأهلك زوجها بالمكر والخداع، ثم تزوجها. كما هو مصرح به في الأصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني. وزعموا أن الرب قد حكم على داود عليه السلام نظراً إلى هذا الفعل الذميمة على لسان النبي ناثان عليه السلام من أن الولد الذي تولى بزناه؛ موتاً يموت. كما هو مصرح به في العدد الرابع عشر من الأصحاح الثاني عشر من السفر المذكور. فانظر أيها اللبيب إلى حكم الرب وعدله كيف حكم عليه وقاصصه بموت ابنه وفلذة كبده المتولد

من زناه. وأما حد الزنا الذى هو القتل ما أمره بإجرائه عليه ولا على هذه الزانية. لعل الحدود والتعزيرات المذكورة فى التوراة فرضها الرب للإجراء على الفقراء والمساكين المغلوبين لا على الملوك والسلاطين -نعوذ بالله أن نكون من القوم الكافرين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله ما لا يعلمون-

والأغرب من هذا أن الرب قد حكم عليه أيضاً على لسان النبى ناثان بهذا الحكم وهو هكذا: "قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذا الشمس لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس" كما هو مصرح به فى العدد الحادى عشر من الأصحاح المذكور وقد زعموا أنه وفى بما وعد وهيج -والعياذ بالله تعالى- ولداً من أولاده اسمه أبشالوم فنصب خيمة على السطح ودخل على جميع سرارى أبيه فاضطجع معهن تجاه جميع بنى إسرائيل وقدام الشمس كما هو مصرح به فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح السادس عشر من السفر المذكور ثم حارب أبشالوم أباه داود عليه السلام حتى قتل فى تلك المحاربة عشرون ألفاً من بنى إسرائيل كما هو مصرح به فى الأصحاح الثامن عشر من السفر المذكور. فهذا الولد السعيد الذى لداود عليه السلام قد فاق رأوبين الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه.

الأول: أنه زنا بجميع سرارى أبيه بخلاف رأوبين فإنه زنا
بسرية واحدة.

الثانى: أنه زنا بهن تجاه بنى إسرائيل علانية وقدام الشمس
بخلاف رأوبين فإنه زنا خفية.

الثالث: أنه حارب أباه حتى قتل عشرون ألفا من بنى إسرائيل
بخلاف رأوبين لكن لا استغراب ولا تعجب من هذه الأمور لأن أمثالها
لو صدرت عن أولاد الأنبياء بل الأنبياء ليست عجيبة على حكم
وأصول كتبهم المقدسة بل أتعجب من أن زنا أبشالوم بسرارى أبيه كان
بحكم الرب وعدله، وأنه هو الذى هيّجه على هذا الفعل الشنيع -تعالى
الله عن ذلك علواً كبيراً- ولا شك أن هذا كله محض افتراء يجب رده
وإنكاره. قال الشيخ السنوسى فى مبحث العصمة للأنبياء بعد أن أنكر
هذا القصة أشد إنكار: "ولا شك أن فى كتب بنى إسرائيل تخليطاً
عظيماً لا يليق أن يلتفت إليه.

وقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: من حدث بما قال
هؤلاء القصاص -يعنى اليهود- جلده حدين لما انتهك من حرمة من
رفع الله قدره"

ومن عجيب ما جاء فى الإنجيل أن قيافا رئيس كهنة اليهود كان
نبيا بشهادة يوحنا الإنجيلي كما صرح بذلك فى العدد الحادى والخمسين
من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله وكلامه فى حقه هكذا: "وَلَمْ يَقُلْ
هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ

عَنِ الْأُمَّةِ فَقَوْلُهُ "تَتَبَأ" يدل على أن نبوته يقينية. وهذا النبي قد أفتى بقتل المسيح عليه السلام وقد كفره وأهانته أيضاً. فلو كان صدور هذه الأمور عن قيافا بالنبوة والإلهام الإلهي فعيسى عليه السلام إذاً واجب الرد -والعياذ بالله تعالى- والأعجب من هذا ما صرح به بولس من أن مسيحهم لما صلب على خشبة صار ملعوناً ومطروداً من رحمة الله -والعياذ بالله تعالى- وهذا يشعر بغضب الله عليه فإنه لا يطرد من الرحمة إلا الجاحد المتوغل في الكفر كإبليس الملعون -والعياذ بالله تعالى-

فغذراً يا صاحب البرهان إذا قلنا بحرمة مطالعة هذه الكتب المشتملة على هذه المفسدات. فإن الآثام والذنوب الناتجة عن مطالعتها أكثر من الخير بل لا خير^(١) في مطالعتها أصلاً. إذ مطالعتها ما هي

(١) تحريم قراءة كتب التوراة والزبور والإنجيل على المسلمين؛ ليس من نص قرآني، وإنما هو مفهوم ضمنا من حديث نبوي. مروى بطريق الآحاد. ولو كان هذا الحديث صحيحاً. ما كان يعمد المؤلف ﷺ إلى قراءة كتب التوراة والزبور والأنجيل؛ ليجتج بها على اليهود والنصارى. وكتابه هذا يدل دلالة قاطعة على أنه كان على جانب عظيم من الفهم وجودة الفريضة وقوة العقل، فضلاً عن حسن نيته وسلامة طويته. وذلك لأن العالم اليهودي لن يُسلم، ولن يخرج من التوراة آيات ينقض بعضها بعضها؛ ليأخذها المسلم ويحتج بها على اليهود. وكذلك العالم المسيحي. فهل يسكت المسلمون عن البحث في كتبهم المزورة في آيات كثيرة بينما هو لا يسكتون عن تكذيب القرآن في قوله إنهم حرفوا كتبهم، حرفوا التوراة والإنجيل؟ ما عندنا في ديننا تحريم في شأن هذه الكتب. من جهة الاطلاع عليها. وعلمائنا الأفاضل لهم جهود عظيمة في قراءة التوراة والإنجيل، وإظهار عيوبها ونقائصها، وبيان ما فيها من حق وباطل. والمؤلف نفسه في

إلا هتك حرمة من رفع الله قدرهم وشرفهم على كثير من خلقه
وخصهم بنبوته وأكرمهم برسالته وأتمنهم على وحيه، وجعلهم واسطة
بينه وبين خلقه .

فلا يليق أيها القسيس أن ينسب إلى هؤلاء الأنبياء الكرام ما لو
نسب إلى خوري أو قسيس بل لو نسب إلى آحاد الناس، لاستتفك أن
يحدث به عنه؛ فكيف يجوز أن تتسب هذه الرذائل إلى أعراض الأنبياء
والصفوة الأمناء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض
ولعمري. إن ما نسب إليهم محض اختلاف وحاشا أن يكون من كلام
الخالق، وحيث كان الأمر كذلك فقول حضرة القسيس من أن التوراة
والإنجيل والزبور أي المشتعلة على هذه المفاصد هي الكتب المعتمدة ،
وبالعمل بها تنال سعادة الدنيا والآخرة غير صحيح قطعاً؛ فإنها لا
تكون كذلك إلا إذا خلت عن هذه المضامين الفاسدة وأمثالها ، واشتملت
على الأمر بعبادة الله تعالى وحده والدعاء إلى توحيده وتعظيم أمره
وتصديق رسله وتنزيههم عن النقائص والرذائل والتزهيد في الدنيا
والترغيب في الآخرة، بل إذا كانت كذلك يكون الاهتمام بها والعمل
بمضامينها سبباً موجباً لشقاوة الدنيا والآخرة، سيما إذا أضفنا إلى ذلك

كتابه هذا يقول: إن عندي من كتبهم أكثر مما عندهم. وهو قد أثنى حسناً على الأستاذ
الشيخ رحمة الله الهندي ونقل منه كثيراً من كتابه القيم إظهار الحق. وذكر من
مراجعته: الإعلام للقرطبي المحدث. وغيره.

كونها مشحونة بالأغلاط والاختلافات الغير محصورة؛ فإنه لا سبيل إلى تمييز حقها من باطلها وصدقها من كذبها.



أما قول حضرة القسيس " أردنا أن نذكر بعض براهين تبطل ذلك مستنبطة من القرآن "

فمحض دعوى من غير دليل. إذ ليس فى القرآن المجيد ما ينهض دليلاً لمرامه من عدم وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل، وإنما فى القرآن الكريم ما يدل على وقوع ذلك صراحة، والآيات الواردة فيه الدالة على وقوع التحريف بالتغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل؛ كثيرة جدًا كادت أن لا تحصى من كثرتها. فمن ذلك: قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وقوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَاتُّمَّ تَعْلَمُونَ﴾ معناه: لآى شئ تخطون الحق الذى أنزله الله تعالى بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه بأيديكم حتى يشتبه أحدهما بالآخر؟ فإن اللبس^(١) هو الخلط يقال لبس الشئ بالشئ إذا خلط أحدهما فى الآخر بحيث يتعذر انفصال أحدهما عن الآخر .

(١) ١- لبس الحق بالباطل: هو أن كاتب التوراة يكتب الحق، ويضع بعده كلمة ليست من الحق ؛ ليتحير الناس فى فهم المعنى المراد. مثل: " خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق" [تك ٢٢] فإسحق كلمة باطلة وضعها بعد الحق. والدليل على أنها كلمة باطلة: هو أن الوحيد إسماعيل الذى هو مولود قبل إسحق بسبع سنين. وفى قراءة بأربعة

وقد توعد الله لهم على ذلك الفعل بشدة العذاب فى الدار الآخرة بقوله فى سورة البقرة: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ شَيْءٌ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فهذه الآيات الشريفة صريحة الدلالة على وقوع التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل. والحسّ والمشاهدة شاهدان على ذلك -كما سيأتى لك أيها اللبيب تحقيقه وإثباته فى صفحات سجل محكمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى بما يشفى العليل ويروى الغليل-

☆☆☆

عشرة سنة.

٢- تحريف الكلم من بعد مواضعه: هو أن الكاتب يرفع الكلمة الإلهية من التوراة، ويضع بدلها كلمة تحتل معنى الكلمة الإلهية، وتحتل معنى الكلمة الوضعية مثل "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك" [١٨] فإن الكلمة الإلهية المرفوعة هى "بنى إسماعيل" لأنه مبارك فيه. [١٧] ووضع بدلها "من إخوتك" التى تحتل الدلالة على بنى إسماعيل أو على نبي سوف يكون من اليهود.

٣- تحريف الكلم عن مواضعه: هو أنه لما تعذر على اليهود من بعد تحريف التوراة من عزاء تغيير اللفظ. وذلك لانتشار التوراة فى العالم؛ أوحو إلى علمائهم بتأويل الكلام تأويلا فاسدا. أى تفسير النصوص لصالح منفعتهم.

٤- وأما لى اللسان: فهو قراءة نصوص التوراة بألحان الموسيقى؛ لوهموا العالم بأنهم يقرأون نصوصا إلهية.

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل : " وإنما اقتصرنا على البراهين المستنبطة من القرآن ولم نذكر غيرها. كالمستنبطة من التاريخ الدالة على ما صدر في كل زمان لأن هذه الرسالة ليس المقصود من تأليفها إلا إقناع أحبائنا المسلمين "

أقول وبالله التوفيق: فكما علمت أيها الصديق بأن ليس في القرآن المجيد شاهد لحضرة القسيس على صحة دعواه من عدم وقوع التحريف للتوراة والإنجيل، فكذلك التواريخ ليس فيها شاهد على صحة دعواه، وما أعرض عنها في استنباط البراهين إلا بكونها تصرح وتتأدى بأعلى نداء على وقوع التحريف للتوراة والإنجيل في كل زمان من الأزمان بأقسامه الثلاثة أعنى بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها. وأنا أنقل لك أيها اللبيب أقوال المؤرخين من أئمة المسلمين وأقوال المؤرخين من الوثنيين والماديين والطبيين وأقوال المؤرخين من المسيحيين عن تواريخهم وتفسيرهم المعتبرة عندهم في ثبوت وقوع ذلك .

فأقول : من ذلك ما نقله القسيس هنري في المجلد الأول من تفسيره عن القسيس اكستين ونص عبارته هكذا : " إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمن الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمان موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصوير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحي. ويعلم أن القدماء من المسيحيين

كانوا يقولون مثله يعنى مثل اكستايين وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة^(١) فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد" انتهى

فعلم من هذا القول أن اكستايين والقدماء المسيحيين كانوا يعترفون بتحريف التوراة ويدعون أن هذا التحريف وقع فى سنة ١٣٠ من الميلاد لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى .

وقال المؤرخ يوسى بيس المشهور فى الباب الثامن من الكتاب الرابع من تاريخه هكذا: "ذكر جستى الشهير فى مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات فى حق المسيح وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة" انتهى.

فهذا المؤرخ الشهير قد أقر أن جستى الشهير الذى كان من أجل قدماء المسيحيين ادعى أن اليهود أسقطوا بشارات عديدة فى حق المسيح عليه السلام من الكتب المقدسة وقد صدقه على هذه الدعوى أغلب علماء المسيحيين من المؤرخين والمفسرين .

وقال المفسر هارسل فى الصحيفة ٢٨٢ من المجلد الثالث من تفسيره فى مقدمة كتاب هوشع هكذا: "إن المتن المقدس حُرّف. لا ريب فيه. وظاهر من اختلاف النسخ؛ لأن العبارات الصحيحة فى العبارات المختلفة لا تكون إلا واحدة. وهذا الأمر مظنون بل أقول قريب من

(١) التحريف فى ذلك الزمان. أى فى سنة مائة وثلاثين ميلادية كان فى أسفار الأنبياء. ولم يكن فى الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام . وهذا معروف من قرارات مجمع يمينيه؛ فإن اليهود سلموا إلى النصارى فى هذا المجمع كل الكتب المقدسة.

اليقين أن العبارات القبيحة جدًا دخلت في بعض الأحيان في المتن المطبوع لكن لم يظهر لي دليل على أن التحريفات في كتاب هوشع أكثر من سائر كتب العهد العتيق" انتهى.

ثم قال في الصفحة ٢٨٥ من المجلد المذكور هكذا: "هذا القول صادق البتة أن المتن العبرى في النقول التي كانت عند الناس كان بعد حادثة بختنصر بل لعل قبلها أيضا قبلية يسيرة في أشنع حالة التحريف بالنسبة إلى الحالة التي حصلت له في وقت ما بعد تصحيح عزرا" انتهى.

أقول لما كان هذا القول في غاية الوضوح؛ فغير محتاج إلى البيان. وجاء في المجلد الرابع من الكتاب المسمى بانسائي كلوبيد باريس نقلاً عن دا كتر كنكات هكذا: "إن نسخ العهد العتيق التي هي موجودة كتبت ما بين ألف وألف وأربعمئة. واستدل كنكات من هذا وقال: إن جميع النسخ التي كتبت في المائة السابعة والثامنة أهدمت بأمر محفل الشورى لليهود لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التي كانت معتمدة عندهم. ونظرًا إلى هذا قال القسيس والتن أيضًا: إن النسخ التي مضت على كتابتها ستمائة سنة قلما توجد والتي مضت على كتابتها سبعمائة سنة وثمانمائة سنة؛ ففي غاية الندرة" انتهى.

فهذا كنكات المشهور الذي عليه اعتماد فرقة بروتستنت في تصحيح كتب العهد العتيق، والتن المذكور قد اعترف أن النسخ التي كتبت في المائة السابعة والثامنة قد أهدمت بالكلية وما وصلت إلى يد

كنكات حين التصحيح بل التي وصلت إليه النسخ التي كتبت ما بعد الألف إلى الأربعمئة. وبين وجه ذلك: وهو أن اليهود ضيعوا الكتب الأول بأمر محفل الشورى لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة لنسختهم المعتمدة عندهم.

وفى تفسير القسيس آدم كلارك هكذا: "كان اليهود فى عهد 'يُوسيفُوس' -يعنى اليهودى المؤرخ المشهور- يريدون أن يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء واختراع الأقوال الجديدة" انتهى.

ثم قال: انظروا إلى الإلحاقات الكثيرة فى كتاب أستير والى حكاية الخمر والنساء والصدقة التى زيدت فى كتاب عَزْرَا ونَحْمِيَا. ويسمى الآن بالكتاب الأول لعزرا، وإلى غناء الأطفال الثلاثة الذى زيد فى كتاب دانيال^(١)، وإلى الإلحاقات الكثيرة التى ذكرت فى كتاب يوسيفوس" انتهى.

(١) كتاب دانيال والكتب التى يشير إليها المؤلف. كل ذلك مذكور فى الأسفار المحذوفة لدى البروتستانت. وأذكر ههنا من هذه الأسفار المحذوفة هذا النص. وهو من قصة الصنم بال.

"وتوفى الملك أسطواج وانضم إلى آبائه، وأخذ كورش الفارسى ملكه. فعاش دانيال برفقة الملك الذى أكرمه فوق جميع أصدقائه. وكان لأهل بابل صنم اسمه بال، ينفقون له كل يوم ستون قناطر من السميد وأربعين شاة وقنطارا من التنبيد. وكان الملك يعبد بالا، وينطلق كل يوم فيسجد له، أما دانيال فكان يسجد لإلهه وحده.

فسأل الملك دانيال: "لماذا لا تسجد لبال؟" أجاب دانيال: "لأنى لا أعبد أصناما صنعتها الأيدي"، بل الإله الحى خالق السماوات والأرض الذى له السلطان على كل كائن حى" فقال له الملك: "أتحسب أن بالا ليس إلها حيا، أولا ترى كم يأكل ويشرب كل يوم؟" فضحك دانيال وقال: "لا تضل أيها الملك، فهذا صنم من الطين المطفى بالنحاس، وهم لم يأكل قط ولم يشرب" فغضب الملك ودعا كهنته وقال لهم: "إن لم تقولوا لى من الذى يأكل ما نقدمه للإله بال، تموتون، وإن بينتم أن بالا يأكل هذه التقدّمات يموت دانيال لأنه جدف على بال" فقال دانيال للملك: "ليكن لى كما قلت" وكان كهنة بال سبعين كاهنا، ما عدا النساء والأولاد.

وجاء الملك ودانيال إلى معبد بال، فقال كهنة بال: "ها نحن ننصرف إلى الخارج، وأنت أيها الملك ضع الأطعمة على المائدة وأمزج الخمر ثم أغلق الباب واختم عليه بخاتمك. وحين ترجع غدا، إن لم تجد أن بالا أكل كل شئ فإننا نموت، وإلا يموت دانيال الذى افترى علينا" واستخف كهنة بال بالأمر لأنهم صنعوا تحت المائدة مدخلا خفيا يدخلون منه كل يوم ويأكلون كل شئ.

فلما خرج الكهنة وضع الملك الأطعمة لبال، فأمر دانيال خدمه، فأثّوا برماد ورشوه فى الهيكل كله بحضرة الملك وحده، ثم خرجوا وأغلقوا الباب وختموا عليه بخاتم الملك وانصرفوا فجاء الكهنة فى تلك الليلة كعادتهم، هم ونساؤهم وأولادهم، فأكلوا وشربوا كل شئ.

وبكر الملك وذهب فى الغد إلى المعبد ودانيال معه، فقال الملك: "هل الخواتم سالمة، يا دانيال؟" أجاب "هى سالمة، أيها الملك" ولما فتحت الأبواب نظر الملك إلى المائدة الفارغة فهتف بصوت عال: "عظيم أنت يا بال، أنت حقا إله ولا غش فيك"، فضحك دانيال وأمسك الملك وقال له: "قبل أن تتدخل إلى داخل، أنظر البلاط وتعرف إلى هذه الآثار". فقال الملك: "إنى أرى آثار رجال ونساء وأولاد" وغضب الملك، وقبض على الكهنة ونسائهم وأولادهم، فأروه الأبواب الخفية التى يدخلون منها كل ليلة، ويأكلون ما على المائدة، فقتلهم الملك وأسلم بالا إلى دانيال الذى حطم الصنم وهيكله"

أقول: وقد قال المفسر المذكور مثل هذا في المجلد الثاني من تفسيره نيل العدد التاسع من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا: "قد وقعت في كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الأخرى. والاجتهاد في التطبيق عبث، والأحسن أن يسلم في أول الوهلة الأمر الذي لا قدرة على إنكاره. ومصنفو العهد العتيق وإن كانوا نوى إلهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك" انتهى.

أقول: قد أنصف والله هذا المفسر من أول الوهلة. وقد أقر بوقوع التحريف في العهد العتيق، لكنه لم يقدر على التعيين حيث اعترف أن التحريفات الواقعة في كتب العهد العتيق كثيرة. وجاء في تفسير كريساستم على إنجيل متى هكذا: "انمحي كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتبًا لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم ديانتهم، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها" انتهى.

فظهر من هذا أيها العاقل اللبيب أن اليهود مزقوا بعض الكتب المقدسة وأحرقوا بعضها لأجل عدم ديانتهم. وقد انعدمت -حفظك الله- بإعدامهم عن صفحة العالم. وإذا كان حال ديانة أهل الكتاب بالنسبة إلى الكتب الإلهية هكذا فأني استبعاد عقلي أو نقلي لو قلنا إنهم فعلوا مثل هذا الفعل بالعبارات التي كانت دالة على نبوة محمد ﷺ وقد عرفت أيها اللبيب من قول كنكات السابق ذكره الذي عليه اعتماد فرقة بروتستنت في تصحيح كتب العهد العتيق من أن اليهود كانوا ضيعوا

النسخ التي كانت كتبت في المائة السابعة والثامنة ومحوها عن صفحة العالم لمخالفتها للنسخ المعتمدة عندهم. وما وصل إلى يده حين التصحيح إلا النسخ التي كتبت فيما بعد الألف إلى الأربعمئة. وحيث أن تحريفهم في ذلك الزمان قد وصل إلى هذه الرتبة وأثر هذا التأثير البالغ؛ فلا استبعاد في تحريفهم الكتب بعد ذلك الزمان أيضاً؛ فإن لهم مجالاً واسعاً للتحريف في كتبهم في كل زمان من الأزمان سيما إذا كان ذلك قبل إيجاد صناعة الطبع، بل الحق أن أهل الكتاب لا يمتنعون من ذلك ولا يبالون فيه بعد إيجاد صناعة الطبع أيضاً سيما إذا أضفنا ذلك إلى فرقة بروتستنت؛ فإن التبديل والإصلاح بمنزلة الأمر الطبيعي لهم. ولذلك تراهم إذا طبعوا كتاباً من كتبهم المقدسة أو غيرها مرة أخرى يقع غالباً فيه تغيير وتبديل كثير بالنسبة إلى المرة الأولى. إما بتبديل بعض المضامين أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم بعض العبارات أو تأخيرها. وإذا كان حالهم هكذا فلا بد للإنسان أن يكون على تنبه تام في هذا الأمر لئلا يتهم الناقلين عن كتبهم أو يوقعهم في شبكة الغلط. فمن لم يكن واقفاً على عاداتهم يظن أن الناقل قد أخطأ والحال أنه مصيب. فاحذر وتنبه من هذا الأمر أيها العاقل اللبيب .

ولنرجع إلى ما نحن فيه فأقول: ومن الأقوال التاريخية الدالة على وقوع التحريف للتوراة والإنجيل: ما قاله القسيس نورتن المشهور في تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٧ من الميلاد من أن التوراة جعلية يقيناً ليس من تصنيف موسى عليه السلام لكنه أقر بالإنجيل، مع

اعترافه بالتحريفات الكثيرة فيه وأن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه والتحريف واقع فيه يقيناً في مواضع كثيرة وأطال الكلام جداً في إثبات ما ادعاه بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة. فمن شاء الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتابه المذكور وقال لاردنر في المجلد الثالث من تفسيره ذيل بيان فرقة ماني كيز ناقلاً عن اكستين قول فاستس الذي كان من أعظم علماء هذه الفرقة في القرن الرابع من القرون المسيحية هكذا: "قال فاستس: أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعبثوا صورته الحسنه وأفضليته؛ لأن هذا الأمر محقق: أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التي توجد فيها الأغلاط والتناقضات" انتهى.

فهذا الفاضل المسيحي الذي كان في القرن الرابع من القرون المسيحية كان ينادى بأعلى نداء: أن أهل التثليث قد ألحقوا الأشياء التي لم تكن في العهد الجديد، وأنه من تصنيف رجل مجهول، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم، وأنه يوجد فيه الأغلاط والمناقضات. ولعمري إنه لصادق في هذه الدعاوى الثلاثة، وإن كان من الفرقة المبتدعة بزعم ملة بروتستنت ولقد جاء في الصحيفة ١٢٤٤ من المجلد الخامس من تفسير القسيس لاردنر المذكور هكذا: "حكم على الأناجيل المقدسة

لأجل جهالة مصنفها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسطيوس فى الأيام التى كان مسألة حاكما فى القسطنطينية؛ فصحت مرة أخرى " انتهى.

أقول قد ثبت من هذا القول أن هذه الأناجيل كانت غير ثابتة الإسناد من أنها إلهامية إلى عهد السلطان المذكور، ولو كانت إلهامية وثابت إسنادها إلى الحواريين فى هذا العهد المذكور فلا معنى لنسبة الجهالة لمصنفها وتصحيحها مرة أخرى. وما يدعيه علماء بروتستنت فى بعض الأحيان من أن سلطانا من السلاطين أو حاكما من الحكام ما تعرض لهذه الكتب ولا تصرف فيها؛ فباطل يقينا بشهادة تواريزهم وتفاسيرهم هذه.

وهذا القول يعضد قول علماء الجرمن والوثنيين فى هذا الباب؛ فإن سلسوس كان من علماء المشركين الوثنيين فى المائة الثانية من الميلاد وكتب كتابًا فى إبطال الدين المسيحى ونقل اكهارن الذى هو من علماء أهل الجرمن قول ذلك الفاضل المشرك فى كتابه هكذا: "بدل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلا كأن مضامينها بدلت" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى هذا المشرك كيف ينادى ويخبر بأن المسيحيين كانوا بدلوا أناجيلهم إلى عهده المذكور أزيد من أربع مرات.

وأنا اكتفى على نقل هذا القول من أقوال المشركين هرباً من التطويل. وأما أقوال الفرقة التي تتكر النبوة والإلهام التي كثرت الآن في ديار أوربا التي يسميها علماء بروتستنت بالملحدين. فلو نقلت أقوالها في باب التحريف فقط لطال الكلام لكن أنقل لك قولاً واحداً من أقوالها، وأكتفى عليه خوف الإطالة. ومن شاء أزيد من ذلك؛ فليرجع إلى كتبهم المنتشرة في الأقطار المسكونة.

فأقول: قال الفاضل ياركز -الذي هو أشهر علماء الملحدين- هكذا: "قالت ملة بروتستنت إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد العتيق والجديد عن أن تصل إليهما صدمة خفية لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم في مقابلة عسكر اختلاف العبارات التي هي ثلاثون ألفاً" انتهى.

فانظروا يا منصفين إلى هذا الملحد كيف أورد الدليل الإلزامي على علماء بروتستنت استهزاء بهم، لكنه اكتفى في قوله هذا على تحقيق القسيس ميل. ولذلك قال التي هي ثلاثون ألفاً وإلا لقال مائة وخمسون ألفاً بل ألف ألف على تحقيق بعض فضلاء الملحدين. ولعمري أن هذا الفاضل لصادق في هذا القول وليس هو من باب المبالغة لأنه قلما يخرج أصحاب أو عبارة من العهد العتيق والجديد ويكون خالياً عن الغلط والاختلاف. ومن طالع هذه التوراة وهذا الإنجيل من أذكاء المسيحيين الغير متعصبين؛ يظهر له صدق هذه الدعوى بأدنى تأمل. وهذا ما أردنا إيراده في هذا الباب من أقوال

المؤرخين والمفسرين من أهل التثليث والمخالفين من الملحدين والمشركين. وأما ما جاء فى هذا الباب من أقوال المؤرخين من أهل الدين الإسلامى المبين؛ فلا حاجة لنقلها لاشتهارها وتواترها. يكفى النص عليه فى الكلام القديم على لسان الصادق الأمين. وهؤلاء الموافقون والمخالفون منادون بأعلى نداء من أول القرن المسيحى إلى هذا القرن بوقوع التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل، وليست هذه الدعوى مختصة بأهل الإسلام كما يظهر ذلك من تقرير علماء بروتستنت تغليطاً للعوام .

حجة الله البالغة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا " فقلت إن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان لكي يعبدّه ويمجده جل جلاله كما ورد في القرآن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق. إنما أتى حضرة القسيس بهذه الآية الشريفة هنا تمهيداً لكلامه الآتي، وسيقت في كلامه تعالى لبيان قبح الكفرة والمشركين من ترك ما خلقوا له، حيث خلقوا مهينين ومستعدين وصالحين للعبادة فخلقهم الله تعالى ممتازين عن سائر الحيوانات بالعقل والفكر والإدراك التام؛ ليستدلوا به على وجوده واتصافه بالوحدانية والقدرة والحكمة والإرادة. وهلم جرا. وخلق فيهم القدرة والحواس التي تتحصل بها العبادة؛ فأعرضوا عن ما خلقوا له، مع ما فيهم من الاستعداد والصلاحية والتهيئ الذي هو الغاية بالحقيقة . فالمعنى على هذا : وما خلقت الجن والإنس إلا مهينين ومستعدين وصالحين لعبادتي لا كالبهائم والحمير، لكن بعضهم صرف استعداداه وصلوحيته في شهوات نفسه وعصيانه وكفر به في الدار الآخرة كما توعّد بذلك فيما بعد هذه الآية بقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

ولئلا يكون لهم حجة إن لم يقفوا موقف الاعتراف بما له عليهم من التقديس والتمجيد؛ اصطفى من بين خلقه أقوامًا رسلاً يدعون إليه ويرشدون إلى سبيله وأمرهم بأوامر إلزامية افترضها على عبيده وجعلها مبانة للأغراض النفسانية والشهوات الإنسانية حتى يظهر الخبيث من الطيب والعاصي من المطيع وجعل لكل زمان ولكل أمة رسولاً يدعوهم للاعتراف بوحدانيته، وإلزامهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها. ولما كان العقل بانفراده يحيل المكاملة بينه وبين خلقه؛ جعل لرسله من المعجزات والأمور المخالفة للعادة والطبيعة ما يجر رَسَنَ التصديق إلى كل ما يأتون به من رب العالمين.

فمنهم من كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ولكن بإذن الله تعالى، ومنهم من كانت له النار بردًا وسلامًا، ومنهم من كان يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، ويضرب بعصاه الحجر فيخرج منه الماء، ومنهم من سخرت له الرياح تجري بأمره، ومنهم من ألين له الحديد. فكان كل ذلك داعيًا إلى التصديق بكل ما جاؤوا به أنه من رب العالمين. فمن الناس من كفر بآيات الله وصد عن السبيل، ومنهم من هداه الله فكان من المقربين. ففريق في الجنة وفريق في السعير.

ثم ختم رسله بسيد ولده آدم وأيده بالمعجزات الباهرات فانشق له القمر ونبع الماء الطاهر من بين أصابعه الشريفة المرة بعد المرة، وحن له الجذع، وكلمه الضب، وسعت إليه الأشجار وأخبر عن الغيوب

المستقبل فكانت كما أخبر، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى
 المسجد الأقصى وعرج به في تلك الليلة إلى السماء العلا. ثم دنى
 فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. وكان من أكبر معجزاته الدائمة التي
 لا انقضاء؛ لها القرآن العظيم المنزل على قلبه بلسان عربى ﴿لَا يَأْتِيهِ
 الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
 لَحَافِظُونَ﴾ فسبحان من جعله فى الصدور محفوظاً وفى السطور
 مسطوراً وصير كل بليغ عن الإتيان بمثله حصيراً ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
 وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ فأرسله
 إلى كافة الناس كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ سواء فى ذلك
 العاكف والبادى والعربى والعجمى فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة إلى أهلها
 وقاسى الشدائد والأهوال من قومه فى سبيل هدايتهم إلى الطريق القويم
 والصراط المستقيم وأتاه من الله التأييد والنصر على أعدائه حتى قويت
 شوكة الإسلام والمسلمين وأشرقت شمس التوحيد، وزالت رسوم أهل
 الشرك والتلحيد. وقامت الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، على
 تصديقه بكل ما جاء به واتباع سنته وسبيله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
 يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

أخلاق أهل الإسلام

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "وجعل الله سبحانه وتعالى في مقابلة ذلك للطائع سعادة أبدية وأفراحاً مستمرة مقصودة بالذات في الدار الآخرة، ولكن لا يمكن الإنسان الوصول إلى تلك الرتبة الجليلة إلا بعد التأديب والإرشاد والتطهير والتنوير. ومن المحال أن ينال القرب من الله والتمتع بلذات الآخرة من غير أن يكون في حياته أهلاً لذلك؛ لأنه سبحانه ضرورة إله قدوس، والسماء التي يرغب العاقل في دخولها بقعة طاهرة وزمرة المقربين الواقفين. أما عرش الجبار الذين يسرهم الانتظام في سلوكهم أطهار؛ فينبغي لمن أراد أن يكون له حظ فيما ذكر أن يكون طاهراً حتى يستأنس الطاهر بالطاهر، وإلا فمن لم يهذب ويؤهل أولاً لنيل تلك الرتبة الرفيعة فكيف يطمع في الوقوف أمام الحضرة الإلهية وفي معاشرة الملائكة والمؤمنين الأطهار؟"

أقول: إن هذه الجملة؛ لمن محاسن الكلم، وجعلها حضرة القسيس أول رسالته موافقة لأخلاق أهل الإسلام يرجو بذلك رواجها عند العوام. إذ الطهارة والتنوير اللذين يتأهل العبد بهما لنيل القرب من الله ﷻ والرتبة الرفيعة؛ من جملة أخلاقهم الزكية^(١). فالطهارة من حيث

(١) التوراة تعلم بني إسرائيل سوء الخلق. ويدل على ذلك: الأصحاح الرابع من سفر هوشع. ونصه: "اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق

هي قسمان طهارة ظاهرية وطهارة باطنية. وكلا القسمين حسن. ومن أخلاق المسلمين الطاهرين من ربة الشوك. أما الطهارة الظاهرية فهي تنظيف الأعضاء بالماء الطاهر على وجه مخصوص وإزالة الأوساخ والنجاسات والأحداث كالحيض والجنابة والنفاس. كما جاء الأمر بذلك في كتابه العزيز.

يعتفون ودماء تلحق دماء لذلك تتوح الأرض ويذبل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء واسماك البحر أيضا تنتزع ولكن لا يحاكم احد ولا يعاتب احد و شعبك كمن يخاصم كاهنا فتتعر في النهار ويتعر أيضا النبي معك في الليل وأنا أخرج أمك قد هلك شعبي من عدم المعرفة لانك انت رفضت المعرفة أرفضك انا حتى لا تكن لي ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضا بنيك على حسبما كثروا هكذا اخطاوا إلي فأبدل كرامتهم بهوان يأكلون خطية شعبي وإلى إثمهم يحملون نفوسهم فيكون كما الشعب هكذا الكاهن وأعاقبهم على طرقهم وارد أعمالهم عليهم فيأكلون ولا يشبعون ويزنون ولا يكثرول لانهم قد تركوا عبادة الرب الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب شعبي يسال خشبه وعصاه تخبره لان روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت إلههم يذبجون على رؤوس الجبال ويبخرون على التلال تحت البلوط واللبنى والبطم لان ظلها حسن لذلك تزني بناتكم و تفسق كناتكم لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين و لا كناتكم لأنهن يفسقن لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويذبجون مع الفانرات الزنى وشعب لا يعقل يصرع إن كنت أنت زانيا يا إسرائيل فلا يأتهم يهوذا و لا تأتوا إلى الجلجال و لا تصعدوا إلى بيت اون ولا تحلفوا حي هو الرب انه قد جمع إسرائيل كبقرة جامحة الآن يرعاهم الرب كخروف في مكان واسع افرام موثق بالأصنام اتركوه متى انتهت منادمتهم زنوا زنى أحب مجانها أحبوا الهوان قد صرثها الريح في أجنتها و خجلوا من ذبائحهم

وقد جاء الأمر به أيضاً فى التوراة عند إرادة الدخول فى العبادة. ولقد فعله الأنبياء والرسل الطاهرون ونحن على آثارهم مقتدون. وأما الطهارة الباطنية فهى طهارة القلب من الأوصاف الذميمة كالكبر والحقد والحسد والكذب والغضب وسوء الخلق وإضرار البغضاء لإخوانه والرياء والعجب بشأنه والغيبة والنميمة والسب والشتمة والله الحمد. فللمسلمين من هذه الطهارة الحظ الأكبر. وأما التنوير فهو تنوير القلب بالإيمان بالله تعالى إيماناً كاملاً بأن تجزم بأن الله تعالى إله واحد منفرد فى ألوهيته مقدس عن جميع النقائص موصوف بصفات الكمال منزّه عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد، وأنه تعالى حى قيوم قديم أزلى أبدى عليم سميع بصير مريد حكيم خبير رحيم رحمن صبور عادل قدوس محيى مميت منزّه عن أن يحل فى المخلوقات أو يحل فيه مخلوق وأن ذاته لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه الصفات. فهو الغنى المطلق وكل موجود مفتقر إليه منزّه عن كل وصف لا كمال فيه. واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على جميع خلقه وهو الذى خلقهم وأوجدهم من العدم إلى الوجود .

وكذلك يتنور القلب بالإيمان بيوم المعاد وبحشر الأجساد ومجازاة العباد، وأن الجنة دار النعيم لمن أطاعه والنار دار الجحيم لمن عصاه. وكذلك يتنور القلب بالإيمان بجميع الأنبياء الكرام والرسل الفخام إيماناً كاملاً بأن تجزم بأنهم مرسلون من جانب رب العالمين لهداية خلقه وتكميل معاشهم ومعادهم، وأنهم معصومون من ارتكاب جميع

المعاصى ما ظهر منها وما بطن، ومن جميع النقائص والمخالفات، وإنهم بلغوا جميع ما أمروا به بتبليغه تبليغاً تاماً وإنهم فى أعلى مراتب الصدق والأمانة والفتانة. فمن طهر قلبه بهذه العقائد المحموده؛ فقد تنور وصار مؤدباً ومهذب الأخلاق وأهلاً لنيل الرتبة الرفيعة فى الدار الآخرة.

ولا شك أن هذه العقائد المرضية من جملة عقائد أهل الدين الإسلامى المبين فهم إذ أهل الرتبة العلية والسعادة الأبدية وإذا كانت هذه العقائد ليست محمودة ولا ينال معتقدها تلك الرتبة الرفيعة فى الدار الآخرة؛ فأى اعتقاد يكون حسناً وموجباً لنيل تلك الرتبة الرفيعة؟ نعم أيها القسيس إنا معاشر المسلمين لا نعتقد أن الإله الواحد المنفرد فى ذاته وصفاته ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، وأن المسيح أحد هذه الثلاثة صلب على خشبة وصار ملعوناً مطروداً من رحمة الله تعالى كما صرح بذلك قديس المسيحيين بولس بقوله "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لأجلنا لعنة لأنه مكتوب فى الناموس ملعون كل من علّق على خشبة" وكذا لا نعتقد كما نعتقد فرقة كاثوليك من أنه لا بد أن تصنع الصور والتماثيل ويسجد قدامهن وأن خشبة الصلب وتساوير الآب الأزلى والروح القدس يُسجد لها بالسجود الحقيقى العبادى وأن صور القديسين والقديسات يسجد لها بالسجود الإكرامى، وأنه لا خلاص بدون الإيمان بالبابا، وإن كان غير صالح فى نفس الأمر، وأن للبابا ومن دونه الغفران للعصاة والمذنبين ويمحو عنهم الذنوب ولو

كانت من أكبر الكبائر سيما إذا استوفوا ثمنًا وافيًا من أجلها، وأن كل خمر وخبز من الخبزات ولو كانت بمقدار مليونات غير معدودة يستحيل في العشا الرباني في آن واحد ولو في أمكنة مختلفة إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته الذي تولد من العذراء. ولو فرض أن مليونات من الكهنة في أطراف العالم شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا قدسوا في آن واحد يستحيل إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته وأن خبزا واحدا إذا كسره الكاهن. ولو إلى مائة ألف مليون كسرة. كل كسرة منه تصير مسيحا كاملاً. وكذا لا نعتقد أن الخورى والأساقفة يجب منعهم عن الزواج حتى يفعلوا ما لا يفعله المتزوجون.

وكذا لا نعتقد أن داود عليه السلام زنى بامرأة الغير وقتله بالحيلة وأن ابنه أبشالوم زنى بجميع سراري أبيه بأمر الرب وعدله، وأن أخاه أمنون زنى بأخته لأبيه وفض بكارتها وسمع أبوهما بذلك ولم يجر الحد والتعزير عليهما. كما هو مصرح به في الأصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثانى، وأن شمشون الرسول زنى بامرأة زانية وأنه تعشق امرأة اسمها دليلة من أهالى وادى سُورق، وكان يدخل إليها. كما هو مصرح به في الأصحاح السادس عشر من سفر القضاة، وكذا لا نعتقد أن يهوذا عليه السلام من أولاد ولده فارص المتولد من زناه بكننته- على زعمهم- وكذا لا نعتقد أن الرب ندم وتأسف في قلبه على خلقه الإنسان. ولذلك محاه بماء الطوفان. كما هو مصرح به في العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين .

وكذا لا نعتقد أن الرب^(١) صارع يعقوب وقوى يعقوب عليه وما أطلقه حتى باركه وسماه إسرائيل. كما هو مصرح به في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين. فكل هذه العبارات الفاسدة وأمثالها من المقالات الكاسدة لا نعتقد صدقها بل ننكرها أشد الإنكار. والعجب كل العجب من هذا القسيس كيف يعرض ويدعى في مقالته هذه أن المسيحيين هم الطاهرون المتأهلون لنيل الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وهم يعتقدون صدق هذه العبارات الفاسدة والمقالات الكاسدة، التي لو عرضت على السموات لانفطرت وعلى الأرض لانشقت، وعلى الجبال لاندكت. لكن لله در من قال:

(١) قال هوشع في الأصحاح ١٢ من سفره إن الذي صارع يعقوب ملك من الملائكة. ونص كلامه: "إفرايم راعي الريح وتابع الريح الشرقية كل يوم يكثر الكذب والاعتصاب ويقطعون مع أشور عهدا والزيت إلى مصر يجلب فللرب خصام مع يهوذا وهو مزعم أن يعاقب يعقوب بحسب طريقه بحسب أفعاله يرد عليه في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاهد مع الله جاهد مع الملاك وغلب بكى واسترحمه وجده في بيت آيل وهناك تكلم معنا والرب اله الجنود يهوه اسمه وأنت فارجع إلى إلهك احفظ الرحمة والحق وانتظر إلهك دائما مثل الكنعاني في يده موازين الغش يحب أن يظلم فقال إفرايم إني صرت غنيا وجدت لنفسى ثروة جميع أتعابي لا يجدون لي فيها نذبا هو خطية وأنا الرب إلهك من أرض مصر حتى أسكنك الخيام كأيام الموسم وكلمت الانبياء وكثرت الرؤى وبيد الانبياء مثلت أمثالا إنهم في جلعاد قد صاروا اثما بطلا لا غير في الجلجل نبحوا ثيرانا ومذابهم كرجم في اتلام الحقل وهرب يعقوب إلى صحراء آرام وخدم إسرائيل لأجل امرأة ولأجل امرأة رعى وبني اصعد الرب إسرائيل من مصر وبني حفظ أغاظه إسرائيل بمرارة فيترك دماؤه عليه ويرد سيده عاره عليه"

وإذا أراد الله فتنة معشر وأضلهم؛ رأوا القبيح جميلاً

فالإرادة الأزلية فرقت بين العالمين. فمنهم من أضله الله على علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة. فأولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون. ومنهم من هداه الله إلى سبيل رشاده، وألزمه خطة هدايته، ومنحه منحة كرامته وتوجه بتاج محبته فانتزعه من قيود شهواته الطبيعية، وأخرجه من ظلمات الغواية إلى نور الهداية، وطهره من دنس الاعتقادات الفاسدة والمقالات الكاسدة بماء الشهود في حضرات القدس المنزه عن كدورات النقائص المردية؛ فأصبح للكمال قد حاز، وبحلاه تجمّل. ليس بينه وبين الله حجاب يحجبه من التجليات الإلهية والأسرار الربانية الصمدانية، وهو قد عكف على القيام بحقوق عبوديته، فأجهد النفس في تحصيل مرضات ربه، ووقف عند حدوده التي حدّها له وعلمه إياها؛ فأجاب دعوته التي دعاه إليها ولباه تلبية الصادق المخلص في سر سريرته وحقوق ضميره وأخلص له الظاهر والباطن والتزم أوامره فأدّاها حق الأداء كما يجب أن تؤدى، واجتنب منهيّاته كما يحب ويرضى، واعتمد عليه في السراء والضراء والنعمة والنفقة والمحبوب والمكروه وانتدب لشريعته الغراء التي أنزلها على أشرف مخلوق وأجل مقرّب -صلوات الله تعالى وسلامه عليه- فأمن به وصدقه واتبع كوكب الصبح الذى أنزل معه. وهو الكتاب المبين،

والفرقان العظيم، والقول الفصل، والآيات البينات التى لم يدخلها ريب ولا شك ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

فالمستمسكون له مستمسكون بحبل غير منفصم؛ فإنه القول الجامع والحكمة البالغة والدين الحق والصراط المستقيم والحاكم العادل والنور الهادى والداعى إلى موارد الإحسان والجامع لشتيت الديانات. سابقها ولاحقها ظاهرها وباطنها علنها وخفيها، فكل مشرب من موارد الشرائع السابقة مغترف من بحر مائه العذب الزلال، ومقتطف من ثمار أزهاره الزاهية. قد أعد الله لمن جعله قبلة هدايته جنات تجرى من تحتها الأنهار. له فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خالدين فيها ما دامت السموات والأرض. ذلك الدين القيم والملة الحنيفية السمحاء والعروة الوثقى التى لا انفصام لها. يهدى الله إليها من شاء ممن اختاره من خواص عباده الذين اصطفاهم لإعلاء كلمته وانتدبهم لإقامة محبته، وأيدهم بالنصر والظفر وقابلهم بالإحسان، وأعد لهم الحسنَى وزيادة. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

الوحي الإلهي

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فالواسطة التي يهذب ويؤهل الشخص بها لعبادة الله فينال سعادة الآخرة؛ هي الدين الحق الحقيقي المخلص من الجحيم والموصل إلى النعيم. فلا يستطيع الإنسان أن يقف على جميع أحكامه بمجرد نور عقله القاصر، بل يفتقر أيضاً للحصول على كمال معرفتها إلى هداية إلهية خاصة، التي هي الوحي. ولا ينكر الافتقار إلى هداية الله سبحانه وتعالى إلا من كان جاهلاً في الأمور الروحية وأحوال الإنسان وحاجاته الباطنية"

أقول وبالله التوفيق: إن كلام حضرة القسيس في أمر الافتقار إلى الهداية الإلهية التي هي الوحي؛ أمر مسلم عند ذوى العقول السليمة والأفكار المستقيمة، ولا ينكره إلا من كان جاهلاً غاية الجهالة. إذ البعثة أساس العمران، وبها صوالح العباد في المعاش والمعاد. والطعن في ذلك إنما يكون مجرد عناد ومكابرة للمعلوم بالضرورة والبداهة؛ فلا يسمع كلامه وينبذ به وراء الظهور. فلولاهما ما انتظم سير العالم ولا استقام له حال ولا كانت زراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا إدارة، إذ بها زمام العدل والإنصاف ورفع الجور والإجحاف، وعليها المدار في اتحاد الكلمة الموجبة للألفة والمحبة والمعاونة والمساعدة. فإنكار البعثة والافتقار إليها كإنكار طلوع الشمس وهي في كبد السماء ليس

دونها سحاب، والمنكر ينظر إليها بعينه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

ولا نطيل الكلام فيما نحن ليس بصدده. لكنى أتأسف على هذا
القسيس المعترض، مع قوة فكره وشدة ذكائه؛ ما اهتدى على الدين
الحق الحقيقي الذى هو الدين الإسلامى المبين المخلص من الجحيم،
والموصل إلى النعيم. كيف لا وهو الدين القويم والصراط المستقيم
الجامع لكل منفعة وخير، والمبعد عن كل شر وضير. المتكفل بتربية
الأرواح وتهذيب النفوس وتتوير القلوب وحفظ الأنفس والأموال
والأعراض فى السر والعلانية، الداعى إلى مكارم الأخلاق وأحاسن
الخصال ومحامد الفعال ومحاسن الأمور، التى يكون بها الإنسان إنسانا
طاهرا متورا متأهلا لنيل السعادة الأبدية والحياة السرمدية.

فهذا دين الله المتين الذى اصطفاه إلى خير خلقه، وأقام دعائمه
على محبته، وهدم أركان الضلال بركنه القويم وصراطه المستقيم،
وسقى من عطش من حياضه وجعله لا انفصام لعروته، ولا فك لحلقته
ولا انهدام لأساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرتة ولا خفاء
لشريعته ولا جزّ لفروعه ولا ضنك لطرقة ولا سواد لوُضحه ولا
انطفاء لمصابيحه ولا اعوجاج لاستقامته ولا مرارة لحلاوته. ولا غرو
فقد ثبت أساسه وأثمرت أشجاره وفاضت أنهاره النافعة على قلوب
نويه. فمن اعتصم بحبله واستقى بوبله؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى

التي لا انفصام لها، وآل به إلى أكناف الدّعة وأوطان السّعة ومعازل
الحرز ومنازل العزّ في العاجل والآجل .

وماذا يقول القائل في الدين الإسلامي المبين وفضائله، وقد صار
عند الناس صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم وشريفهم ووضيعهم
وجليلهم وحقيرهم ومتكلمهم وأخرسهم وعالمهم وجاهلهم وشجاعهم
وجبانهم وكريمهم وبخيلهم وطائعهم وعاصيهم ومؤمنهم وكافرهم
وحيهم وميتهم، مذ جاء به سيدنا ومولانا محمد ﷺ هو الدين القويم
والصراط المستقيم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

فهذه الجمعية التي ألفت حديثاً في مدينة "نيويورك" عاصمة
جماهير "أميركا" المتحدة، من العلماء والفلاسفة؛ فإنها قررت وجوب
اتباع الدين الإسلامي المبين، ولزوم نشره في "أميركا" باتفاق مائة
وستين رأياً يخالفهم أربعون. ولقد نشرت بعض الجرائد أن المخابرة لم
تزل جارية عن ذلك بين "نيويورك" و "لوندرة".

ومن هذا. ما نشره أحد علماء الفرنساويين في مدينة "باريس" منذ
أشهر قليلة من وجوب قيام حكومة جمهورية فرنسا بحماية نشر الدين
الإسلامي في إفريقيا، وأظهر ما ينجم عن ذلك من المنافع السياسية
والاستعمارية وغيرها، وأنه أقرب تأثيراً في الأنفس، وأقرب إلى
الاتحاد.

قلت: قال ولولا اشتماله على جميع مصالح العباد؛ ما دخله الناس أفواجا أفواجا. فلقد نقل في بعض التواريخ الصحيحة: أن أكثر من مائة مليون من الناس على اختلاف أصنافهم وتغاير أوصافهم قد دخلوا في الدين الإسلامى فى أقل من قرن. ولم يعهد ذلك فى دين من الأديان. ومن هذا. ما نشره أرباب الجرائد فى هذه السنين من أن المتشرفين بالدخول فى الدين الإسلامى فى القرن الماضى أعنى القرن الثالث عشر من القرون الإسلامية أكثر من نحو مائة مليون أيضاً من الأصناف المختلفة فى المسكونة سيما فى قارة إفريقيا .

وهذا سليم بيك حموى المسيحى المصرى صاحب امتياز جريدة الفرح؛ نشر منذ سنة فى العدد ٢١٢ من جريدته المذكورة: أن سكان إفريقيا نحو مائتى مليون بين سود وبيض ومتوسط بينهما؛ صار أكثرهم مسلمين ولم يزل الإسلام يمتد فيهم يوماً فيوماً مع عدم المبشرين به والداعين إليه.

ومن مدة سنتين نشرت جريدة مكارم الأخلاق فى عددها الثانى والخمسين نقلاً عن جريدة الاتحاد وهى عن جريدة الحاضرة أن عدد المسلمين بلغ فى هذه السنين فى العالم ثلاثمائة وأربعين مليوناً وأربعمائة ألف نفس منهم ١٢١٥٠٠٠٠ بأوربا وفى روسيا وجزيرة البلقان و ٨٠٠٠٠٠٠٠ بإفريقيا و ٥٠٠٠٠٠٠٠ بأمريكا والباقي بآسيا وجزائر الأقيانوس منهم ٨٠٠٠٠٠٠٠ بالصين و ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ بالهند.

قال: وإن الوثنيين بالصين والهند وإفريقيا متزاحمون على الدخول في دين الله أفواجا. أكثر الله سواد الإسلام وأعلى كلمة الحق والإيمان.

والحاصل: أن الأمم بأسرها سيما أمم الإفرنج وعلمائهم مع عدم اطلاعهم على حقيقة قضايا الشريعة الإسلامية والحكم القرآنية نراهم ميالين بأطباعهم السليمة إليه. فهذا القسيس الكبير إسحق طيلر الإنكليزي الذي قام خطيباً في محفل حافل من الإنكليز يدعوههم إلى الرجوع إلى الحق من جميع أطرافه، وطرح أردية التعصبات التي تؤل بهم إلى الخسران المبين في الدار الآخرة .

وقد نقل هذه الخطبة سليم بيك حموى المسيحي المصري عن جريدة البارطان غازت الإنكليزية ثم ترجمها من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية ونشرها في جريدته المسماة بالفلاح. ثم نشرها أرباب الجرائد في المسكونة لما اشتملت عليه من الحجج والبراهين القاطعة الدالة على أفضلية دين الإسلام المبين.

وحيث كان لها مناسبة قوية في هذا المقام ولا تخلو عن فائدة بل فوائد؛ أحببت أن أنقلها لك ههنا حرفاً بحرف عن العدد السادس من جريدة مكارم الأخلاق المصرية للفاضل الأديب والحسيب النسيب السيد أحمد أفندي الشريف من أهالي وسكان محروسة القاهرة. وهاك هي بحروفها:

قال قرأ القسيس إسحق طيلر بالأمس صحيفة قال فيها: إن الإسلام من حيث هو دين تبليغي. أي جعل أساسه على تبليغ عقائده

إلى الناس بطريق الدعوة، وإقامة الدليل والحجة، وتفويض الأمر للنظر والفكر فى الوصول إلى المطلوب علمه من تلك العقائد، ولم يحصل أساسه على الإلزام بما لا يعقل بطريق جبرى؛ بهذا نجح فى قطعة عظيمة من العالم نجاحًا يفوق الديانة المسيحية "

تحرير من السامعين

الداخلون فى الإسلام من الوثنيين لا أقول فيهم إنهم أكثر عددًا من الداخلين منهم فى المسيحية فقط، بل أزيد على ذلك أن المسيحية تخس بالفعل بين يدى الإسلام. والمساعى المبذولة لتتصر الأمم المسلمة؛ ترجع إلى الخيبة رجوعًا ظاهرًا. ليس أمرنا واقف عند العجز من إحداث موطئ جديد لأقدامنا فقط ولكن المقام الذى نحن فيه قد نعجز عن حفظه أيضًا. إن الدين الإسلامى قد انتشر آنفًا من "مراكش" إلى "جاوا" ومن "زنجبار" إلى "الصين" وهو الآن ينتشر فى إفريقيا بسرعة لا يأتى عليها الوصف. فقد ضرب هذا الدين بجرانه على أرض "الكونغو" و"زمبيسى" و"أوغاندا" فهذه المملكة القوية الزنجية صارت محمدية من زمن قريب.

التمدن الأوروبى الذى يهدم الوثنية الهندية فى الهند إنما يوطئ طريقًا جديدًا للدين الإسلامى؛ فإن أرض الهند مائتان وخمسة وخمسون مليونًا من السكان فيهم خمسون مليونًا مسلمين، وليس بينهم من المسيحيين إلا النذر اليسير والمسلمون من أهالى إفريقيا يزيدون على نصف سكانها. ولا يتعلق بغرضنا الآن بيان كيفية انتشار الدين

الإسلامى فى بداية أمره، ولكن علينا أن نبين حالته فى ثباته ودوامه وأخذه بقلوب المتمسكين به؛ فإن الديانة المسيحية أقل سطوة منه على القلوب. لذلك ترى القبيلة الإفريقية تدخل فى الدين الإسلامى ثم لا تتردد إلى الوثنية قط ولا تنتصر أبدًا.

نرى الإسلام أوفق ما يكون لتهديب الأمم المتوحشة وترقية حالها. أما الديانة المسيحية فهى أبعد من أن تتألفها عقول السذج وهى على ما نعلم من دقتها : الإسلام قد نفع التمدن أكثر من المسيحية .

تعجب من السامعين

انظروا فى تقارير أرباب المناصب من الإنكليز والعامّة من السائحين انهم اتفقوا على فوائد الدين الإسلامى فى إصلاح الأعمال البشرية. فإن الديانة المحمدية إذا دخلت فى قبيلة زنجية محت من بينها الديانة الوثنية وعبادة الشياطين ورفعتها عن السجود للأباطيل وكرّتها إليها أكل لحوم البشر، وذبح الإنسان، وقتل الأولاد، ونزعتها عن معاطاة السحر، وهيات لها من ذلك كله خلاصًا أبدىًا. وأول ما يبتدأ به الوحشيون بعد الدخول فى الإسلام: لبس الثياب والنظافة ثم تنشأ فيهم عزة النفس ويكسوهم الوقار ويصير قرى الضيف عندهم بمنزلة فريضة شرعية ويندر السكر وينقطع القمار. ولا يبقى أثر للمراقص المخزية ويحظر اختلاط الرجال بالنساء، وتعدّ العفة فى الإنث من خلائق التقوى، ويبدل الكسل بالعمل، وتأخذ الشريعة مكان الأهواء، ويتحكم النظام والكياسة، وتحرم الدماء، وظلم العبيد والبهايم، ثم يفشوا

التناصح بالإحسان والأخوة والإحساس بالوجدان الأنسى. أما الاسترقاق وتعدد الزوجات فيأخذن وجهًا من الترتيب وتمحي مساوئهما.

الجمعية الإسلامية هي المستعيلة على الكل بشدة قواها واجتنابها للمسكرات:

أما انتشار التجارة الأوربية فليس إلا انتشار السكر والقبائح والأخلاق السافلة، والإسلام يروج بين الناس تمدنًا في رتبة غير سافلة لاحتوائه على تعلم القراءة والكتابة وستر العورة والنظافة والصدق والحياء. إن رواج الإسلام وحمله الناس على التمدن من العجائب وما أقل ما نجد لو طلبنا عوضًا للمبالغ الوافرة من الأموال التي أسرفنا في تبذيرها في إفريقيا فالمتصرون يعدّون بألوف، والداخلون في الإسلام يعدون بملايين. تلك أحوال يسؤنا أمرها. وجهلها حماقة.

فيجب علينا أن نتبصر أمراء؛ وهو أن الدين الإسلامي لا يناقض الديانة المسيحية، بل يتفق معها. فإن ذلك الدين صوت إيمان إبراهيم وموسى عليهما السلام وفيه كثير من الأصول المسيحية وهو يخالف اليهودية في أنها كانت خاصة.

وهو دين عام لا يختص بأمة واحدة بل يعم العالم:

المسلمون يعترفون بأربعة مرشدين كرام سيدنا إبراهيم خليل الله، وسيدنا موسى كلیم الله، وسيدنا عيسى كلمة الله، وسيدنا محمد رسول الله. ولسيدنا عيسى مقام جليل في الأربعة. ولو فرضنا أن الديانة

الإسلامية لا ترمى إلى مرامى تعليمات القديس بولس؛ فهي لا تخالف المسيحية بل هي قريبة منها. وهي خير من اليهودية لإقرارها بمعجزات المسيح ونبوته. وفيما يُنسب إلى الديانة المسيحية موضوعات خيالية وضعها بعض الرؤساء من عند أنفسهم؛ فصارت بها الأقوام مشركين في أعمالهم يعبدون جماعة من القديسين والشهداء والملائكة، وظنوا أن من بعض أحكامها أن الوساخة من خصال القديسين. فجاء الإسلام وكسح مجموع هذه المفاصد والأباطيل وأظهر الأحكام الأساسية الدينية، وهي توحيد الله وتعظيمه وبدل الرهبانية بالإنسانية، وأرشد الناس إلى الأخوة الصحيحة ومعرفة الحقائق الأساسية الطبيعية الإنسانية. والدين الإسلامى لا يفرض على الناس خلع سلطان الطبيعة البشرية من مقامها الفطرى، كما تفرض ذلك الديانة المسيحية فى نحو الأمر بمحبة الأعداء مثل محبة النفس والأصدقاء، وبالتجرد عن قنية الأموال، وبإدارة الخدّ الأيسر لمن ضربك على الخد الأيمن وما أشبه ذلك.

لكنه يطالب العقول بما تحتمله كالاعتدال والنظافة والعفة والقسط والثبات والشجاعة وإكرام الضيف. فإذا أكسبهم هذه الخصال سهل لهم طريق الفضائل السامية، وجنبهم جميع الرذائل والكبائر.

الدين المسيحى يطالب بمواخاة الناس كافة:

وتلك غاية لا تتال لكن الإسلام ينادى بمواخاة فعلية يحتوى فيها المسلمون عامة، وهذه الإخوة جعالة عظيمة يقدمها الإسلام للداخلين

فيه. فمن قبل الإسلام دخل فى جمعية مؤتلفة القلوب على الإطلاق، وصار عضواً لمجمع عددهم ١٥٠٥٠٠٠٠٠ والداخل فى الديانة المسيحية جديداً لا ينظر إليه بين النصارى بنظر المساواة لكن الإخوة الإسلامية أمر حقيقى. وهذه أخلاق أهل الإسلام فى إفريقيا وهى الجدير بها المسلمون كافة، ولكن من الأسف أن المسلمين فى جهات كثيرة فقدوا هذه الأخوة الحقيقية. عندنا يا إخوانى كثير من الأحبة فى منبر الكنيسة لكن قليلا ما نشاهدهم فى المعيشة اليومية .

ضحك من السامعين:

حقا إن القرآن بشر بجنة جسمانية لكن لها فى الفضائل الإنسانية التى لا بد منها فى هذا العالم أقوى تأثير. الإسلام لا ينقطع بالإنسان إلى الروحانية المحضة كما ترشد إليه التعاليم المسيحية لكنه المكتب الفرد الذى يمكن أن يتربى فيه الإفريقى ويستعد به إلى الكمال الأعلى من الإيمان. العقبان العظيمتان المانعتان من إسلام أهالى إفريقيا هما تعدد الزوجات والاسترقاق. أما الاسترقاق فليس هو من لوازم العقيدة الإسلامية وإنما رخص فيه الشرع المحمدى لأنه سر اضطرارى كما رخص به موسى ومار بولس. ويد المسلم فيه أرفق وألين من يد المستعبد فى الممالك المتحدة. وتعدد الزوجات فى شرع موسى عليه السلام وعمل بها داود عليه السلام والإنجيل لم يصرح بمنعها مع مخالفتها لأصوله. محمد ﷺ جعل حداً معيناً لعدد الزوجات. فخفف شره ووجدت له منافع كثيرة. فهو الذى نسخ قتل الإناث وأقام لك امرأة قيماً شرعياً وبسببه

خلصت البلاد المحمدية من الفواحش الرسمية، وهى على أعظم شناعة فى المسيحية من تعدد الزوجات على قواعده المنتظمة عند المسلمين أنجح تأثيراً فى صيانة النساء عن الرذائل وأخف ضرراً على الرجال من مخالطة امرأة واحدة لرجال كثيرين تلك لعنة البلاد المسيحية ولا وجود لها فى بلاد الإسلام. الإنكليز الذين يجوزون توارد رجال كثيرين على امرأة واحدة فى المواقير. أى محلات الفواحش لا يليق بهم أن ينكروا على المسلمين الناكحين مثلى وثلاث ورباع.

انصتوا انصتوا:

فلنخرج الجذع الكبير من أعيننا، قبل أن نهتم بإخراج القذى من عيون إخواننا^(١) إن الشرور الأربعة التى نعوها فى البلاد المحمدية وهى تعدد الزوجات والاسترقاق والتمتع بالإماء وإباحة الطلاق ليست من خصائص الإسلام بل كان معمولاً بها على أشنع صورها فى الممالك المتحدة. وهى أرض مسيحية وسكانها من الإخوة الإنكليز إن المعلمين الأوربيين لا يستطيعون أن يدخلوا إفريقيا فى النصرانية. فهذا شئ جرب ولم يفد. فعلينا أن نعدل عن تهيج الخصام بيننا وبين المسلمين وتكذيب نبيهم وتكفيرهم ونجتهد فى تفهيمهم أن المسيحية لا

(١) يشير إلى قول المسيح عيسى عليه السلام فى موعظة على الجبل "لَا تَذِبُوا لَكُمْ لَآئِدَاتُكُمْ، لَآئِدَاتُكُمْ بِالدُّبُونَةِ الَّتِي بِهَا تَذِبُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تُكَيَّلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلَمَّاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَقْطَعُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ: دَعْنِي أَخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهِيَ الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَا مَرَاتِي، أَخْرِجِ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تَبْصُرُ حَيْثُ أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ"

تخالف الإسلام بل تشابهه جداً. وعلينا أن نذكر أن الدين الإسلامي أشد تأثيراً في إخضاع النفوس لمشيئة الله وردعها عن السكر، وحملها على الصدق وتمكين عرى الألفة والإخوة الإيمانية بينهما، وأنفذ فعلاً مما عندنا. فلنا فيهم أسوة حسنة إذا اقتدينا بهم أحسن. إن الإسلام قد نسخ السكر والقمار والبغاء. وهن ثلاث لعنات أهلكن البلاد المسيحية.

"فليعتبر المقامرون حاسبهم الله" الإسلام قريب جداً من المسيحية والمسلمون كأنهم مسيحيون. فتعالوا بنا نساعدكم على الكمال في دينهم ولا نسعى سعياً عبثاً لإبطاله لعلنا نجد في الإسلام مسيحية، ونجد أن محمداً ﷺ آخذاً بعضد المسيح في دينه .

بشاشة من الحاضرين:

انتهى. ولعمري أن هذا القسيس ما أقدم على هذا الأمر إلا لما بحث في كنه الإسلام وعرف مغزاه، وعرف أيضاً في قومه المبادرة إلى الحق والصواب، وكلامه -حفظه الله- وإن كان فيه ضرب من الهذيان في أمر التوفيق بين الديانتين، لكن جُل مقصده من ذلك؛ التوصل إلى غرضه الذي هو تبين فضائل الدين الإسلامي المبين، وكشف الحقيقة لبنى جلدته ليتبعوا الحق والصواب .

وقد نقل الفاضل الشيخ حسين أفندي الجسر الطرابلسي في رسالته الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية: أن رجلاً فاضلاً من علماء الإنكليز المتضلعين في اللغات والفنون قد سعى في بناء معبد

للإسلام في البلاد الإنكليزية. وأنه في عزمه؛ أن يباشر هناك بنشر جريدة عربية ليكون جُل مقصده البحث عن حقيقة الدين الإسلامي وإشهار فضائله لغير العارفين به.

ولقد نشرت جريدة بيروت في العدد ٤٢٩ الصادرة في اليوم التاسع من شهر شوال من سنة سبع وثلاثمائة بعد الألف أن بعض علماء الإنكليز في بلاد الهند دخلوا في الدين الإسلامي بعد البحث والتتقير في سائر الأديان. فحكموا بكونه الدين الحق، وأخذوا ينصحون جماهير الخلق ويدعونهم إلى الإسلام علناً فنجحوا في فعلهم. وأخذ الإسلام ينتشر في أقطار المسكونة ولا سيما في الهند والبرتوغال وجزائر صوماترا.

وذكرت جريدة لافجري أن عدد المسلمين زاد في صوماترا زيادة عظيمة منذ عشر سنين إلى الآن. فإن المجوس وعبداء الأوثان اهتدوا إلى الإسلام بواسطة الوعاظ من المسلمين الذي ساروا إلى هناك وأخذوا يحضونهم بالتبشير والإنذار؛ فدخلوا في دين الله أفواجا، ونبذوا نحلهم السيئة، تاركين الخرافات والأضاليل .

وقال أحد العثمانيين الذين ساروا إلى جزيرة صوماترا:

إن الأهالي المقيمين في الثغور قد خضعوا لحكومة البرتوغال بخلاف المقيمين في الجبال فإنهم كثيرا ما تاقوا إلى استجلاب الدولة العلية العثمانية لحمايتهم. ومع ذلك فإن فيهم من العلماء الأعلام من

يطوف فى الضياع والقرى وينشرون دين الإسلام بين النصارى
النساطرة والمجوس وغيرهم. فتجتمع فيهم أحكام الدين المبين.

وبالجملة فإن الإسلام أخذ الآن ينتشر فى تلك الجهات انتشاراً
عظيماً لم يسبق له مثيل فى غابر الأزمان أ هـ.

وفى هذه الأيام لقد شاعت وذاعت الأخبار فى جميع الأقطار من
القرى والأمصار بأن سبعين شخصاً من نصارى الإنكليز فى مدينة
ليفربول وخمسة أنفار من نصارى لوندرة. فالجملة خمسة وسبعون
شخصاً من نصارى الإنكليز قد اعتنقوا الدين المحمدى من تلقاء
أنفسهم. وهؤلاء الجماعة المؤمنون ظهوروا بمظهر جماعة خاصة،
ونصبوا عليهم رأساً اسمه الموسيو وليم. وهو أول من اعتنق هذا الدين
المتين فى مدينة ليفربول. وقد اتفقت آراء هؤلاء المسلمين على عقد
مجلس مخصوص برئاسة الموسيو وليم المشار إليه للقيام بأمور الدين
فى الجمعة وإجراء المواعظ. وقد اتخذوا لهم مسجداً. عدا ذلك المجلس
فهم يجتمعون يومياً فى الأوقات الخمسة لإقامة الصلوات بعد الأذان
المحمدى.

وقد ألف المسيو وليم كتاباً فى اللغة الإنكليزية لإثبات حقيقة دين
الإسلام وطبعه وأذاعه، وقد وصل هذا الكتاب إلى مسلمى الهند
وترجموه إلى لغة أردو. وقد ترجم أيضاً: إلى اللغة العربية وطبع فى
مدينة بيروت الجليلة بمطبعة جمعية الفنون فى سنة تسع بعد الثلاثمائة
والألف، ونشر أيضاً وهو كتاب وجيز اسمه اعتقاد الإسلام. ثم إن

المومى إليه قد ألف كتابًا آخر فى الحكم الإسلامية. وهو الآن تحت الطبع على قدم النشر.

وقد أبان الموسيو وليم -المومى إليه- أنه على استعداد تام للاهتمام بنشر الدين الإسلامى فى انكلترا بما هياها من الوسائل والأسباب اللازمة لذلك. وهذه الأخبار قد نشرتها جريدة الثمرات فى العدد ٨١٨ الصادر فى ٩ جمادى الثانية من سنة ٣٠٨ بعد الألف نقلًا عن جريدة المذهب.

وقد ذكرت جريدة الثمرات أن هؤلاء المؤمنين الملتهبين غيرة فى حب الله وطلب الحق يسعون بجملتهم ويبدلون جهد الطاقة آناء الليل وأطراف النهار فى أن يدخلوا إنكلترا فى الملة الإسلامية مدفوعين إلى هذه الغيرة بآمالهم ونياتهم الدينية -أكثر الله سواد الإسلام وأعلا كلمة الحق والإيمان-

فهل لك يا صاحب البرهان أن تطرح عنك رداء التعصبات وتقتدى بهؤلاء العلماء الأعلام الذين كانوا من أبناء جلدتك وأهل مذهبك، ثم قادهم طبعهم السليم إلى اتباع الحق واليقين فتفوز معهم فوزًا عظيمًا بنيل السعادة الأبدية والحياة السرمدية أو تقتدى بالعالم الألمانى المدعو شومان من أهالى مدينة هاتوره، الذى جنحت نفسه الشريفة إلى التشرف بالدخول فى الدين الإسلامى الجليل وقدم عريضة لحضرة مولانا شيخ الإسلام السابق يلتمس من لدنه التفضل عليه ببيان حقيقة الدين وما يجب أن يعمل به . فإذا كان ذلك الفيلسوف الأعجمى مع

جهله اللغة العربية وعدم اطلاعه على حقيقة كتاب الله تعالى وما فيه من الحكم والأخبار بل لمجرد الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة؛ انجذب ميله إلى الانقياد للإسلام والاندرج في سلك أهل السلام. فلعمري إنك أيها القسيس الهمام أجدر بأن يقودك طبعك السليم إلى إتباع الحق واليقين. إذ على ما بلغني من بعض الصحب أنك ممن ربي بين تجار العلم والأدب وطالع المعقول والمنقول وحاز قصبات الفنون.

فإن كان حضرة القسيس جعل تلك العلوم والمعارف تدرعاً للمباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات أو إلى اكتساب حطام الدنيا الفاني من درهم ودينار؛ فقد أثقلنا أسفاً على ضياع وقته فيما لا يعنى، وأوجع خواطرنا فيما لا يغنى. وليس ذلك من البر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ ويقال: من غلب عقله على هواه؛ نجا، ومن غلب هواه على عقله؛ فقد ضل وغوى. ولا عذر لأحد في جهل الدين الحق المخلص من الجحيم، والموصل إلى النعيم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وحجة الله قد قامت على الخلق بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وقد أرسل نبينا محمد ﷺ إلى جميع العقلاء من الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿ فاسمع النصح هداك الله إلى سبيله القويم
وصراطه المستقيم وإن كان فى نفس حضرة القسيس شبهة فى ذلك
الدين القويم أو خدعة خدعها له الشيطان الرجيم؛ فها أنا أدعوه، ومعه
عقله السليم إلى الحضور لوطنى، ومحل إقامتى مدينة نابلس التابعة
إدارتها إلى ولاية بيروت الجلية. وأنا بفضل الله تعالى أزيل كل شبهة
قامت فى نفسه، وأدفع كل خدعة خدعها له الشيطان الرجيم، حتى يعود
إن شاء الله تعالى مسلماً مؤمناً بكل ما جاء به سيد الأنام فى قليل من
الأيام. ويذهب والأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ذاهبة معه فى
الكليات والجزئيات التى يريد الوصول إليها وصولاً ينفى الشكوك
والأوهام.

وهكذا أدعو غيره ممن يريد الوقوف على حقائق الدين المبين
الظاهرة والباطنة، وكان ممن سبقت لهم السعادة بحيث يأتى خالياً عن
ظلمات التعصبات التى تؤول به إلى الخسران المبين فى الدار الآخرة.
ومهما سألتنى عن شئ؛ أحدث له منه ذكراً. والله ولى التوفيق لا رب
غيره ولا معبود سواه.

أقسام الدين

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فالأمر المتعلقة بالدين التي يخاطب الإنسان بمعرفتها ثلاثة أقسام قسم يدرك بمجرد إرشاد العقل دون هداية الوحي كوجود إله واتصافه بالحكمة والقدرة والعدل وهلم جرا فإنه مستفاد عقلاً لأن العاقل متى رأى شيئاً مصنوعاً يحكم بعقله أن هذا المصنوع لا بد له من صانع موجود يبرزه من حيز العدم إلى حيز الوجود وما استفيد هذا الحكم إلا من العقل وكذلك يستدل به على بعض صفات الصانع ككونه قادراً مثلاً إذ لو كان عاجزاً لما وجد هذا المصنوع. وقسم لا مدخل لإرشاد العقل فيه البتة بل لا يدرك إلا بعد الهداية الإلهية وحصوله يكون بواسطة إلهام ووحي إلهي فمن هذا القسم صفة الذات الإلهية على أي هيئة هي وبعض صفاته الأخرى وأحوال الآخرة وكيفية العبادة المرضية لله والأحكام الشرعية. وقسم يدرك بنور العقل نوعاً ما غير أنه يحتاج زيادة تبين وتأکید إلى إرشاد يفوق إرشاد عقله القاصر العاجز عن معرفة أمور الملكوت وهي الوحي الإلهي كالبعث وما يناله الإنسان بعد الموت من ثواب وعقاب. ولما كان أصحاب الأديان المدعون بالكتب الإلهية متفقين على افتقار الإنسان إلى الهداية الإلهية بواسطة الوحي لم نحتج لإيراد أدلة وبراهين مثبتة لحقيقة هذا الأمر "

أقول: إن ما أورده حضرة القسيس في هذه المقالة من أمر الافتقار إلى الهداية الإلهية التي هي الوحي الإلهي بواسطة الرسل

الكرام؛ أمر مسلم عندنا معاشر المسلمين. وحيث أنه أقر واعترف أن أصحاب الأديان متفقون على افتقار الإنسان إلى الهداية الإلهية بواسطة الرسل؛ فلا نطيل فيه الكلام وإن كان هذا البحث من أهم الأبحاث لتجرب بعض الملحدين في هذه الأيام على القدح في بعثة الرسل الكرام بأنها لا حاجة إليها للعباد، وأنها بأى دليل من جهة العقل تثبت. لكن غرضنا بهذا الكتاب المختصر: الرد على صاحب البرهان في أقواله التى أخطأ فيها طريق الحق والصواب، وإن شاء الله تعالى نفرد فى ذلك البحث رسالة مستقلة تشفى العليل وتروى الغليل.

الهداية الإلهية

"ولما كان الإنسان مفتقرًا إلى الهداية الإلهية وكان لها ثمرتان: الأولى الوقوف على معرفة الأمور التي لا مدخل للعقل فيها رأسًا؛ أنعم الله قديمًا على بنى آدم بإرسال رسل كرام وعلمهم حقيقة الهداية وأمرهم بتبليغها فبلغوها تبليغًا تامًا وأمرهم بكتب ما أوحى إليهم من نور وهدى وموعظة وقصص اقتضت الحكمة الإلهية ذكرها لئلا تفقد أو تعثر بها زيادة أو نقص أو تبديل "

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق إن ما ذكره حضرة القسيس من أن الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- بلغوا ما أوحى إليهم تبليغًا تامًا؛ أمر مسلم عندنا معاشر المسلمين لأن الأنبياء الكرام كما أنهم معصومون في غير التبليغ؛ فكذا في التبليغ، بل وجوب عصمتهم في التبليغ من باب أولى. إذ لو جاز عليهم الكذب في التبليغ لفات الغرض من بعثتهم ورسالتهم الذى هو إصلاح العباد. فكلام حضرة القسيس هنا فى محله هو الحق. لكن يا أسفى يا أسفى لو كانت كتبهم المقدسة تساعد على هذه الدعوة المسلمة عند ذوى العقول السليمة والأفكار المستقيمة، لكنها كما تصرح بتفسيقهم وتكفيرهم وعدم عصمتهم فى غير التبليغ، فكذا تصرح وتنادى بأعلى نداء بعدم عصمتهم فى التبليغ والعبارات الواردة فى التوراة الدالة على كذبهم فى التبليغ كثيرة جدًا لا يمكن حصرها إلا بكلفة. فما ورد فيها مصححًا لما

ذكر ما جاء فى الأصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول من الترجمة المطبوعة فى مدينة لندن سنة ١٨٤٨ من الميلاد "وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت آيل ويربعم واقف لدى المذبح لكي يوقد فنادى نحو المذبح بكلام الرب وقال يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا و يذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك و تحرق عليك عظام الناس وأعطى فى ذلك اليوم علامة قائلاً هذه هي العلامة التي تكلم بها الرب هوذا المذبح ينشق و يذرى الرماد الذي عليه فلما سمع الملك كلام رجل الله الذي نادى نحو المذبح فى بيت آيل مد يربعم يده عن المذبح قائلاً امسكوه فيبيست يده التي مدها نحوه ولم يستطع أن يردها إليه وانشق المذبح وذري الرماد من على المذبح حسب العلامة التي أعطاهما رجل الله بكلام الرب فأجاب الملك وقال لرجل الله تضرع إلى وجه الرب إلهك وصل من اجلي فترجع يدي إلي فتضرع رجل الله إلى وجه الرب فرجعت يد الملك إليه وكانت كما فى الأول ثم قال الملك لرجل الله ادخل معي إلى البيت وتقوت فأعطيك أجرة فقال رجل الله للملك لو أعطيتني نصف بيتك لا ادخل معك ولا أكل خبزاً ولا اشرب ماء فى هذا الموضع لأنى هكذا أوصيت بكلام الرب قائلاً لا تأكل خبزاً ولا تشرب ماء ولا ترجع فى الطريق الذي ذهبت فيه فذهب فى طريق آخر ولم يرجع فى الطريق الذي جاء فيه إلى بيت آيل وكان نبي شيخ ساكناً فى بيت آيل فأتى بنوه و قصوا عليه كل العمل الذي

عمله رجل الله ذلك اليوم في بيت آيل و قصوا على أبيهم الكلام الذي
تكلم به إلى الملك فقال لهم أبوهم من أي طريق ذهب وكان بنوه قد
رأوا الطريق الذي سار فيه رجل الله الذي جاء من يهوذا فقال لبنيه
شدوا لي على الحمار فشدوا له على الحمار فركب عليه و سار وراء
رجل الله فوجدته جالسا تحت البلوطة فقال له أنت رجل الله الذي جاء
من يهوذا فقال أنا هو فقال له سر معي إلى البيت وكل خبزا فقال لا
اقدر ان ارجع معك ولا ادخل معك ولا اكل خبزا ولا اشرب معك ماء
في هذا الموضع لأنه قيل لي بكلام الرب لا تأكل خبزا ولا تشرب
هناك ماء ولا ترجع سائرا في الطريق الذي ذهبت فيه فقال له أنا
أيضا نبي مثلك وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلا ارجع به معك إلى
بيتك فياكل خبزا ويشرب ماء كذب عليه فرجع معه وأكل خبزا في
بيته وشرب ماء و بينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى
النبي الذي أرجعه فصاح إلى رجل الله الذي جاء من يهوذا قائلا هكذا
قال الرب من اجل انك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التي
أوصاك بها الرب إلهك فرجعت وأكلت خبزا وشربت ماء في الموضع
الذي قال لك لا تأكل فيه خبزا ولا تشرب ماء لا تدخل جثتك قبر آبائك
ثم بعدما أكل خبزا وبعد أن شرب شد له على الحمار أي للنبي الذي
أرجعه وانطلق فصادفه أسد في الطريق وقتله وكانت جثته مطروحة
في الطريق والحمار واقف بجانبها والأسد واقف بجانب الجثة وإذا
بقوم يعبرون فرأوا الجثة مطروحة في الطريق والأسد واقف بجانب

الجثة فاتوا واخبروا في المدينة التي كان النبي الشيخ ساكنا بها ولما سمع النبي الذي أرجعه عن الطريق قال هو رجل الله الذي خالف قول الرب فدفعه الرب للأسد فافترسه وقتله حسب كلام الرب الذي كلمه به وكلم بنيه قائلا شدوا لي على الحمار فشدوا فذهب ووجد جثته مطروحة في الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثة ولم يأكل الأسد الجثة ولا افترس الحمار فرفع النبي جثة رجل الله ووضعها على الحمار ورجع بها ودخل النبي الشيخ المدينة ليندبه ويدفنه فوضع جثته في قبره وناحوا عليه قائلين آه يا أخي وبعد دفنه إياه كلم بنيه قائلا عند وفاتي ادفنوني في القبر الذي دفن فيه رجل الله بجانب عظامه ضعوا عظامي لأنه تماما سيتم الكلام الذي نادى به بكلام الرب نحو المذبح الذي في بيت ابل ونحو جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة" انتهى.

فهذه الحكاية التي لها حق بأن تفتخر برواجها على حكايات كتاب ألف ليلة وليلة؛ صريحة في عدم عصمة الأنبياء في التبليغ أيضا. وهذا النبي الشيخ الصادق في النبوة الذي ثبتت رسالته الحق ونزل عليه الوحي من قبل الرب وهما على المائدة؛ قد افتري على الله وكذب في التبليغ وخدع النبي الآخر رجل الله المسكين وألقاه في غضب الرب حتى افترسه الأسد وقتله وحرّم الله عليه أن يدخل قبر آبائه. فثبت من هذا: عدم صحة دعوى القسيس في أمر التبليغ على حسب أصولهم وكتبهم المقدسة. وما ذكره وعرض به من أن الرب أمر الأنبياء بكتب

ما أوحى إليهم لئلا تفقد أو يعترئها زيادة أو نقص أو تبديل؛ غير صحيح أيضاً. إذ الغاية غير محققة. ولا يلزم من كتب الكتاب عدم فقدانه فيما بعد ذلك أو إدخال الزيادة فيه أو الإخراج منه أو تبديل بعض مضامينه بمضامين أخرى.

وهذه كتبهم المقدسة عندهم المنسوبة إلى الأنبياء الكرام المسماة بالتوراة والإنجيل مشحونة بالأغلاط والاختلافات الكثيرة. وما ذلك إلا بسبب وقوع التغيير والتبديل والزيادة والنقص. وستقف على كثير من ذلك في محله إن شاء الله تعالى بالتفصيل الشافى والبيان الكافى. فما عرّض به هذا القسيس ههنا من عدم وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل^(١) غير صحيح ومخالف للحس والمشاهدة، ولتصريح علماء اليهود ولتصريح المحققين من علماء المسيحيين كالمفسر آدم كلارك الذى هو من المفسرين المشهورين من فرقة بروتستنت، ولتصريح كثير من علماء هذه الفرقة وغيرها من فرقة المسيحية. كما عرفت

(١) شك المسيحيين فى الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام:

فى تفسير الكتاب المقدس - جماعة من اللاهوتيين ما نصه:

"كثير من العلماء يُنكر بشدة الأصل الموسوى لهذه الأسفار الأولى، ويقسمون كل الأسفار الخمسة إلى طبقات يرجع أصلها إلى مدد مختلفة من تاريخ إسرائيل. هذه الطبقات تدعى "مصادر" أو "وثائق" ويفرضون أنها لم تُوصَل ببعضها لتكون الوحدة الحاضرة قبل زمن عزرا الكاتب..." [ص ٤٧ ج ١] وهذا معناه: أن التوراة الحالية المنسوبة إلى موسى عليه السلام من كتابه عزرا. فى مدينة بابل من بعد موسى بنحو ألف سنة.

ذلك فيما تقدم وستعرف غيرها فيما يأتى إن شاء الله تعالى بما يشفى
العلة ويروى الغلة.

وأما ما فقد ضيّع من كتبهم المقدسة؛ فكثير جداً وقد علمت أيها
الليبيب فيما تقدم من قول الفاضل كريساستم وعلماء كاثوليك أن اليهود
ضيعوا كتباً من الكتب الإلهية، لا لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم
ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها. والكتب المفقودة التى أفصلها لك الآن
لا مجال لفرقة بروتستنت ولا لفرقة المسيحية ولا لأحد من العالم أن
ينكر فقدانها من العهد العتيق والجديد. فما فقد وضيع هذه:

الأول:

كتاب سفر حروب الرب الذى جاء ذكره فى العدد الرابع عشر
من الأصحاح الحادى والعشرين من سفر العدد من توراة موسى عليه السلام
"قال هنرى واسكات فى تفسيره: الغالب أن موسى كتب هذا السفر
لتعليم يوشع وكان فيه بيان حدود أرض موآب" انتهى سفر ياشع الذى
جاء ذكره فى العدد الثالث عشر من الأصحاح العاشر من كتاب يوشع.
وكذا جاء ذكره فى العدد الثامن الأصحاح من سفر صموئيل.

الثانى:

الثالث والرابع:

سفر أخبار ناثان النبي وسفر أخبار النبي جاد الرائي الغيب.
الذين جاء ذكرهما في العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع والعشرين
من سفر أخبار الأيام الأول.

الخامس والسادس:

كتاب شمعي وكتاب عدو الرائي الغيب. الذين جاء ذكرهما في
العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر أخبار الأيام
الثاني.

السابع والثامن:

كتاب مشاهدات عدو الرائي وكتاب نبوة أخيا الشيلوني النبي
الذين جاء ذكرهما في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح التاسع من
سفر أخبار الأيام الثاني. وفي هذا العدد ذكر كتاب ناثان النبي أيضا.
التاسع:

كتاب ياهو النبي ابن حنانى الذى جاء ذكره فى العدد الرابع
والثلاثين من الأصحاح العشرين من سفر أخبار الأيام الثاني.
العاشر:

إنجيل المسيح الذى جاء ذكره فى العدد السادس والسابع من
الأصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية. ويُعلم من كلام هذا
القديس فى هذين العديدين أن المحرفين كانوا بصدد تحريف هذا
الإنجيل وقتئذٍ. وهذا هو بعد زمانه قد فقد بالكلية، ولم يبق له إلا الاسم
كالعنقاء.

فكل هذه الكتب العشرة التي جاء ذكرها في كتبهم المقدسة قد انفقوا وانمحت عن صفحة العالم، ولم يبق لها إلا الاسم. ولا يقدر أحد من أهل الكتاب أن ينكر فقدانها.

ولا أقول إن كتب الأنبياء المفقودة تزيد من مائة كتاب. بل أقول ههنا كما قال حضرة طامس انكلس من علماء فرقة كاثوليك في كتابه المسمى بمرآة الصدق الذي طُبِعَ في لسان الهند سنة ١٨٥١ ومعنى عبارته هكذا: "اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست أقل من عشرين كتابًا" انتهى .

ومن هنا تعلم أيها اللبيب: أن ما ادعاه صاحب "البرهان" في هذه المقالة غلط أو تغليط، منشأه التعصب المحض. وحيث عرفت أن كثيرًا من كتب الأنبياء قد انمحت عن صفحة العالم وليس لها الآن وجود بالكلية وكان من علماء أئمة المسلمين من نقل عن الكتب الإلهية بعض بشارات محمدية، ولم توجد^(١) الآن في كتبهم المتداولة عندهم؛ تعلم

(١) البشارات بالنبي محمد ﷺ موجودة في التوراة والإنجيل تحت كلمة "المسيح" أو كلمة "المسيح الرئيس" فالنبي ﷺ بحسب لسانهم هو "المسيا" أو "المسيح" ويزعم النصارى أن عيسى بن مريم عليه السلام هو "المسيا" وزعمهم باطل. فإنه "مسيا" مثل أى نبي فى بنى إسرائيل، وهو أيضا "مسيح" مثل أى نبي فى بنى إسرائيل. فإن كل واحد منهم كان يلقب بمسيا أو بمسيح. ولكن "المسيا" بالآلف واللام هو النبي الأتى إلى العالم وعبر عنه بالآلف واللام للدلالة على تميزه عن غيره. والذين يعرفون لغات اليهود وألقاب هذا النبي هم الذين يعرفون كل البشارات عنه في التوراة. وأذكر ههنا نصا من

كتبهم يظهر ألقاب هذا النبي وأوصافه:

فى تفسير الكتاب المقدس -جماعة من اللاهوتيين ص ٩٣ تحت عنوان التنبؤ والرجاء بالمسيا ما نصه:

"يوجد جانب مهم آخر لعمل الأنبياء، لا ينبغي إغفاله، فى محاولة تقدير عملهم، نحو إعداد إسرائيل للقيام بنصيبها فى فداء البشر. فبالإضافة إلى عملهم فى استخلاص دروس من الماضى، وتبيان واجبات الحاضر، فلقد وجهوا انتباه الناس إلى المستقبل. ففكرة "يوم الرب" الذى فيه يعلن نفسه بقوة، لم تكن جديدة فى القرن الثامن ق.م وكان الرأى الشائع، يعنى غالباً، وقتاً فيه تنتصر إسرائيل، ويهلك أعداؤها هلاكاً تاماً. وقد صرح الأنبياء من الناحية الأخرى أن ذلك اليوم سيكون للشعب العاصى، يوم ظلام لا نور. وصفات الله تبدو جليلة فى عقاب الأثمة، سواء أكانوا أمماً أم إسرائيليين، فإن التمتع بامتيازات أسمى ليس ملجأً للمذنبين، بل هو بالأحرى، تأكيد لعقاب أشد.

على أنه كان هناك للنظرة النبوية جانب أكثر إشراقاً. فقد أشار الأنبياء إلى المستقبل، ليس فقط لإشعار الخطاة وارهابهم بإدراك قضاء يهوه العادل، بل كشفوا، بالإضافة إلى ذلك، إتمام غرضه المجيد لشعبه المختار. فلقد كانت إسرائيل بحاجة، كغيرها من الأمم، إلى مثل أعلى، توجه حماسها وقواها لإدراكه. وكان من الضرورى أن تثار حياتها الأدبية بالرجاء، كما تثار بالذكرى. وقد مرت عليها حقبة فى تاريخها كانت تستهويها أعمال الشعوب التى حولها. ووجهت قلبها وطموحها، للحصول على قوة متزايدة كاسحة وعلى ثروة من دخل يأتىها من تجارة ممتدة إلى أطراف بعيدة. لكن هذه الأحلام للحصول على إقبال عالمى ونفوذ دنيوى، تحطمت بسلسلة من الهزاتم والنكبات. إلا أن الرجاء لم يخدم وتعليم الأنبياء ركز الانتباه على مهمة الأمة الحقيقية، ووبخ القنوط، وذلك برويا مجد مستقبل، يفوق كثيراً أسمى ما حصلت عليه الأمة فى ماضئها المجيد. ومع أنه كان على الأمة أن تقاسى، نتيجة لخطاياها، آلاماً مريرة، فتفقد الأرض، والهيكل، والاستقلال، إلا أنه سيأتى وقت فيه يرجع الشعب، ويطهر، ويغتنى، وينمو، ويكون قادراً أن يعلم شعوب العالم معرفة الرب، ويرشدهم فى طريق البر

والسلام. وإتمام هذه المواعيد هو غالبا مرتبط بشخص فريد يوصف بأوصاف متعددة، وأطلق عليه في الأيام الأخيرة لقب المسيا، ولو أن هذا اللقب لم يُذكر كاسم علم إلا مرة واحدة في الأنبياء (٩١د : ٢٦، ٢٥) إنما ذكرت تنبؤات عديدة عن هذا الشخص الآتى من وقت بذرة الإنجيل (Protoevangelium) (تك ٣ : ١٥) فصاعدا. لكن النبوات المتعلقة بالمسيا بلغت ذروتها في أنبياء القرن الثامن ق.م وما بعده. فهو يبدو في كتاباتهم المثل الأعلى للنبي والكاهن والملك. والصورة للنبي تتجلى واضحة في الجزء الثانى من إشعياء، حيث يوصف كعبد الرب، الذى دعى من البطن (٤٩ : ٢) وفمه كسيف حاد، وهو نفسه سهم مبرى في كنانة الرب (٤٩ : ٢) توقظ أنه كل صباح ليسمع كالمتعلمين. وهو يعرف كيف يغيث المعبي بكلمة في حينها (٥٠ : ٤) ورسالته هي بشارة للودعاء (٥١ : ١) وهو رقيق في معاملة المتضايقين ورد الساقطين وهو لا يقيم فقط أسباط إسرائيل، بل يكون نوراً للأمم، وخلصا إلى أقصى الأرض (٤٩ : ٦) وهو إذ يعتمد على معونة الله، يقوم بعمله بكل عزم وبكل ثقة، إزاء الازدراء والهوان والاضطهاد (٤٩ : ٧، ٥٠ : ٥-٧)

وقد كانت دعوة إسرائيل طبعاً، هي أن يكون نبيا للشعوب، والنبي المثالى، يمثل من هذه الوجهة، كل ما كان على إسرائيل أن يكونه. إنما توجد ناحية أخرى لهذه الصورة النبوية. هذا العبد يرى ظافراً عن طريق الألم. فرسالته ليس من يصدقها، وشخصه محتقر ومردول، وآلامه يساء فهمها، وهو يساق إلى الذبح، صامتا لا يحتج، ويقطع، ويجعل مع الأشرار قبره، مع أنه لم يفعل ظلماً ولم يوجد في فمه غش. لكنه يتألم من أجل الخطايا شعب الله، التى وضعت عليه. وعندما تجعل نفسه ذبيحة اثم عنهم، يقام من الأموات، ليقسم غنيمة مع الأعداء، ويفرح في تبرير الكثيرين. وهكذا يتم نجاحه عن طريق الموت (اش ٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢) والعهد الجديد يفهم هذا الفصل باعتبار أن أمامه فردا واحدا (انظر أع ٨ : ٣٥) هو الرب يسوع المسيح، ولا يفسره عن آلامه بجملتها.

أما فى الوقت الذى أعقب السبى، فيتكلم زكريا عن كاهن مثالى، هو أيضا فى نفس الوقت ملك متوج. ويبدو طبيعيا جدا أن نأخذ هذه الكلمات كأنها تشير إلى وظيفتين مارسهما شخص واحد. وهذه الصورة المثالية لا تتجلى بوضوح فى الأنبياء الآخرين، لكنها سبق أن ظهرت فى مز ١١٠ وفى العهد الجديد حيث تظهر أنها الفكرة الرئيسية فى الرسالة إلى العبرانيين.

إنما أوضح تمثيل وأشهر رمز للمسيا، نجاه فى الملك الداودى. فهو يخرج من نسل داود، فى ظروف متواضعة (إش ١١: ١) ويحل عليه الروح السباعى، ولهذا لا يقضى بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل بإدراك أدبى حقيقى. وحكمة يتميز بالبر، والإنصاف، والأمانة والعدل. وتحت حكمه الصالح تختفى القوة الوحشية، والشر الأدبى، عندما تغطى معرفة الرب الأرض. هو محط أنظار الشعوب، وفيه يجد اليهود والأمم مشتهاهم (إش ١١) وعلى عكس غيره من الملوك والعاهلين، هو لا يحصل على ملكوته، ولا يحميه بالقوة المادية. فهو لا يحتاج إلى قوة الفرسان، ولا المركبات، بل هو وديع راكب على أتان. لكن مع ذلك يمتد سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى النهر إلى أقاصى الأرض (زك ٩: ٩، ١٠).

وتوجد مجموعة أخرى من الفصول تعطى دعاوى اسمى للحاكم المنتظر. فإشعيا يدعو به بكل جلاء، الإله القدير (٩: ٦) وارميا يطلق عليه لقب "الرب برنا" (٢٣: ٦) وميخا يصرح أن مخرجه منذ القديم منذ أيام الأزل (٥: ٢) ودانيال يتنبأ بأن "سلطانه أبدى لن يزول" (٧: ١٤) ونفس الإشارة عن العظمة الإلهية لشخصه ترى فى فصول أخرى، حيث لا تبدو فكرة الملكية بوضوح. ففى زكريا يوصف أنه رفيق لرب الجنود (١٣: ٧) وملاخى يعد أن الرب، رسول العهد، سيأتى بغتة إلى هيكله (٣: ١).

هذه مختارات قليلة من عدد كبير من الاشارات إلى المخلص فى الأنبياء المتأخرين، وهى تكفى، على أى حال، لتبين الخطوط الرئيسية لتدرج النبوات الخاصة بالمسيا فى هذه القرون، ولتشير إلى الطرق التى تكلم بها الأنبياء، عندما رأوا فى الأفق البعيد مجده يشرق ببهاء سماوى.

بالبداهة واليقين أن تلك البشارات كانت منقولة عن أمثال هذه الكتب
المفقودة. فلتبه ولا تكن من القوم الغافلين.

الهدى والنور فى التوراة والإنجيل

فالكتب القديمة التى اشتملت على ما أوحاه الله سبحانه وتعالى
للأنبياء فى الأمور المتعلقة بالدين والوسائل الموصلة إلى السعادة
الأبدية هى التوراة والإنجيل وأتى على صحة ذلك القرآن حيث أتى فى
سورة آل عمران ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ
﴿ وفى سورة المائدة ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ
وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وفى
سورة العنكبوت ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنزَلَ إِلَيْنَا وَأَنزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهِنَا وَالْهِكْمُ وَاحِدٌ وَمَنْ لَّهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وفى سورة
الشورى خطاباً لمحمد ﷺ ﴿ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ
رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: ما استدل به هذا
القسيس صاحب "البرهان" من الآيات القرآنية على أن التوراة والإنجيل
أنزلهما الله قديماً نوراً وهدى للناس فهو صحيح^(١) ولا ينازع فى ذلك

(١) بقول المؤلف: إن الله وصف التوراة من قبل التحريف بالهدى والنور. وإن التوراة
من بعد التحريف لا توصف بالهدى والنور. وكلامه صحيح. ولكنه لم يأت بآيات من
القرآن تدل على أن التوراة من بعد التحريف صارت ظلمات. ففى أول سورة إبراهيم ﴿

مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما النزاع في هذه الكتب المتداولة عند أهل الكتاب المسماة عندهم بالتوراة والإنجيل المشتملة على تفسير الأنبياء الكرام وتلقيصهم وإهانتهم وتكفيرهم، الواقع فيها الأغلاط والاختلافات الكثيرة؛ هل اعترأها التغيير والتبديل والزيادة والنقصان أم لا؟ فالقرآن الكريم ما شهد لهذه الكتب بالصحة ولا تعرض لها بشئ من ذلك غير أنه كذب غالب مضامينها، وذم أهلها على تحريفها، ولبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يعلمون، وإرادتهم لإطفاء نور الله بأفواههم. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. فاحتجاج صاحب البرهان بشهادة القرآن للتوراة والإنجيل المنزلين من عند الله ﷻ بأنهما نور وهدى للناس على صحة النسخ المتداولة الآن ليس في محله، بل هو تغليط وتمويه محض. منشأه التعصب من سوء الفهم. فإن التوراة عندنا معاشر المسلمين ما أوحى إلى موسى عليه السلام والإنجيل ما أوحى إلى عيسى عليه السلام وأتى على صحة ذلك القرآن حيث جاء في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أى التوراة وفي سورة

الرَّكَابِ أَرْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُؤْتِي لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحْبِبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

المائدة فى حق عيسى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وفى سورة مريم حكاية عن كلام عيسى عليه السلام: ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾ أى الإنجيل وفى سورة البقرة وآل عمران: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ أى من التوراة والإنجيل. فهذان الكتابان الجليلان اللذان جاء ذكرهما فى القرآن.

وأما هذه التواريخ والرسائل المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا ويعقوب ويهوذا وبطرس وبولس وراعوث والقضاة والخُرمة أستير ونشيد الأنشاد وهوشع وصموئيل وعزرا وأخبار الأيام وغيرها من الكتب والرسائل الموجودة الآن المسماة بالعهد العتيق والجديد؛ ليست هى التوراة والإنجيل المذكورين فى القرآن الكريم؛ فليسا واجبي التسليم عندنا معاشر المسلمين، بل حكمهما: أن كل رواية من روايتهما إن صدقها القرآن المجيد الذى ثبتت صحته بالتواتر العام وقام البرهان القاطع على صدقه وصدق من جاء به؛ فهى مقبولة يقيناً، وإن كذبها القرآن؛ فهى مردودة يقيناً. قال الله تعالى فى سورة المائدة خطاباً لنبيه الأكرم ورسوله الأفخم محمد ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ أى رقيباً وشاهداً وأميناً على سائر الكتب المنزلة. وفى معالم التنزيل للبغوى فى ذيل تفسير هذه الآية الشريفة: "ومعنى أمانة القرآن: ما قاله ابن جريح رحمه الله القرآن أمين على ما قبله من الكتب، فما أخبر أهل الكتاب عن كتبهم. فإن كان فى القرآن؛ فصدقوه وإلا فكذبوه. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضياً. وقال الخليل:

رقيباً وحافظاً. ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدق القرآن؛ فهو كتاب الله وما لا؛ فلا" انتهى.

وحيث كان هذا القرآن المجيد مكذباً ومبايناً لغالب مضامين هذه الكتب المتداولة المسماة بالتوراة والإنجيل؛ علمنا بالبداهة واليقين أنهما ليسا اللذين قال الله في حقهما على لسان رسوله ﷺ ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَى النَّاسِ ﴾ وأما آية سورة المائدة التي استدلت بها صاحب البرهان على صحة التوراة والإنجيل الموجودين الآن؛ فلا دليل على صحة تلك النسخ ولا على صحة النسخ الموجودة في زمن الحضرة النبوية أيضاً. فإن معناها على ما في التفاسير المشهورة: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم ﴾ أى على آثار النبيين بعيسى ابن مريم حال كونه مصدقاً لما بين يديه من التوراة بأنها منزلة من عند الله ﷻ ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى ﴾ للناس من الضلال ونور لهم من عمى البصيرة حال كونه مصدقاً أيضاً لما بين يديه أى لما قبله من التوراة بأنها منزلة من عند الله تعالى ولما فيها من الأحكام من عبادة الله تعالى وحده وقوله ﴿ وَلِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ إما بكسر لام يحكم أو بتسكينها. فعلى قراءة من كسرهما فهى متعلقة بمحذوف يفسره المذكور قبله، والتقدير: وأتيناه الإنجيل لأجل أن يحكم أهل الإنجيل، وقت نزوله بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن المسيح عليه السلام قد نسخ بعض أحكام التوراة العملية. كما يدل عليه قوله تعالى فى

سورة المائدة في حكاية عيسى عليه السلام: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(١) وأما على قراءة من سَكَنَ لام يحكم فهو معطوف على فعل مقدر والتقدير ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وقلنا ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ فيكون على هذا إخباراً وحكاية عما فرض الله ﷻ على أهل الإنجيل في وقت نزوله^(١) من الحكم بما تضمنه الإنجيل من الأحكام.

فقد حصل من هذا أن هذه الآية لا تدل على صحة الإنجيل المتداول الآن ولا على صحة الإنجيل الموجود في زمن الحضرة النبوية؛ حتى يتم لصاحب البرهان دليله من أن الإنجيل لو كان فيه تحريف أو تغيير أو تبديل في زمن الحضرة النبوية لما أمر القرآن أهله وقتئذ أن يحكموا بما فيه من الأحكام. قلت: وعلى فرض إرادة المخاطبين بالأمر في زمن الحضرة النبوية كما توهمه هذا القسيس؛ فلا دليل فيها أيضاً على صحة دعواه لأن من جملة الأحكام الموجودة فيه؛ الإيمان بنبوّة محمد ﷺ ووجوب تصديقه وإتباعه. فإن الكتب

(١) ١- معنى أن المسيح كان يحل لهم: أنه كان يحل لهم بعض ما حرّمه عليهم العلماء من تلقاء أنفسهم.

٢- فرق المؤلف بين الأنجيل التي كانت في زمن محمد ﷺ وبين الأنجيل التي كانت من قبله والتي كانت من بعده. والحق في هذا الموضوع: أن الأنجيل محرفة من سنة ٣٢٥ ب م وانتشرت في العالم بعد هذا التاريخ. وهي من بعد تحريفها في سنة ٣٢٥ ب م إلى هذا اليوم لم تحرف. ومعنى ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ...﴾ أي أنه يحيلهم إلى التوراة ليحكموا بها. لأن المسيح ما نسخ التوراة. وفيها ما يدل على محمد ﷺ.

الإلهية بأسرها أمرة بالإيمان به ناطقة بوجوب الطاعة له. فعلى هذا يكون المراد بهذا الطلب ^(١) الإيمان؛ بنبوة محمد ﷺ

فإذا آمن أهل الإنجيل به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه؛ فقد حكموا بما أنزل الله في الإنجيل ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ أى الكافرون. وعلى كل حال من الأحوال فلا دليل فى هذه

(١) من نصوص توراة موسى عليه السلام على محمد ﷺ :

"يقم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود اسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه وأما النبي الذي يطغي فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث و لم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"

يتحدث هذا النص عن أوصاف عشرة لنبي الإسلام ﷺ ١- نبي ٢- من بنى إسماعيل ٣- مثل موسى فى الحروب وفتح البلاد والانتصار على الأعداء وعمل المعجزات ٤- ينسخ شريعة موسى لقوله "له تسمعون" ٥- ملك لقوله "له تسمعون" ٦- أمى "وأجعل كلامى فى فمه" ٧- أمين على الوحي ٨- سيقضى على بنى إسرائيل الكافرين به والأمم التي تكذب بنبوته فى الأيام الأولى لظهوره فى معركة ياجوج ومأجوج وفى هرمجدون وهما فى زمن واحد وهما أيضا معركة واحدة. الجزء الأول منها فى فارس والجزء الآخر فى هرمجدون ٩- لا يقتل بيد أعدائه ١٠- يتحدث عن غيب؛ فيكون.

الآية على صحة الإنجيل المتداول الآن، ولا على صحة الإنجيل الموجود فى زمن الحضرة النبوية أيضاً. وطلب حكم الإيمان بنبوّة محمد ﷺ لا يلزم منه عدم تحريفه وتغييره وتبديله كما لا يخفى. وكذلك آية العنكبوت التى أوردها حضرة القسيس فلا دليل له فيها أيضاً على صحة التوراة والإنجيل المتداولين. إذ المعنى: ﴿وَكَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ من اليهود والنصارى إلا بالمجادلة ﴿بِأَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بأن تدعوهم إلى دين الله تعالى والتنبيه على حججه وآياته باللين والرفق والملاطفة، لا بالغلظة والغضب والمخاشنة رجاء إجابتهم وانقيادهم إلى الحق. وفى هذه الآية دليل واضح على جواز المناظرة والمجادلة مع أهل الكتاب لكن لا بد أن تكون على طريق اللين والرفق لا على طريق الإغلاظ والغضب والمخاشنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أى من أهل الكتاب بأن أفرطوا فى الاعتداء والعناد، وادعوا بأن الله شريكاً أو صاحبة أو ولدًا ولم يقبلوا النصح ولم ينفع معهم الرفق والملاطفة، أو أبوا أن يؤدوا الجزية والخراج. فجادلوهم بالغلظة والسيف، وقولوا يا معشر المؤمنين لمن لم يفرط بالكفر والاعتداء والعناد من أهل الكتاب إذا أخبروكم عن كتبهم: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ بأن أصله منزل من عند الله ﴿وَالِهَئَا﴾ الذى أنزل علينا كتابنا ﴿وَالِهَئَا﴾ الذى أنزل عليكم كتابكم إليه ﴿وَاحِدٌ وَحْدَهُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أى منقادون ومطيعون له خاصة، ولا نتخذ معه

أنبيائنا وأحبارنا ورهباننا أرباباً من دون الله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

فانظر وتأمل يا صاحب "البرهان" ولا تكن من أهل الزيغ
والبهتان.

وكذلك آية الشورى ليس فيها دليل على عدم تحريف التوراة
والإنجيل الموجودين في زمن الحضرة النبوية؛ فإن معناها على ما في
التفاسير المعتمدة: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد: حين تدعو الناس من أهل الكتاب
إلى التوحيد والدين الحق ﴿آمَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ أى آمنت بكل كتاب
نزل من عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ وقل يا محمد:
أمرت بأن أعدل بينكم فى الخصومات إذا تخاصمتم ﴿اللَّهُ رُبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾
وكلنا عبيده. وهو الذى ربانا ورباكم وأنشأنا وأنشأكم من العدم إلى
الوجود، لكن ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يعنى: لا نؤاخذكم بأعمالكم ولا
تؤاخذون بأعمالنا. فكل منا يجازى بحسب عمله. إن خيراً فخيراً وإن
شراً فشراً ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فى إثبات التوحيد والدين الحق؛ لأنكم
من أهل الكتاب والبراهين الدالة على دين الله. ونبوتى قد ظهرت،
والحجج قد قامت وظهرت المعجزات وصرت محجوجين ولم يبق إلا
العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ أى فى يوم القيامة

﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أى المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وبينكم وينتقم الله منكم. وليس فى هذه الآية إلا ما يدل على المتاركة فى المحاجة اللسانية بينه ﷺ وبين اليهود حتى تكون منسوخة بآية السيف والقتال كما قيل.

ويدلك على هذا: ما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ معناها: والذين يحاجون ويجادلون فى دين الله نبيه محمدا ﷺ من بعد ما استجاب له وصدقه بظهور المعجزات ودخول الناس فى دينه؛ حجتهم داحضة. أى باطلة فى يوم القيامة. فإنه لو لم يرسله الله ﷻ لما أيده بظهور المعجزات، ولا استجاب له بدخول الناس فى دينه أفواجا^(١) أفواجا.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ يدل على طائفتين. الطائفة الأولى طائفة اليهود المعبر عنهم بقوله ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ والطائفة الأخرى هى النصارى. وقد أباح الله للمسلم مجادلة النصارى. وحرم الله على المسلم مجادلة اليهود. لأنهم ظلموا أنفسهم بإنكار نبوة محمد ﷺ وهم موصوفون فى القرآن بالظالمين ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ - ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والكافر فى القرآن: هو اليهودى. وقد منع الله المسلم من الرد على اليهود إذا جادلوا بقوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - ويقول: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾

وقد جاء فى كتب أهل الكتاب المقدسة: أن مدعى النبوة والرسالة كذباً يُقتل ويهلك هو ومن يتبعه. ودعوته لا تستمر ولا تمتد. وأما محمد ﷺ فقد انتصب لهذا الأمر العظيم مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره ولم يحسن الكتابة ولا القراءة، وقام مخالفاً لجميع أهل الأرض أحادهم وأوساطهم وأمرائهم وجبابرتهم وملوكهم وسلطينهم من عرب وعجم ووثنيين وطبيين ويهود ونصارى. إذ كانوا كلهم على رسومات فاسدة واعتقادات كاسدة محتاجين إلى من يهديهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم؛ فإن العرب كانوا على عبادة الأوثان، ودفن البنات فى الحياة. والترك كانوا على تخريب البلاد وقتل العباد. والفُرس كانوا على اعتقاد وجود إلهين ووطئ البنات والأمهات. والهند والصين كانوا على عبادة البقر والشجر والحجر. واليهود كانوا على شدة الكفر والجحود ودين التشبيه وترويج الأكاذيب المفتريات. والنصارى كانوا على القول بالحلول واعتقاد التثليث وعبادة الصليب وصور القديسين والقديسات.

وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ عَدَاةٍ مِمَّنْ سَبَّحْتَهُ﴾ والاستجابة لإبراهيم. أى أن اليهود يجادلون - بلسان الحال - من بعد ما دعا الله أن يبعث فيهم رسولا منهم وقال له بحسب ما فى التوراة: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك" وفى ترجمة: "فقد استجبت لك فيه" يجادلون بلسان الحال ويقولون لله: لماذا رفضتنا وجعلت النبوة فى بنى إسماعيل؟ وقد رد الله عليهم بلسان الحال: هلا كان ذلك منكم من قبل أن أسئلكم دعوة إبراهيم؟

وهكذا كانت سائر الفرق فى أودية الضلال والانحراف عن طريق الحق والاشتغال ^(١) بالمحال؛ فقام عليه الصلاة والسلام بأمر مولاه ودعاهم إلى هذا الدين القويم والصراط المستقيم وضلّ آرائهم وسفّه أحلامهم وأبطل ملكهم وهدم دولتهم وصيّر كل عزيز ذليلاً وكل جمع كثير قليلًا، وظهر دينه على الأديان فى مدة قليلة، وانتشر شرقًا وغربًا فى أقطار المسكونة، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم، وشدة شوكتهم، وفرط تعصبهم وبذل غاية جهدهم على إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. بل أشرقت شمس التوحيد وزالت رسوم أهل التلحيد؛ فهل يكون ذلك لأحد إلا بعون إلهى وتأييد سماوى؟ كلا والله. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

(١) العرب لم يعبدوا الأوثان، ولم يدفنوا البنات فى الحياة. وذلك لأن الله تعالى استجاب فيهم دعوة إبراهيم وهى: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ولم يكن له وقت الدعوة إلا إسماعيل. وأما اليهود فإنهم هم الذين عبدوا الأصنام والعرب لم يدنوا البنات فى الحياة، ولم يدنوا الأولاد فى الحياة. وإنما الذين أدنوا البنات والبنين وقدموهم قرابين للأصنام هم اليهود. ففى سفر المزامير. المزمور ١٠٦ ما نصه:

بَلْ اخْتَلَطُوا بِالْأُمَمِ وَتَعَلَّمُوا أَعْمَالَهُمْ وَعَبَدُوا أَصْنَامَهُمْ فَصَارَتْ لَهُمْ شُرَكَاءَ وَذَبَحُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتَهُمْ لِلْكَوْثَانِ وَاهْرَقُوا دِمَا زَكِيَّاءَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتَهُمُ الَّذِينَ ذَبَحُوهُمْ لِأَصْنَامِ كَنْعَانَ وَتَدَنَسَتْ الْأَرْضُ بِالدَّمَاءِ وَتَتَجَسَّسُوا بِأَعْمَالِهِمْ وَزَنُوا بِأَفْعَالِهِمْ فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى شَعْبِهِ وَكَرِهَ مِيرَاثَهُ وَأَسْلَمَهُمْ لِيَدِ الْأُمَمِ وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَبْغُضُوهُمْ وَضَغَطَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ فَذَلُّوا تَحْتَ يَدِهِمْ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً أَنْقَذَهُمْ أَمَّا هُمْ فَعَصَوْهُ بِمَشُورَتِهِمْ وَانْحَطُّوا بِإِثْمِهِمْ"

وما أطربنى من قول عمالائيل -معلم اليهود- فى حق الحواريين الذى جاء نقله فى الأصحاح الخامس من كتاب أعمال الرسل هكذا: "أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فى ما أنتم مزعمون ان تفعلوا لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شيء الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمئة الذى قتل. وجميع الذين انقادوا إليه؛ تبددوا وصاروا لا شيء. بعد هذا قام يهوذا الجليلي فى أيام الاكتتاب و أزاغ وراءه شعبا غفيرا. فذاك أيضا هلك. وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا. والان أقول لكم تتحوا عن هؤلاء الناس و اتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس؛ فسوف ينتقض وإن كان من الله فلا تقدر أن تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضا "

ولعمري إن علماء بروتستنت فى تكذيب الدين المحمدى لمحاربون الله تعالى، لكن -والله الحمد والمنة- لا يقدر أن ينقضه البتة. كما وعد الله بذلك فى كتابه العزيز بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أى بأقوالهم الباطلة ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَكُوكِرَ الْكَافِرُونَ﴾ أى المشركون اليهود والنصارى.

ومن ذلك ما جاء فى العدد العشرين من الأصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء من التوراة عن قول الله تعالى هكذا: "وأما النبي الذى يُطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم

باسم آلهة غيرى فليقتل" وجاء فى العدد الخامس من الأصحاح الثالث عشر من سفر الاستثناء أيضاً . أن الأنبياء الذين لم يرسلهم الرب؛ فبالسيف والجوع يهلكون. ومحمد ﷺ ما أهلكه الرب. لا بالسيف ولا بالجوع، ولا قتله أعداؤه ولا صلبوه، ولكن قال الله فى حقه ﴿وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فوفى الله بما وعد ولم يقدر أحد على قتله ولا على إهانته وصلبه حتى لقى الرفيق الأعلى، وبدد الله أعدائه، وكسر سواعدهم، وشنت شملهم. وقد جاء فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الخامس عشر من إنجيل متى نقلاً عن قول المسيح عليه السلام هكذا: "كل غرس لم يغرسه أبى السموى؛ يقلع"

وفى العدد الخامس عشر من الأصحاح السابع من إنجيل متى نقلاً عن قول المسيح أيضاً هكذا: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان و لكنهم من داخل نئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتثون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة، تصنع أثماراً جيدة و أما الشجرة الردية. فتصنع أثماراً ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيداً؛ تُقَطَّع و تلقى فى النار. فإذا من ثمارهم تعرفونهم" انتهى.

وهذا القول يشهد بنبوة محمد ﷺ فإن قوله: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان" أى ثياب الصالحين. ولكنهم من داخل نئاب خاطفة" يخرجهم عن هذه الصفة القبيحة. فلقد كان عليه

الصلاة والسلام كما نقل بالتواتر الصحيح قانعاً مكتفياً بالقليل من القوت
أخذاً بزمام العفة والأمانة والصدق والفتانة مقتفياً آثار إخوانه. يجوع
يوماً ويشبع يوماً. وقد خرج من الدنيا خميصاً من زهرة الحياة، لم
يضع حجراً على حجر حتى وصل إلى الرفيق الأعلى. وبهذا فقد اتفق
ظاهره وباطنه ولم يتعد أحدهما الآخر بل

فاق النبيين في خلق وفي خلقٍ ولم يدانوه. في علم ولا كرم

فهذا نبينا وهذه سيرته. فلقد استوى ظاهره مع باطنه في إقامة
الدين بما أوحى إليه من ربه ﷻ ولم يعيش إلا عيشة العبد المتواضع
لمولاه. وخروجه من الدنيا بغير مال ولا زينة ولا شئ من زخرفها،
دليل واضح على خروجه من نسبة التواضع الظاهري الافتراس
الباطني. فأهل الإسلام براء من تلك الصفة، فما بال نبيهم المصطفى
وهم على أثره وقد سلكوا سبيل ربهم كما اقتضته إرادته العلية وليست
الدنيا بخالية منهم، حتى نستشهد بالماضيين. ولولا الزهد في أهل
الإسلام وتذكر أهوال القيامة وخوف العقاب وتغلبه على الرجاء لأخذوا
من الناس باليمين في أعمالهم وصنائعهم ولم يتركوا لأحد مصلحة
يرعاها، ولا كانت أوروبا والممالك الغربية ترفل في ثياب المدنية
والتقدم. فإن غالب أهل الإسلام شرقيون، ولا نقيم الدليل ونكثر الكلام
فيما كان عليه أهل الشرق من التقدم في دائرة العرفان والشرف والبذخ
فإن العالم بأسره يشهد بذلك. وما تأخر أهل الإسلام إلا بداعية الزهد

والطمع فيما أعد الله للمتقين فى الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وإننى فى عجب من ادعاء المسيحيين أن عيسى عليه السلام خاتم النبيين ولا نبي بعده وقد يتمسكون لإثبات هذا الادعاء بقول المسيح السابق نقله مع أن التمسك به باطل لأن المسيح عليه السلام أمر بالاحتراز من الأنبياء الكذبة لا الأنبياء الصادقين أيضاً ولذلك قيد لهم بالكذبة. نعم لو قال: احترزوا من كل نبي يأتى بعدى؛ لكان بحسب الظاهر وجهه للتمسك بهذا القول، وإن كان واجب التأويل عندهم لثبوت نبوة الحواريين وبؤس ونبوة بعض أشخاص آخرين جاء ذكرهم فى هذا الإنجيل الموجود أيضاً. وفى العدد السابع والعشرين من الأصحاح الحادى عشر من كتاب الأعمال هكذا: "وفى تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم الى إنطاكية و قام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة الذى صار أيضاً فى أيام كلوديوس قيصر" انتهى.

فهذا القول صريح فى أن هؤلاء المذكورين كانوا أنبياء، وأن واحداً منهم اسمه أغابوس أخبر عن وقوع الجذب العظيم. وفى العدد العاشر من الأصحاح الحادى والعشرين من الكتاب المذكور هكذا: "وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة؛ انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس. فجاء إلينا وأخذ منطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه، وقال: "هذا

يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة؛ هكذا سيربطه اليهود في اورشليم ويسلمونه الى ايدي الأمم " انتهى. وفي هذه العبارة أيضًا تصريح بأن أغابوس نبيّ.

وأما الأنبياء الكذبة الكثيرون فلقد ظهوروا في الطبقة الأولى بعد صعود المسيح ^{عليه السلام} بكثرة كما يظهر ذلك من رسائل بولس الموجودة في هذا الإنجيل المتداول. ففي العدد الثاني عشر من الأصحاح الحادى عشر من رسالة بولس الثانية إلى كورنثيوس هكذا: "ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضًا فيما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" انتهى.

فهذا مقدسهم بولس ينادى بأعلى نداء: أن الرسل الكذبة الغدارين ظهوروا في عهده وقد تشبهوا برسل المسيح.

وقال آدم كلارك المفسر المشهور في شرح هذا المقام: "هؤلاء الأشخاص كانوا يدّعون كذبًا أنهم رسل المسيح، وما كانوا رسل المسيح في نفس الأمر، وكانوا يعظون ويجتهدون، لكن مقصودهم ما كان إلا جلب المنفعة" انتهى. وفي العدد الأول من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى هكذا: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" وهذه العبارة تفيد أن الأنبياء الكذبة قد خرجوا في عهد

الحواريين أيضاً. وفي العدد التاسع من الأصحاح الثامن من كتاب الأعمال هكذا: "وكان قبلا في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر، ويدهش شعب السامرة قائلا: إنه شيء عظيم وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: هذا هو قوة الله العظيمة" وفي العدد السادس من الأصحاح الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا: "ولما اجتازا الجزيرة الى بافوس وجدا رجلا ساحرا نبيا كذابا يهوديا اسمه باريشوع" انتهى.

وحيث ظهر لك من هذه الأقوال أن الأنبياء الكذبة الكثيرين قد خرجوا إلى العالم في زمان الحواريين؛ تعلم أن مقصود المسيح عليه السلام بقوله: "احترزوا من الأنبياء الكذبة" التحذير من هؤلاء وأمثالهم لا من الأنبياء الصادقين أيضاً، ولذلك قال بعد هذا القول: "من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً" ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين كما يدل عليه ثماره الجيدة النافعة ولو لم تكن أثماره جيدة نافعة لقطعت شجرته بحكم قول المسيح: "كل شجرة لا تصنع أثماراً جيدة تقطع وتلقى في النار" لكنها ما قطعت ولا قلعت، بل أسست وثبتت وأثمرت أثماراً جيدة نافعة. فاضت أنهارها على قلوب ذويه، وصارت شجرة عظيمة تأوى في أغصانها طيور السماء. وقد بلغ دينه ﷺ شرقاً وغرباً وغلب الأديان كلها وامتد - والله الحمد - دهرًا طويلاً بحيث مضى على ظهوره مدة ألف وثلاثمائة وثمانى سنين إلى هذا الحين، ويمتد إن شاء الله إلى آخر بقاء الدنيا. فما ادعاه المسيحيون

من أن عيسى عليه السلام خاتم النبيين ولا نبي بعده؛ باطل قطعاً. ولقد جاء في العدد السابع من الأصحاح الأول من المزامير هكذا: "لا يقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الرب؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فتهلك" وفي العدد السادس من المزمور الخامس هكذا: "ويهلك كل الذين يتكلمون بالكذب" وفي العدد السادس عشر من المزمور الرابع والثلاثين من أيضاً هكذا: "سواعد الأشرار تتكسر والرب يعضد الصديقين. الرب عارف أيامهم وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون في أيام السوء وفي أيام الجوع يشبعون؛ لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب جميعاً يبددون، وكالدخان يفنون" انتهى.

فلو لم يكن محمد ﷺ من الأنبياء الصادقين الأبرار؛ لأهلك الرب طريقه وكسر سواعده وأباد ذكره من الأرض وأفناه كما يفنى الدخان. على حكم كتبهم المقدسة لكنه جل اسمه وعز شأنه لم يفعل من ذلك شيئاً، بل أجاب دعوته وأثبت طريقته ونشر دينه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وأسسه على أعمدة اليقين، وجعله لا انهدام له ولا انقطاع له ولا فناء له ولا زوال له، وقوى شوكته وعضد ساعده، ولم يكل ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض، ومجد اسمه الشريف، وأدام اسمه في الأرض والسماء، أبد الأبدين ودهر الداهرين. والألوف والملايين من أتباعه -حفظهم الله- يذكرون اسمه الشريف في كل يوم وليلة وساعة ولحظة على المنابر والمنارات، وفي الصلوات الخمس وسائر العبادات وإجراء المعاملات في أقطار الأرض من مشارقها ومغاربها،

وقرى ومدن وقفار وبحار آناء الليل وأطراف النهار، ولا يخلو زمان من الأزمنة ولا مكان من الأمكنة إلا ويذكر فيها اسمه الشريف حتى لا يذكر اسم الله - عز شأنه - فى الغالب إلا مقرونا باسمه معظمًا مجلًا مدعواً له بكل خير، محمودًا بالأسنة، محبوبًا بالقلوب، مفدى بالأرواح محفوظ المقام مرعىّ الجنباب. تسعى إلى حضرة ضريحه الشريف كل سنة الألوف المؤلفة من ملوك وأمراء وأعزة وكبراء وأغنياء وفقراء يسلمون عليه ويطلبون الشفاعة من لديه، ويتبركون بتقبيل أعتابه الشريفة، ويمسحون وجوههم بتراب روضته المنيفة، وترفع إليه مدائح الشعراء، ومحامد الفصحاء، مزينة بذكر محاسن صفاته، وباهر آياته. عليه من الصلوات أفضلها، ومن التحيات أكملها، ولم تزل شريعته ﷺ معززة مرفوعة المنار موفرة الأنصار، تقتبس من أنوارها الأمم وتهتدى بشموسها العرب والعجم. وأتباعه بفضل الله تعالى مالتون الأرض، متبعون ما شرع لهم من سنة وفرض. ولا يزالون بالزيادة يومًا فيوما. وكل يوم تأتينا أخبارهم المسيرة فتشرح لها صدورنا .

فأى ذكر بادَ لمحمد ﷺ مع مرور أزيد من ثلاثة عشر قرنًا وأتباعه مالتون الأرض. وأى هلاك هلك؟ وأى سواعد كسرت له؟ وأى فناء كالدخان فنى؟ فلو كان محمد ﷺ ممن ذكر فى هذه الكتب المقدسة للزم أن يفعل به الله جميع ذلك النكال، وإلا لزم تخلف خبر الرب الذى جاء فى هذه التوراة وهذا الإنجيل على السنة أنبيائه، لكنه عز شأنه لم يفعل به من ذلك شيئًا. فهو ليس ممن ذكر البتة. وإذا لم يكن ممن

ذكر؛ فيكون من الأنبياء الطائعين والرسل الصادقين وأحباب الله الصالحين على رغم أنف الكفرة والمشركين. وليست هذه الأخبار هي التي تتصفنا من أخبار هذه الكتب المقدسة بل غالب أصحاباتها تشهد بنبوة محمد ﷺ ولقد وصفته وصفاً بيناً واضحاً رفع كل احتمال حيث صرحت باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته. غير أن أهل الكتاب حذفوا اسمه الشريف من كتبهم، إلا أن ذلك لا يُجد لهم نفعاً لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة. وهى أظهر دلالة من الاسم على المسمى. إذ قد يشترك اثنان فى اسم ويمتتع اشتراك اثنين فى جميع الأوصاف.

لكن من أمد غير بعيد قد شرعوا فى تحريف بعض الصفات أيضاً ليبعد صدقها على سيد الكونين ﷺ ولم يُفدّهم ذلك غير تقوية الشبه عليهم لانتشار النسخ بالطبع وتيسر المقابلة بينها. فأما تبشير السيد المسيح عليه السلام بنبوة الصادق الأمين ﷺ فهو ثابت فى هذه الأنجيل ومحقق مع تحريفها وكذلك الكتاب المنزل على موسى وزبور داود عليهما السلام وكتاب إشعياء وإرمياء ودانيال وحَبَقُوق -عليهم الصلاة والسلام-

محمد ﷺ فى التوراة

فأما التوراة: فلقد جاء فى العدد السابع عشر من الأصحاب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا "فقال لى الرب: نعم جميع ما قالوا. وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم، وأجعل كلامى فى فمه، ويكلمهم بكل شئ أمره به. ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى؛ فأنا أكون المنتقم من ذلك النبى. فأما النبى الذى يجترأ بالكبرياء، ويتكلم فى اسمى مالم أمره بأنه يقوله، أم باسم آلهة غيرى؛ فليقتل. فإن أحببت وقلت فى قلبك: كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فهذه تكون لك آية: أن ما قاله ذلك النبى فى اسم الرب ولم يحدث؛ فالرب لم يكن تكلم به، بل ذلك النبى صَوَّرَه فى تعظم نفسه. ولذلك لا تخشاه" انتهى.

فهذه بشارة لم تصدق على غير نبينا محمد ﷺ لأنه من ذرية إسماعيل. وذريته يسمون إخوة لبنى إسرائيل لأنهم من ذرية إسحق وهو أخو إسماعيل -عليهما السلام- وقد جرت عادة الكتب المنزلة بتسمية أبناء الأعمام عن بعد بعيد؛ إخوة. كما دُعِى فى القرآن الكريم هود وصالح؛ إخوة لعاد وثمود، مع أنهما على بعد بعيد من أولاد الأعمام. وكما قيل فى الأصحاب العشرين من سفر العدد من التوراة: "وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك آدوم قائلاً: هكذا يقول أخوك إسرائيل" مع أنهما من أبناء الأعمام على بعد بعيد.

ولا يصح أن تكون هذه البشارة في حق نبيٍّ من أنبياء بنى إسرائيل؛ لأنه لو كان المقصود بكون النبي المبشر به في هذه البشارة منهم لقال وسوف أقيم لهم نبيًّا مثلك منهم أو من أنفسهم لا من بين إخوانهم. كما قال الله تعالى إخبارًا بدعوة إبراهيم عليه السلام لولد إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وكما قال تعالى في خطاب بنى إسماعيل^(١) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

(١) كان يجب على المؤلف أن يذكر نصا من التوراة قبل ذكر هذا النص. وهو: أن إسماعيل هو وحيد إبراهيم ووحيد هاجر ووحيد سارة؛ لأن المواعيد في إسماعيل أن يكون منه نبي؛ جاءت على اعتبار أنه هو الوحيد. وإذا لم تثبت أن إسماعيل هو الوحيد؛ لا نقدر على إثبات نبوة محمد ﷺ وذلك لأنه قال لإبراهيم عقب هَمَّه بذبح ابنه الوحيد: "إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك؛ أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي" والنسل الموعود به هو نسل إسماعيل من محمد رسول الله ﷺ وذلك لأن إبراهيم لم يكن له وقت العهد إلا إسماعيل.

وبيان أن إسماعيل هو الوحيد لسارة: هو أن سارة قالت لإبراهيم: ادخل على جاريتي هاجر لعلّي أرزق منها بنين. فيكون إذا سارة حبلى وولدت يكون المولود ابن سارة لا ابن أمه الجارية. وهذا هو النص:

في الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: "و أما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لابرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لعلّي أرزق منها بنين فسمع أبرام لقول ساراي فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض

وأما ما زعمته النصارى من أن المراد بهذا الخبر؛ لمسيح عليه السلام: هو باطل لوجوه: الأول: أنهم من بنى إسرائيل، والمبشر به من إخوتهم.

الثانى: أنه وقع فى هذا الخبر لفظ "مثلك" يعنى مثل موسى عليه السلام والمسيح عليه السلام لا يصح أن يكون مثل موسى؛ لأنهم من بنى إسرائيل. ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى إسرائيل مثل موسى، كما يدل عليه العدد العاشر من الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وهو هكذا: "ولم يقم بعد فى إسرائيل نبي مثل موسى" على أنه لا مماثلة بينه

كنعان واعطتها لابرام رجلها زوجة له فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريته إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت فى عينيها يقضى الرب بيني و بينك فقال أبرام لساراي هوذا جاريتك فى يدك افعلي بها ما يحسن فى عينيك فأذلقتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية على العين التى فى طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلتي فتلدن ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت ايل رني لأنها قالت اههنا أيضا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البئر بئر لحي رني ها هي بين قادش وبارد فولدت هاجر لابرام ابنا ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لابرام"

وبين المسيح -عليهما السلام- لأن المسيح ﷺ كان ربًا وإلهًا على
زعم النصارى بخلاف موسى ﷺ فإنه كان عبدًا لله تعالى وأن المسيح
ﷺ على زعمهم صار ملعونًا لشفاعته الخلق. كما صرح بذلك بولس
في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وموسى ﷺ ما
صار ملعونًا لشفاعتهم، وأن المسيح ﷺ دخل الجحيم بعد موته كما هو
مصرح به في عقائد أهل التثليث بخلاف موسى ﷺ فإنه ما دخل
الجحيم، وأن المسيح ﷺ صُلب على زعم النصارى ليكون كفارة
لأمتة بالصلب، وموسى ﷺ ما صار كفارة لأمتة بالصلب، وأن
شريعة موسى ﷺ مشتملة على الحدود والتعزيرات والقصاص
وإيجاب الغسل والحائض والنفساء وإيجاب الطهارة عند إرادة الدخول
في العبادة، وأحكام المحرمات من المأكولات والمشروبات، ووجوب
الختان. وغير ذلك من الأحكام بخلاف شريعة عيسى ﷺ فإنها فارغة
عن ذلك كله. على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول بينهم، وأن موسى
ﷺ كان رئيسًا مطاعًا في قومه نفاذًا لأوامره ونواهيه بخلاف عيسى
ﷺ فإنه لم يكن كذلك. ونظائر هذه كثيرة.

الثالث: أنه وقع في هذه البشارة لفظ "أجعل كلامي في فمه" وهو
إشارة إلى أن ذلك النبي يكون أميًا حافظًا لكلام الله في فمه وهذا لا
يصدق على عيسى ﷺ لأنه ما كان أميًا بل كان يقرأ. على ما يشهد
به هذا الإنجيل المتداول، ولا يصدق أيضًا على نبي من الأنبياء غير
محمد ﷺ لأنه هو الذي كان أميًا من بينهم، وكان ينطق بالوحي كما

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وبذلك تعرف سر وصفه به في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾

وفى قوله: "ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك" إشارة إلى كون هذا النبى مأمورا بجهاد من كفر بما جاء به من عند الله والانتقام منه بسيفه البتار. ولا يصح أن يراد بالانتقام من المنكر العذاب الأخرى الكائن فى جهنم؛ لأن هذا الانتقام لا يختص بإنكار نبى دون نبى بل يعم الجميع فحينئذ يراد بالانتقام الإنتقام التشريعى الذى هو الجهاد. وهذا لا يصدق على المسيح عليه السلام لأن شريعته^(١) خالية عن أحكام الحدود والقصاص والتعزيرات والجهاد بخلاف شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى.

(١) إن المسيح عليه السلام لم تكن له شريعة منفصلة عن شريعة التوراة. فإنه كان عليها ومصدقا لها، وحث أتباعه على العمل بها إلى زمان ظهور النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى يبشر بمقدمه. وعندئذ يسمعون من كلامه. فإن قال لهم اعملوا بها فليعملوا بها، وإن قال لهم اتركوها واعدلوا بشريعتى فاتركوها واعدلوا بشريعته، وأحل لهم بعض الذى حرم عليهم من علماء بنى إسرائيل. ومن كلامه: "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء" [متى ٥: ١٧] ومن كلامه: "حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وأفعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسيرة الحمل ويضعونها على أكثاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظروهم الناس: فيعرضون

الرابع: أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره به؛ يُقتل. فلو لم يكن محمد ﷺ نبيا صادقا حقا؛ للزم أن يُقتل؛ بحكم هذا القول. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز أيضا: ﴿وَكُتِلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وما قتل بل قال الله في حقه: ﴿وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقد أوفى بما وعد ولم يقدر أحد على قتله - والله الحمد - حتى لحق بالرفيق الأعلى، بخلاف المسيح فإنه صلب وقتل، على زعم أهل الكتاب. فلو كانت هذه البشارة في حقه؛ للزم أن يكون نبيا كاذبا، كما تزعمه اليهود أهل الكفر والجحود. والعياذ بالله تعالى. ولا يرد على هذا قتل زكريا ويحيى -عليهما السلام- وغيرهما من الأنبياء الكرام الذين قتلهم اليهود؛ لأننا نقول: إن ذلك كان منهم بعد ثبوت نبوتهم عندهم؛ فكان ذلك منهم بغيا وعدوانا.

عَصَائِبُهُمْ وَيَعْظُمُونَ أَهْدَابَ تِيَابِهِمْ، وَيَحْبُونَ الْمُتَكَا الْأَوَّلَ فِي الْوَلَامِ، وَالْمَحَالِسَ الْأَوَّلَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَدْعُوهُمْ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي، وَأَمَّا أَنتُمْ فَلَا تَدْعُوا سَيِّدِي، لِأَنْ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبَا عَلَى الْأَرْضِ، لِأَنْ أَبَاكُمْ وَاحِدَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَا تَدْعُوا مُعَلِّمِينَ، لِأَنْ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ. وَأكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِمًا لَكُمْ. فَمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْفَعُ. لَكِنْ وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ ! لِأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدْعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ ! لِأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الْأَرَامِلِ، وَلِئَلَّا تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذَلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْثُونَ عَظِيمًا. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاوُونَ ! لِأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لَتَكْسِبُوا دَخِيلًا وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِحَبَّتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا. وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَّانِ ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِدَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَالُ وَالْعُمَيَّانِ ! أَلَمَّا عَظُمَ: أَلَذَّهَبُ أَمْ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدَّسُ الذَّهَبُ؟ وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبُوحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ!"

كما تدل على ذلك الكتب المقدسة. وذلك جائز على الأنبياء الكرام بخلاف ما إذا لم تثبت النبوة -كما لا يخفى-

الخامس: أن الله بيّن في هذه البشارة علامة النبي الكاذب هو أن إخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج إلا صادقاً. ومحمد ﷺ أخبر عن الغيوب الكثيرة المستقبلية وظهر صدقه فيها، ووقعت كما أخبر. وهى وقائع عظيمة قد تواترت واشتهرت عند الخاصة والعامة، وناهيك بما جاء فى القرآن العظيم من الأخبار عن الحوادث الآتية، فوجدت فى الأيام اللاحقة على الوجه الذى أخبر به. كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ فوقع كما أخبر. ودخل الصحابة المسجد الحرام آمنين غير خائفين. وكقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فكان وعد الله المؤمنين بهذا القول بجعل الخلفاء منهم وتمكين الدين المرضي لهم وتبديل خوفهم بالأمن؛ فوفى الله سبحانه وتعالى وعده فى مدة قليلة ودخل الناس فى الإسلام أفواجاً أفواجاً. فما مات عليه الصلاة والسلام وفى بلاد العرب موضع لم يدخله الإسلام. واستخلف المؤمنون فى الأرض المقدسة وغيرها ومكن فيها دينهم وملّكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام: "زُوت لى الأرض

فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لى منها" معناه جمع الله لى الأرض مرة واحدة بتقريب بعيدها إلى قريبها حتى اطلعت على ما فيها، وستفتحها أمتي جزءًا فجزءًا حتى تملك جميع أجزائها. ولأجل تقييده بمشارقها ومغاربها انتشرت ملته فى المشارق والمغرب ما بين أرض الهند -التي هى أقصى المشرق- إلى بحر طنجة -الذى هو فى أقصى المغرب- ولم تنتشر فى الجنوب والشمال مثل انتشارها فى المشرق والمغرب وستنتشر فيهما أيضًا إن شاء الله تعالى عن قريب.

ومن هذا: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب. على ما هو المرجو إن شاء الله تعالى وهو على كل شئ قدير. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ولما نزلت هذه الآية بشر النبى ﷺ أصحابه بأن الله كفاه شر المستهزئين وأذاهم. وكان المستهزون نفرًا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا بضروب البلاء وفنون الفناء. فتم نوره وكمل ظهوره. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقد وقع كما أخبر مع كثرة من قصد قتله فعصمه الله تعالى حتى انتقل من دار الدنيا إلى دار منازل الحسنى فى العقبى. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أى من التحريف والزيادة والنقصان وقد كان كما أخبر

به. فما قدر أحد من الملاحدة والمعطلة على تغييره وتبديله ولا سيما القرامطة، فإنهم أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم نيفاً على خمسمائة عام، وما قدروا على إطفاء شئ من نوره، ولا تغيير كلمة من كلمه ولا حرف من حروفه ولا إعراب من إعراباته، وهو باق على حاله. والله الحمد والمنة إلى هذه المدة التي نحن فيها. أعنى ألفاً وثلاثمائة وثمان من الهجرة النبوية. بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب الإسرائيلية. كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى. وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أى التحريف بالزيادة والنقصان ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَأَنَّ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

وحال هذا القول كالقول السابق.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فأخبر تعالى فى هذا القول بأنهم لا يفعلون ما تحداهم به البتة وقد وقع كما أخبر - والله الحمد على إتمام هذه النعمة -

ومن الأخبار المندرجة فى القرآن المجيد: قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَنَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾ فوعد الله المسلمين في هذا القول بأنهم يزلزلون حتى يستتصروه وقد كان كما أخبر. وقال النبي ﷺ: "سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم" وقال أيضاً: إن الأحزاب سائرون إليكم تسعاً أو عشرة. فجاء الأحزاب كما وعد الله ورسوله وكانوا عشرة آلاف وحاصروا المسلمين وحاربوهم محاربة شديدة إلى مدة شهر، وكان المسلمون في غاية الضيق والشدة والرعب، وقالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وأيقنوا بالجنة والنصر كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾

وقد خرَّج أهل الحديث -رضي الله تعالى عنهم- أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بفتح :

- ١- مكة
- ٢- وبيت المقدس
- ٣- واليمن
- ٤- والشام
- ٥- والعراق
- ٦- وأن خيبر تفتح على يد عليّ ؓ في غد يومه
- ٧- وأنهم يقسمون ملك فارس

٨-وملك الروم

٩-وأن بنات فارس تخدمهم. وهذه الأمور كلها وقعت فى زمن الصحابة -رضى الله تعالى عنهم- كما أخبر.

١٠-وأن فارس نطحةً أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبدًا

١١-والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن. أهل صخر وبحر. هيهات آخر الدهر والمراد بالروم: الإفرنج من النصارى. وكان كما أخبر وما بقى من سلطنة الفرس أثر مّا. بخلاف الروم فإن سلطنتهم وإن زالت عن الشام فى عهد خلافة عمر رضي الله عنه وانهزم هرقل من الشام إلى أقصى بلاده؛ لكن لم تزل سلطنتهم بالكلية كما زالت سلطنة الفرس بل كلما هلك قرن خلفه قرن آخر.

١٢-وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًّا. وكان كما أخبر، وكان رضي الله عنه سادًا باب الفتنة.

١٣-وأن المهدي -رضى الله عنه- ^(١) يظهر.

(١) اختلف علماؤنا أهل السنة فى علامات الساعة. فبعضهم أثبتوها. ومنها ظهور المهدي، وعودة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وغيرهما وبعضهم لم يثبتها بحجة أن القرآن يقول إنها تأتى بغتة. وإذا ظهرت علامات فإنها لا تكون بغتة. والذين أثبتوها؛ أثبتوها بأحاديث نبوية. وقد قال بعض العلماء بأن الساعة المذكورة فى القرآن هى ساعة قتال المسلمين لليهود؛ لنزع ملكهم من فلسطين والعالم. وهى المعركة المسماة بمعركة "يوم الرب" أو "معركة هرمجدون" وقد قال عيسى عليه السلام فى شأنها: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده" [متى ٢٤:

٣٦] ومن قبل هذه المعركة علامات قال أهل الإنجيل عنها إنها نهاية الزمان. وهذا هو

النص على علامات الساعة وعلى معركة الساعة من إنجيل متى: "ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ لِكَيْ يُرَوْهُ آيَةَ الْهَيْكَلِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يَتْرَكَ هَهُنَا حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ! . وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلَامِيذُ عَلَى الْفِرَادِ قَائِلِينَ: قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةُ مَجِيئِكَ وَالْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟ فَاجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا! لَا يَضِلُّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيَضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. انْظُرُوا، لَا تَرْتَاعُوا. لِأَنَّهُ لَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كُلُّهَا، وَلَكِنْ لَيْسَ الْمُنتَهَى بَعْدَ. لِأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأُزُفَةٌ وَزَلَزَلٌ فِي أَمَاكِنَ. وَلَكِنْ هَذِهِ كُلُّهَا مُبْتَدَأُ الْأَوْجَاعِ. حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضَيْقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكْرَهُونَ مُقْضِيَيْنَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ لِأَجْلِ اسْمِي. وَحِينَئِذٍ يَبْغُثُ كَثِيرُونَ وَيَسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَيَقُومُ الْبُيُوتُ كَذِبَةً كَثِيرُونَ وَيَضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَلَكِنَّةُ الْإِنَّمِ تَبْزُدُ مَحَبَّةَ الْكَثِيرِينَ. وَلَكِنْ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. وَيُكْرَزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنتَهَى. فَمَتَى نَظَرْتُمْ رُحْسَةَ الْخُرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيَالُ النَّبِيُّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ لِيَهْمُ الْفَارِثُ فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلَا يَنْزِلُ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ. وَوَيْلٌ لِلْحَبَّالِي وَالْمَرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ! وَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شَيْءٍ وَلَا فِي سَبْتٍ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضَيْقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الْآنَ وَلَنْ يَكُونَ. وَلَكِنْ لَمْ تُقْصِرْ تِلْكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ حَسَدٌ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقْصَرُ تِلْكَ الْأَيَّامُ. حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُنَاكَ! فَلَا تُصَدِّقُوا. لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَخَّاءُ كَذِبَةً وَالْبُيُوتُ كَذِبَةً وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يَضِلُّوا لَوْ أَمَكَنَّ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ! فَلَا تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي الْمَخَادِعِ! فَلَا تُصَدِّقُوا. لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هَكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ. لِأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْخُبَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ الثُّسُورُ. وَلَوَقْتُ بَعْدَ ضَيْقٍ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْؤَهُ، وَالسُّحُومُ تَسْفُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَوَاتِ السَّمَاءَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَشُوحُ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُضَيَّرُونَ ابْنُ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يُبْزِقُ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاءَاتِ إِلَى أَقْصَانِهَا. فَمِنْ شَجَرَةِ التَّيْنِ تَعْلَمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخِصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْاقِفَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هَكَذَا أَنتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْنَعُ هَذَا الْجِيلَ حَتَّى يَكُونَ

١٤- وأن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض ويملكها.

١٥- وأن الدجال يخرج ويقتله المسيح عليه السلام وهذه الأمور ستظهر عن قريب إن شاء الله تعالى.

١٦- وأن عثمان يُقتل وهو يقرأ في المصحف.

١٧- وأن أشقى الآخرين من يصبغ هذه من هذه يعذب لحية على من دم رأسه يعنى بقتله وقد استشهدا -رضى الله عنهما- كما أخبر.

١٨- وأن الخلافة بعدى ثلاثون سنة. وكان كما أخبر. وتامها خلافة الحسن عليه السلام.

١٩- وأن ابني هذا -أى الحسن بن على رضي الله عنهما- سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين. وقد وقع كما أخبر فأصلح بين أتباعه وأهل الشام.

هَذَا كُلُّهُ. السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ. وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلَّكَ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ ، كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضاً مَجِيءُ ابْنِ الْإِنْسَانِ. حِينَئِذٍ يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الْآخَرُ. اثْنَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى ، يُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَتُتْرَكُ الْآخَرَى. اسْهَرُوا إِذَا لَأَكُنْكُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي آيَةِ سَاعَةِ يَأْتِي رَبُّكُمْ. وَاعْلَمُوا هَذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَرِيمٍ يَأْتِي السَّارِقُ ، لَسَهَرُ وَلَمْ يَدْعُ بَيْتَهُ يُنْقَبْ. لِذَلِكَ كُونُوا أَتَمَّ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ."

٢٠- وأن الموتيتين أى الوباء والطاعون تكونان بعد فتح بيت المقدس.
وكان هذا الوباء فى خلافة عمر ؓ بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع فى الإسلام مات به سبعون ألفاً فى ثلاثة أيام.

٢١- وأنهم يقرّون فى البحر كالملوك على الأسرة.

٢٢- وأن الإيمان لو كان منوطاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس.
وفيه إشارة إلى الإمام الأعظم أبى حنيفة الكوفى رحمه الله وإلى غيره أيضاً من علماء الفرس حتى الغزالي وسعد التفتازانى.

٢٣- وأن فاطمة -رضى الله تعالى عنها- أول أهله لحوقاً به. فماتت رضى الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته ؓ.

٢٤- وأن الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما يقتل بالطف وهو -بفتح الطاء المهملة وتشديد الفاء- مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات المشتهر الآن بكربلاء. وكان كما أخبر.

٢٥- وقال ؓ لسراقة بن جعشم: كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟ فلما أتى بهما لعمر ؓ ألبسهما إياه وقال: الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

٢٦- وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضى لها أعناق الإبل ببصرى" وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة، وكان ابتداءها يوم الأحد مستهل جمادى الأخرى سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت

خفيفة إلى ليلة الثلاثاء بيومها، ثم ظهرت ظهوراً عظيماً اشترك فيه الخاص والعام وكان انطفاؤها في اليوم ٢٧ من رجب. وللشيخ قطب الدين القسطلاني تأليف في بيان حالي هذه النار سماه مجمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز. وهذا الخبر من الأخبار العظيمة أيضاً لأن النبي ﷺ أخبر بخروجها قبل ظهورها بمقدار أربعمئة سنة. وصحيح البخاري في غاية درجة القبول من زمن التأليف إلى هذا الحين حتى أخذ تسعون ألف رجل سنده من الإمام المرحوم بلا واسطة في مدة حياته؛ فلا مجال لعناد المعاندين.

٢٧- وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك" -أى التتار- "صغار الأعين حمر الوجوه زنف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة" وقد كان كما أخبر ﷺ فخرجوا مرتين. وخبرهم متواتر.

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره. وهذه المعجزة من جملة معجزاته الكثيرة المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة روايتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. وفيما ذكرناه كفاية.

فقد حصل من هذه الوجوه الخمسة التي ذكرتها لك: أن هذه البشارة لا تصدق على غير محمد ﷺ لأنه من غير بنى إسرائيل بل

من إخوانهم ويمثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة بخلاف المسيح عليه السلام كما قد علمت ذلك بما لا مزيد عليه.

فإن قيل: إن إخوان بني إسرائيل لا تنحصر في بني إسماعيل؛ لأن بني عيسو وبني أبناء قطور زوجة إبراهيم عليه السلام من إخوان بني إسرائيل أيضاً. قلنا: نعم ولكن لم يظهر فيهم نبي يكون موصوفاً بالأمور المذكورة ولم يكن وعد الله في حقهم لإبراهيم ولهاجر -عليهما السلام- ففي العدد العشرين من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ في خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "وعلى إسماعيل استجبت لك. هو ذا أباركه وأكبره وأكثره كثيراً جداً. فسيولد اثني عشر رئيساً، وأجعله لشعب عظيم" انتهى. فقله "أجعله لشعب عظيم" إشارة إلى محمد ﷺ لأنه لم يكن في ولد إسماعيل من كان لشعب عظيم غير محمد ﷺ وقد قال تعالى في كلامه العزيز في حكاية دعاء إبراهيم عليه السلام لبني إسماعيل هكذا: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ وفي العدد الحادي عشر من الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين أيضاً في خطاب هاجر هكذا: "وستلدن غلاماً وتدعين اسمه إسماعيل فإن الله قد سمع تعبدك، ويكون هو وحش الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ويجلي على منتهى إخوانه كلهم"

وهذا الخبر بحق محمد ﷺ أيضًا لا بجده إسماعيل عليه السلام لأنه لم تكن يده فوق يد الجميع ولا كانت مبسوطة إليه بالخضوع، بخلاف محمد ﷺ كما لا يخفى. فكان ذكر إسماعيل عليه السلام مقصودًا به ولده كما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر إسرائيل والمقصود به بنيه. فمن ذلك قوله في السفر الخامس من التوراة: "يا إسرائيل ألا تخشى الله ربك وتسلك في سبيله وتعمل له " فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم

وفي العدد الثاني عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين فى خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "ومن أجل جاريتك فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن للجارية أيضًا سأجعله أمة عظيمة لأنه من نسلك " وهذا القول يدل على أن وعد الله لإبراهيم كما كان فى حق إسحاق، فكذا كان فى حق ابنه إسماعيل عليهم السلام فإنه ما كان وعد الله فى حقهم وأما بنو عيسو وإن كان وعد الله فى حقهم من جهة كونهم من نسل إسحق عليه السلام ولكن لم يوجد فيهم نبيّ يماثل موسى عليه السلام على أنه قد جاء فى الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يثبت أن عيسو باع بكريته التى بها استحقاق منصب النبوة والبركة لأخيه يعقوب عليه السلام بقليل من الخبز والعدس، وهو مشد الجوع لامتناع أخيه يعقوب أن يطعمه من ذلك مجانًا. فعلى هذا يلزم أن لا يكون فى بنيه نبيّ -على ما زعموا- وأيضًا: لا يصح أن يكون مصداق هذه البشارة بنى عيسو. على ما هو

مقتضى دعاء إسحق عليه السلام المصرح به فى الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين.

فقد حصل من هذا أن هذه البشارة لا تصدق على غير نبينا محمد ﷺ ولا بوجه من الوجوه.

والأخبار الواردة فى التوراة والإنجيل كثيرة جدًا وغالبها تشير بأعظم تلويح وأوضح تصريح إلى نبوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ قال فى العدد السادس من الأصحاح التاسع من كتاب إشعياء عليه السلام من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ هكذا: "يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلهها قديرا أبا أبديا رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الابد" وهذا الخبر أيضا لا يصدق على غير الصادق الأمين فإنه لم يكن أحد من الأنبياء، وعلامة سلطانه على كتفه غير محمد ﷺ على ما يشهد به الموافق والمخالف من المؤرخين، حتى أن كثيرا من أهل الكتاب آمن بسبب رؤيته لهذه العلامة عدا عن غيرها. وتسمى فى كتب الحديث خاتم النبوة وهو على كتفه الشريف بقدر بيضة الحمام، ولم يثبت أن هذه العلامة كانت لغيره ﷺ وهو الذى دعى بأعجب الأسماء وأغربها وهو لفظ محمد فإنه لم يسمى أحد قبله بهذا الاسم الشريف أو المراد بالاسم خاتم الأنبياء؛ فإنه مما لم يدع به أحد سواه ولا يمكن أن يدعى فيما بعد أيضا لأنه لا نبى

بعده وكان مشاوراً الله لأن دعواه ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهو المقتدر الذى سلطه الله على أعدائه وجعله حرزاً لأوليائه وأبو العالم لأن أتباعه كانوا كالأبناء له فى الطاعة والإنقياد وهو كالأب لهم فى الشفقة والتربية، وكان رئيس السلام لأنه منع حروب الجاهلية التى كانت بين العرب التى لا فائدة فيها ولا ثمرة لها إلا إتلاف النفوس.

وأما جهاده ﷺ لأعدائه؛ فإنه كان لتثبيت الدين الذى هو دين الله المتين ولتقرير السلام بين العالم فهو من قبيل "القتل أنفى للقتل" وسلطانه ﷺ يكثر يوماً فيوماً كما هو مشاهد وسلامه ﷺ يكثر أيضاً لأنه كلما ازدادت أتباعه راقى الأحوال وزالت الفتن الجاهلية وهو الذى جلس أصحابه على كرسى داود ﷺ وملكوا مقر حكمه ومملكته. التى هى بيت المقدس. وحكموا فيها بالعدل والإنصاف ولم يزل حكم أتباعه -حفظهم الله فيها- إلى هذا الحين ويبقى إن شاء الله كما وعد إلى أبد الآبدين.

وبحسب هذه الأوصاف لا يصح أن يكون مصداق هذا الخبر على عيسى ﷺ كما تزعمه النصارى لأن الأوصاف المذكورة لا تصدق عليه أصلاً وإن صدق بعضها لا يصدق جميعها بل لم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ وإن ادعى أحد من أهل الكتاب أن

هذا الخبر ليس المراد به محمد ﷺ فعليه أن يبين أحدًا غيره توجد فيه جميع هذه الأوصاف حتى تكون الإشارة إليه.

وفى هذا القدر كفاية لأننا لو تتبعنا كتب أهل الكتاب التي جاءت معلنة بنبوة سيد العرب والعجم لرأينا أخبارًا كثيرة جدًا. ومقام هذا الكتاب لا يسع ذكرها، وذكر الدلائل التي تجعلها خاصة به ﷺ وما غرضنا بهذا الكتاب المختصر إلا الرد على صاحب البرهان، في أقواله التي أخطأ فيها طريق الحق والصواب. وقد جمعت كتابًا ذكرت فيه من البشائر ثلاثين. كلها تشير بأعظم تصريح إلى نبوة سيد الكونين ووجوب تصديقه واتباعه. والله ولي التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

تعظيم المسلم للتوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل بعد أن أورد الآيات القرآنية السابق لك ذكرها التى استشهد بها على كون التوراة والإنجيل أنزلهما الله نوراً وهدى للناس هكذا: "فبناء على شهادة القرآن للتوراة والإنجيل بأنهم كتابان منزلان من عند الله هدى ونوراً للناس؛ كان يجب على كل مسلم أن يعظمهما ويتلوهما ويصدق كل ما حرر فيهما من غير شك وارتياب. سواء وافق ذلك العقل أم لا؛ لأنه لا بد لكل كتاب منزل من عند الله أن يشتمل على أمور تفوق إدراك العقل البشرى حتى ينجو من آمن ويهلك من كفر. والذى يؤيد ما قرناه: أننا نجد أشياء كثيرة من الأمور المحسوسة يعجز العقل عن إدراكها. فما بالك فى أمور الملكوت التى لم ننظرها"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من يجدد الفكر ويمعن النظر فيما تقدم من معانى الآيات الشريفة التى أوردتها حضرة القسيس فى مقالته السابقة؛ يعلم أن ما سلكه قد أخطأ فيه طريق الحق والصواب. فإننا معاشر المسلمين لا ننكر ولا ننزع فى كون التوراة والإنجيل منزلين من عند الله ﷻ نوراً وهدى للناس. وإنما النزاع فى وقوع التغيير والتبديل^(١) فيهما. فالقرآن المجيد ما شهد لهما

(١) فى سفر الملوك الأول / الأصحاح ١١

"وأما بقية أخبار سليمان وكل ما عمل وحكمته. أفليست مكتوبة فى سفر أخبار

بالحفظ من وقوع ذلك بل صرح بوقوعه في مواضع متعددة. ولهذا أنزل لنا هادياً ومرشداً كاملاً مستغنياً عن الاستعانة بغيره إلا ما كان حالاً لغوامضه كاشفاً لمضمرة عاملاً على بيانه قائماً بحجته. وإن لنا في الأحاديث الصحيحة المتواترة لمندوحة -أى غنى- سيما إذا أضفنا إلى ذلك كون القرآن جمع ما تفرّق في الكتب السماوية جمع صحة وتحقيق، وزاد عليها أموراً كلية تلائم الإنسان في الزمان والمكان إلى ما لا نهاية؛ لاكتفى المسلمون -حفظهم الله- به دون أن ينظروا في غيره. والله در من قال فيه :

طلعت به شمس الهداية للورى وأبى لها وصف الكمال أفولا
والحق أبلج فى شريعته التي جمعت فروعاً للهدى وأصولاً
لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فاطفاً القنديلاً

فمن هنا وما تقدم تعلم الجواب عن قول القسيس: "كان يجب على كل مسلم أن يعظمهما ويتلوهما ويصدق كل ما حرر فيهما من غير شك وارتياح" وأما قوله: "لأنه لا بد لكل كتاب منزل من عند الله أن يشتمل على أمور تفوق إدراك العقل البشرى" فغير مُسلّم له على إطلاقه، بل إن أراد بذلك ما يكون ممكناً ولا يلزم عليه استحالة ما قبل

سليمان؟

يقول المعلقون على هذه الفقرة: "سفر مفقود. يبدو أنه كان أحد المراجع القديمة

للملوك الأول ٣-١١

فهذا اعتراف منهم بفقدان سفر أخبار سليمان.

منه، كاشتماله مثلاً على المتشابه والمجمل والمجاز. فإن ذلك مما يمكن وقوعه في الكتب السماوية وإن كان إدراك معناه مما يفوق العقل البشري فلقد ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: "في كل كتاب سرّ وسر الله في القرآن أوائل السور" وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي" أي التي في أوائل السور. فهذه الحروف من المتشابه^(١) الذي استأثره الله بعلمه وهي سر الله

(١) الحروف المقطعة في أوائل السور ليست من المتشابه. وذلك لأن معناها معروف من سورة الشورى. (كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) قوله (كَذَٰلِكَ) يدل على أن من طرق الوحي عند اليهود والنصارى. حروف مقطعة في أوائل (زبر) ومن أمثلة ذلك:

الزبور ١١٩ وهذا هو صورته كما هي عندهم: "طوبى للكاملين طريقا السالكين في شريعة الرب طوبى لحافظي شهاداته من كل قلوبهم يطلبونه أيضا لا يرتكبون إثما في طريقه يسلكون أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماما ليت طرقني تثبت في حفظ فرائضك حينئذ لا أخزي إذا نظرت إلى كل وصاياك أحمدك باستقامة قلب عند تعلمي أحكام عدلك وصاياك احفظ لا تتركني إلى الغاية بم يزكي الشاب طريقه بحفظه إياه حسب كلامك بكل قلبي طلبتك لا تضلني عن وصاياك خبات كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك مبارك أنت يا رب علمني فرائضك بشفتي حسبت كل أحكام فمك بطريق شهادتك فرحت كما على كل الغنى بوصاياك الهج وألاحظ سبلك بفرائضك أتلذذ لا أنسى كلامك أحسن إلى عبدك فاحيا واحفظ أمرك اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك غريب أنا في الأرض لا تخف عني وصاياك انسحقت نفسي شوقا إلى أحكامك في كل حين انتهرت المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك دحرج عني العار والإهانة لأنني حفظت شهادتك جلس أيضا رؤساء تقاولوا عليّ أما عبدك فيناجي

بفرائضك أيضا شهادتك هي لذتي أهل مشورتني لصقت بالتراب نفسي فأحيني حسب
كلمتك قد صرحت بطرقي فاستجبت لي علمني فرائضك طريق وصاياك فهمني فأناجي
بعجائبك قطرت نفسي من الحزن أقمني حسب كلامك طريق الكذب ابعد عني و
بشريعتك ارحمني اخترت طريق الحق جعلت أحكامك قدامي لصقت بشهادتك يا رب
لا تخزني في طريق وصاياك اجري لأنك ترحب قلبي علمني يا رب طريق فرائضك
فاحفظها إلى النهاية فهمني فالأحظ شريعتك و احفظها بكل قلبي دربني في سبيل
وصاياك لأنني به سررت أمل قلبي إلى شهادتك لا إلى المكسب حول عيني عن النظر
إلى الباطل في طريقك أحيني أقم لعبدك قولك الذي لمتقيك أزل عاري الذي حذرت منه
لان أحكامك طيبة هانذا قد اشتبهت وصاياك بعدلك أحيني لتأتني رحمتك يا رب
خلاصك حسب قولك فأجواب معيري كلمة لأنني اتكلت على كلامك ولا تنزع من فمي
كلام الحق كل النزع لأنني انتظرت أحكامك فاحفظ شريعتك دائما إلى الدهر والأبد
وأمشي في رحب لأنني طلبت وصاياك وأتكلم بشهادتك قدام ملوك ولا أخزى وأتخذ
بوصاياك التي أحببت وارفع يدي إلى وصاياك التي وددت وأناجي بفرائضك اذكر
لعبدك القول الذي جعلتني انتظره هذه هي تعزيتي في مذلتي لان قولك أحياي
المتكبرون استهزأوا بي إلى الغاية عن شريعتك لم أمل تذكرت أحكامك منذ الدهر يا
رب فتعزيت الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك ترنيمات صارت لي
فرائضك في بيت غربتي ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك هذا صار لي
لأنني حفظت وصاياك نصيبي الرب قلت لحفظ كلامك ترضيت وجهك بكل قلبي
ارحمني حسب قولك تفكرت في طرقي و رددت قدمي إلى شهادتك أسرع و لم
أتوان لحفظ وصاياك حبال الأشرار التفت علي أما شريعتك فلم انسها في منتصف الليل
أقوم لأحمدك على أحكام برك رفيق أنا لكل الذين يتقونك و لحافظي وصاياك رحمتك
يا رب قد ملأت الأرض علمني فرائضك خيرا صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك
نوقا صالحا و معرفة علمني لأنني بوصاياك آمنت قبل أن اذل أنا ضللت أما الآن
فحفظت قولك صالح أنت و محسن علمني فرائضك المتكبرون قد لفقوا علي كذبا أما أنا

فبكل قلبي احفظ وصاياك سمن مثل الشحم قلوبهم أما أنا فبشريعتك أتأخذ خير لي أني
تذلت لكي أتعلم فرائضك شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب و فضة يدك صنعتاني
وانشأتاني فهمني فأتعلم وصاياك متقوك يرونني فيفرحون لأنني انتظرت كلامك قد
علمت يا رب أن أحكامك عدل و بالحق أدللتني فلتصر رحمتك لتعزيتي حسب قولك
لعبدك لتأتني مراحمك فاحيا لان شريعتك هي لذتي ليخز المتكبرون لأنهم زورا افتروا
علي أما أنا فأناجي بوصاياك ليرجع إلي متقوك و عارفو شهادتك ليكن قلبي كاملا في
فرائضك لكيلا أخزى تأقت نفسي إلى خلاصك كلامك انتظرت قلت عينايا من النظر
إلى قولك فأقول متى تعزيني لأنني قد صرت كزق في الدخان أما فرائضك فلم انسها كم
هي أيام عبدك متى تجري حكما على مضطهدي المتكبرون قد كروا لي حفائر ذلك
ليس حسب شريعتك كل وصاياك أمانة زورا يضطهدونني اعني لولا قليل لأفنوني من
الأرض أما أنا فلم اترك وصاياك حسب رحمتك أحييني فاحفظ شهادات فمك إلى الأبد يا
رب كلمتك مثبتة في السماوات إلى دور فدور أمانتك أسست الأرض فثبتت على
أحكامك ثبتت اليوم لان الكل عبيدك لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكت حينئذ في مذلتي
إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييتني لك انا فخلصني لأنني طلبت وصاياك
إياي انتظر الأشرار ليهلكوني بشهادتك افطن لكل كمال رأيت حدا أما وصيتك فواسعة
جدا كم أحببت شريعتك اليوم كله هي لهجي وصيتك جعلتني احكم من أعدائي لأنها إلى
الدهر هي لي أكثر من كل معلمي تعقلت لان شهادتك هي لهجي أكثر من الشيوخ
فطنت لأنني حفظت وصاياك من كل طريق شر منعت رجلي لكي احفظ كلامك عن
أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتني ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لقمي من
وصاياك أظعن لذلك أبغضت كل طريق كذب سراج لرجلي كلامك و نور لسبيلي
حلفت فابره أن احفظ أحكام برك تذلت إلى الغاية يا رب أحييني حسب كلامك ارتض
بمندوبات فمي يا رب وأحكامك علمني نفسي دائما في كفي أما شريعتك فلم انسها
الأشرار وضعوا لي فخا أما وصاياك فلم أضل عنها ورثت شهادتك إلى الدهر لأنها
هي بهجة قلبي عطفت قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر إلى النهاية المتقلين أبغضت و

شريعتك أحببت ستري و مجني أنت كلامك انتظرت انصرفوا عني أيها الأشرار فاحفظ وصايا الهي أعضدني حسب قولك فاحيا ولا تخزني من رجائي أسندني فاخلص وأراعي فرائضك دائما احتقرت كل الضالين عن فرائضك لان مكرهم باطل كزغل عزلت كل أشرار الأرض لذلك أحببت شهادتك قد اقشعر لحمي من رعبك ومن إحكامك جزعت أجريت حكما و عدلا لا تسلمني إلى ظالمي كن ضامن عبدك للخير لكيلا يظلمني المستكبرون كلت عيناى اشتياقا إلى خلاصك وإلى كلمة برك اصنع مع عبدك حسب رحمتك و فرائضك علمني عبدك أنا فهمني فاعرف شهادتك انه وقت عمل للرب قد نقضوا شريعتك لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز لأجل ذلك حسبت كل وصاياك في كل شيء مستقيمة كل طريق كذب أبغضت عجيبة هي شهادتك لذلك حفظتها نفسي فتح كلامك ينير يعقل الجاهل فغرت فمي و لهئت لأنى إلى وصاياك اشتقت التفت إلي و ارحمني كحق محبي اسمك ثبت خطواتي في كلمتك و لا يتسلط علي إثم افدني من ظلم الإنسان فاحفظ وصاياك أضئ بوجهك على عبدك و علمني فرائضك جداول مياه جرت من عيني لأنهم لم يحفظوا شريعتك بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة عدلا أمرت بشهادتك و حقا إلى الغاية أهلكتني غيرتي لان أعدائي نسوا كلامك كلمتك محصاة جدا وعبدك أحبها صغير أنا و حقير أما وصاياك فلم انسها عدلك عدل إلى الدهر و شريعتك حق ضيق وشدة أصاباني أما وصاياك فهي لذاتي عادلة شهادتك إلى الدهر فهمني فاحيا صرخت من كل قلبي استجب لي يا رب فرائضك احفظ دعوتك خلصني فاحفظ شهادتك تقدمت في الصبح و صرخت كلامك انتظرت تقدمت عيناى الهزع لكي الهج بأقوالك صوتي استمع حسب رحمتك يا رب حسب أحكامك أحييني اقرب التابعون الرنيلة عن شريعتك بعدوا قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق منذ زمان عرفت من شهادتك انك إلى الدهر أسستها انظر إلى ذلي وأنقذني لأنى لم انس شريعتك أحسن دعواي وفكني حسب كلمتك أحييني الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك كثيرة هي مراحمك يا رب حسب إحكامك أحييني كثيرون مضطهدي ومضايقي أما شهادتك فلم أمل عنها رأيت الغادرين ومقت

تعالى فى القرآن الكريم. فنحن نؤمن بظواهرها، ونكل العلم فيها إلى الله ﷻ وفائدة ذكرها لنا: طلب الإيمان بها حتى ينجو من آمن ويهلك من كفر.

ومن أمثلة هذا فى كتب العهدين مما لا يحصى إلا بكلفة. فإن أراد صاحب البرهان هذا قبل منه لأنه لا يلزم عليه استحالة؛ ما فيجوز وقوعه فى الكتب السماوية، وأما إن أراد بذلك ما يلزم من وجوده المحال ويحكم العقل بامتناعه؛ فلا سبيل إلى تسليمه البتة. ونقول: إن ذلك ليس من جانب الله ﷻ لأن الكلام الإلهي مصان عن مثل ذلك. كإجماع النقيضين مثلاً وارتفاعهما كالزوجية والفردية فإنهما نقيضان لا يصدقان على عدد واحد مخصوص ولا يكذبان معاً لامتناع ارتفاعهما عنه. فإن العدد لا يخلو إما أن يكون زوجاً أو فرداً. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه اجتماع الأضداد مثل الظلمة والنور والسواد

لأنهم لم يحفظوا كلمتك انظر أني أحببت وصاياك يا رب حسب رحمتك أحييني راس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك رؤساء اضطهدوني بلا سبب و من كلامك جزع قلبي ابتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة أبغضت الكذب وكرهته أما شريعتك فأحببتها سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك سلامة جزيلة لمحبي شريعتك وليس لهم معثرة رجوت خلاصك يا رب ووصاياك عملت حفظت نفسي شهادتك وأحبها جدا حفظت وصاياك وشهادتك لان كل طريقي أمامك ليبلغ صراخي إليك يا رب حسب كلامك فهمني لتدخل طلبتي إلى حضرتك ككلمتك نجني تتبع شفطاي تسبيحا إذا علمتني فرائضك يغني لساني بأقوالك لان كل وصاياك عدل لتكن يدك لمعونتي لأنني اخترت وصاياك اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعتك هي لذتي لتحيي نفسي وتسبحك وأحكامك لتعني ضللت كشاة ضالة اطلب عبدك لأنني لم انس وصاياك"

والبياض بأن يقال هذا أسود أبيض مثل العمى والبصر بأن يقال هذا أعمى بصير ومثل الحركة والسكون بأن يقال هذا ساكن متحرك. فاستحالة أمثال هذه الأشياء بديهية يحكم العقل بامتناعها بمجرد التأمل. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه لزوم الدور الذى هو توقف وجود كل من الشئيين على الآخر. مثل أن يقال وجود البيضة متوقف على وجود الدجاجة، ووجود الدجاجة متوقف على وجود البيضة. فهذا باطل ببداية العقل؛ فإنه لا بد أن يكون أحدهما سابقاً بالوجود على الآخر وإلا يلزم أن يكون كل منهما وجد قبل وجود سببه؛ فيلزم أن يوجد قبل وجود ذاته. وهو محال. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه؛ لزوم التسلسل. الذى هو ترتيب أمور غير متناهية. مثل أن يقال: وجود هذا الشئ متوقف على وجود شئ آخر، ووجود الشئ الآخر متوقف على وجود شئ. وهلم جرا إلى غير النهاية.

فهذا بين البطلان يحكم العقل بامتناعه بمجرد التأمل. وكذا مما يحكم العقل بامتناعه: اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيين فى مادة واحدة شخصية فى زمان واحد من جهة واحدة. كأن يقال: هذا الواحد ثلاثة وهذه الثلاثة واحد. وهذا أيضا ظاهر البطلان يحكم ببطلانه كل من له أدنى درجة من العقل.

فإن أراد صاحب البرهان بما ادعاه هذا؛ فلا سبيل إلى التسليم البتة بل يجب علينا أن نجزم بأن هذا ليس من جانب الله ﷻ ولا جاء به نبي من الأنبياء لأن الأنبياء -صلوات الله عليهم- لا يخبرون الناس

بما يمتنع ويستحيل فى العقل وإنما يخبرونهم بما تمتنع عقول الناس عن الاستقلال بمعرفته فيكون العقل فيه جائزاً؛ فيخبرونهم بمجازات العقول. لا بمجالات العقول وبين الصورتين فرق جلى تعلم به فساد قول القسيس إننا نجد أشياء كثيرة من الأمور المحسوسة يعجز العقل عن إدراكها فما بالك فى أمور الملكوت.

ولعل صاحب البرهان يشير لكلامه هذا إلى عقيدة التثليث التى عجزت عقول العالم عن إدراك حقيقتها. أعنى قولهم: إن الإله ثلاثة الأب والابن وروح القدس ويقولون: إن هذه الثلاثة إله واحد. فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد. وهو محال. إذ التوحيد الحقيقى والتثليث الحقيقى؛ نقيضان لا يجتمعان فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة بالضرورة كيف لا. وأن الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد وأن الثلاثة مجموع آحاد رؤساء، بل هو جزء الثلاثة فلو اجتمعوا فى محل واحد يلزم أن يكون الجزء كلاً والكل جزء. وهو ظاهر البطلان بعيد عن أن تدركه العقول السليمة والأذواق المستقيمة. ولهذا ترى كثيراً من الفرق المسيحية تاركين بيان هذه العقيدة والخوض فيها.

وهذا القسيس البروتستنتى صاحب البرهان قد أشار فى مقالته هذه إلى الاعتراف بأن هذا الأمر خارج عن إدراك العقول البشرية. ومع هذا فليس لهم دليل سمعى^(١) على هذه العقيدة الفاسدة البتة، بل هو

(١) أقانيم النصارى. وهى الأب والابن والروح القدس. سبب القول بها: هو إبعاد

نبوءات من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ لئلا تدل عليه. نبوءة الابن أصلها المزمور الثاني لداود عليه السلام وقد لقبوا فيه محمدا ﷺ بلقب "ابن الله" يعنون أنه سيكون من جماعة المؤمنين بالله. لأن الكافر بالله يقولون عنه إنه ابن إبليس. وقالوا: إنه سيحارب أعداءه وسيملك على العالم.

فجعلوا هذا الابن في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م هو المسيح وقالوا في قانون الإيمان: إنه رب. والله رب. ولم يتفقوا على التثليث، ولم يقولوا إن الله هو المسيح. وأما عن نبوءة الروح القدس. ففي إنجيل يوحنا-أصحاح ١٤ "بيراكليت الروح القدس" ومعناها: "أحمد المرسل من الله" لا من الشيطان الرجيم. فأبعد النصارى هذه النبوءة عن محمد ﷺ: إن الروح القدس إله. وأقروا التثليث لأول مرة في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م وإذا أنت بحثت وسألت عن أصل أقنوم الابن وأقنوم الروح ما أصلهما؟ يجب النصارى في كتبهم بما قلنا.

أولاً: وهذا هو نص المزمور الثاني: "لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قاتلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما الساكن في السماوات يضحك الرب يستهزئ بهم حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم فالآن يا أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يا قضاة الأرض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه طوبى لجميع المتكلمين عليه"

ثانياً: وهذا هو النص على الروح القدس: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مَعَزَاً آخَرَ لِيَمْكُنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآثَرُكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَكْرُسُكُمْ بِتَامِي. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضاً، وَأَمَّا أَنتُمْ فَتَرَوْنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَحَيُونَ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ. الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحْيِي، وَالَّذِي يُحْيِي يُحْبِبُهُ"

قول مخترع من عند أنفسهم. فإن جميع الكتب السماوية أمرة بخلافه ناطقة بأن الله تعالى واحد لا شريك له منزّه عن شائبة التعدد، أزلى أبدي لا يموت أبداً، قادر، يفعل ما يشاء. ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته. ولكثرة شواهد هذا الأمر وشهرته في تلك الكتب؛ غير محتاج إلى البيان. فهَوَسَات أهل التثليث باستتباطهم أدلة على تلك العقيدة الفاسدة من بعض كتب الأنبياء؛ لا تتم على العاقل من الصبيان لأنها في الحقيقة تحريف لمعانيها ومردودة، في مقابلة النص الصريح الموافق للبراهين العقلية.

وأصل ضلالهم شيان:

أحدهما: أنهم أرادوا الغلو في المسيح عليه السلام معاندة لليهود الذين كذبوه وظلموه؛ فصارت اليهود في جانب وهم في جانب آخر.

الثاني: أنهم وجدوا في بعض الكتب ألفاظاً مشتبهة بعضها صح نقلها عن الأنبياء؛ فحرفوا معانيها وبعضها لم يصح نقلها. وقد جاء في

أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي. قَالَ لَهُ يَهُودَا لَيْسَ الْإِسْخَرْيُوطِيُّ: يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَّثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟ أَحَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَحْبَبَنِي أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزَلاً. الَّذِي لَا يُحِبُّنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي. وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهِذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَمَّا الْمَعَزِيُّ، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. سَلَاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَرْهَبْ. سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ أَنِّي إِلَيْكُمْ. لَسَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. وَقُلْتُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. لَا أَتَكَلَّمُ أَيْضاً مَعَكُمْ كَثِيراً، لِأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ. وَلَكِنْ لِيَنْفَعَهُمُ الْعَالَمُ أَنِّي أَحِبُّ الْآبَ، وَكَمَا أَوْصَانِي الْآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ. قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هَهُنَا"

آخر إنجيل متى أنه قال لهم: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس" وهذا اللفظ إن صح نقله. فروح القدس هو جبريل، والآب هو الله والابن هو عبده ورسوله المسيح. ومن عادتهم: يسمون الرب أبًا والعبد المطيع ابنًا، كما في أناجيلهم أن المسيح قال لهم: "تشبهوا بأبيكم السماوي" وقال لهم أيضًا: "إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" فقد جعل المسيح - فيما ينقلونه عنه - أن الله أب لهم كما هو أب له، وهم متفقون على أنهم عبيد مخلوقون، وأن الله ربهم. فكذلك المسيح عبد مخلوق والله ربه. فيكون الآب والابن وروح القدس معناه الإيمان بالله وبرسوله المسيح، وأن جبريل هو روح القدس، الذي يجيئ بالرسالة من الله، وهو رسول الله إلى مريم في النفخ. كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ فالمراد بالروح ههنا: جبريل وقال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

وهذا الذي كان ينزل عليه شبه الحمامة على ما نقله متى الإنجيلي. فإذا كان الله قد أمرهم أن يؤمنوا بربهم الذي يسمونه أبًا وبرسوله المسيح الذي يسمونه هو وغيره ابنًا، ويؤمنوا بروح القدس الذي هو جبريل وهو رسول الله النافخ في مريم الذي جاء للمسيح بالوحي؛ كان هذا أمرًا موافقًا لما جاءت به الرسل، وهو موافق للعقل. بخلاف قولهم. فإنه مخالف له وللكتب التي جاءت بها الرسل. ويرشدك

إلى هذا: كون هذه العقيدة الفاسدة ما كانت فى أمة من الأمم من عهد آدم إلى عهد يحيى عليهما السلام. أما كونها غير ثابتة فى شريعة موسى ومن قبله من الأنبياء -عليه وعليهم السلام- فغير محتاج إلى البيان. ومن طالع هذه التوراة المتداولة الآن لا يخفى عليه هذا الأمر. وأما يحيى عليه السلام فعلى ما نقلت أناجيلهم أنه كان إلى آخر عمره شاكاً فى المسيح عليه السلام بأنه هو المسيح الموعود به أم لا. كما صرح بذلك متى فى العدد الثانى من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله فقال فيه هكذا: "أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلامذته وقال له: أنت هو الآتى أن ننتظر آخر" انتهى.

فلو كان المسيح رباً وإلهاً يلزم كفر يحيى عليه السلام إذ الشك فى الإله كفر وكيف يتصور من يحيى أن لا يعرف إلهه مع أنه نبيه وهو الذى أرسله على -زعم أهل التثليث- بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح -على ما حكاه متى فى العدد الحادى عشر من الأصحاح المذكور-؟ فإذا لم يعرفه يحيى عليه السلام الذى هو أفضل الأنبياء مع كونه معاصراً له؛ فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على المسيح عليه السلام أحق بالاعتبار. وعلماء اليهود والسامرة من لدن موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بهذه العقيدة أصلاً. ومعلوم للعاقل من الصبيان أن ذات الله تعالى وصفاته الكمالية قديمة غير متغيرة؛ فلو كان التثليث حقاً، لكان الواجب على موسى عليه السلام وبقية الأنبياء من بنى إسرائيل ومن قبلهم من الأنبياء والمرسلين أن يبينوه حق التبیین بأوضح عبارة وأجلى بيان.

فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع أنبياء بنى إسرائيل إلى عهد المسيح عليه السلام خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها، نبيًا كان أو غيره فموسى عليه السلام ما بينها ولا غيره من الأنبياء ببيان واضح، بحيث تفهم هذه العقيدة صراحة، ولا يبقى فيها شك أصلاً مع أن موسى عليه السلام قد بين الأحكام العملية، كالسبت والختان وغيرهما بالبيان الواضح التام، وكررها مرة بعد أولى وكرة بعد أخرى، وأكد على محافظتها تأكيداً بليغاً، وأوجب القتل على تاركى بعضها.

والأعجب من هذا أن المسيح عليه السلام ما بينها أيضاً إلى وقت عروجه إلى السماء ببيان واضح، مثلاً بأن يقول إن الله ثلاثة أقانيم الآب والابن وروح القدس، وأقنوم الابن تعلق بجسمى بعلاقة كذا أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، فاعلموا أنى أنا الله لا غيرى؛ لأجل العلاقة المذكورة. أو يقول كلاماً آخر مثل هذا فى إفادة المعنى صراحة لكنه عليه السلام لم يقل من ذلك شيئاً وإنما تبرأ من نسبة ذلك إليه وتوجه إلى الله متضرعاً رافعاً نظره الشريف نحو السماء الذى هو قبلة الدعاء. وقال: "الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" كما صرح بهذا يوحنا فى الأصحاح السابع عشر من إنجيله.

فقد بين عليه السلام في هذا القول أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقى وأن عيسى عليه السلام رسوله وما قال أن الحياة الأبدية أن تعرف الناس أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى، وأن عيسى أحد هؤلاء الثلاثة أو أنه إنسان كامل. وإله كامل فلو كان اعتقاد التثليث له دخل فى النجاة؛ لبينه عليه السلام فى حال دعائه. وإذا ثبت من كلامه عليه السلام أن الحياة الأبدية هى اعتقاد التوحيد لله تعالى، واعتقاد الرسالة للمسيح عليه السلام فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً بيننا البتة. والتوحيد الحقيقى ضد للتثليث الحقيقى - كما عرفت - وكون المسيح رسولاً ضد لكونه رباً وإلهاً؛ لأن التغاير بين المرسل والمرسل ضرورى. وهذه الحياة الأبدية توجد عند أهل الإسلام بفضل الله تعالى لأن قول المسيح عليه السلام هو عين ما يعتقدونه المسلمون فهم أهل الحياة الأبدية بشهادة المسيح عليه السلام ولو لم يكن من الأقوال النقلية الدالة على الوحدانية لله تعالى صراحة إلا هذا القول؛ لكفى فما بالك إذا كادت أن لا تحصى من كثرتها.

ومنه: ما ورد فى العدد التاسع من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل مرقس نقلاً عن كلام المسيح عليه السلام حين سأل بعض علماء اليهود عن أول الوصايا فأجابهم هكذا " إِنْ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. وَثَانِيَةً مِثْلَهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ

كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةِ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ
الْمُخَرَفَاتِ وَالذَّبَائِحِ. فَلَمَّا رَأَاهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلِ، قَالَ لَهُ: لَسْتُ بَعِيداً عَنْ
مَلَكُوتِ اللَّهِ " انتهى. وفي العدد الأربعين من الأصحاح الثانى والعشرين
من إنجيل متى بعد أن نقل حكم الوصيتين المذكورتين؛ هكذا: "بهاتين
الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء " انتهى .

فعلم من هذا: أن أول الوصايا الإلهية التى تعلقت فى جميع كتب
الأنبياء هو الاعتراف بأن الله واحد ولا إله غيره. ولو كان اعتقاد
التثليث له دخل مآ فى النجاة، لكان مبيناً فى التوراة وجميع كتب
الأنبياء ببيان واضح كما بيّن التوحيد. وفى العدد الخامس والثلاثين من
الأصحاح الرابع من سفر الاستثناء من التوراة هكذا: "لتعلم أن الرب
هو الله وليس غيره. فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الإله فى
السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت وليس غيره" وفى العدد
الخامس من الأصحاح الخامس والأربعين من كتاب إشعياء هكذا: "أنا
هو الرب وليس غيرى، وليس دونى إله شددتك ولم تعرفنى ليعلم الذين
هم من مشرق الشمس، والذين هم من المغرب أنه ليس غيرى أنا
الرب وليس آخر" انتهى.

فعلم من هذا أيضاً: أن الواجب على أهل المشرق وأهل المغرب
أن يعلموا أن لا إله إلا الله وحده، وأن يعلموا أن ليس دونه ولا بعده.
لا أن يعلموا أن الله ثالث ثلاثة وأن المسيح إله كامل وإنسان كامل.
وفى العدد التاسع من الأصحاح السادس والأربعين من الكتاب المذكور

هكذا: "أنى أنا الله وليس غيرى إله، وليس لى شبه" وفى العدد الرابع من الأصحاح السادس من سفر الاستثناء هكذا "إن الرب إلهنا رب واحد. أحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك " وهذا هو من كلام موسى المطابق لما نقله مرقس ومتى عن المسيح فى حكم الوصيتين السالفتين.

فإن قالوا: إن قول المسيح "الرب إلهنا رب واحد" لا يخرج عن كونه ربًا وإلهًا؛ لأنه قال ذلك بحسب الناسوت والجسم، لا بحسب اللاهوت. فهو باعتبار الجسم إنسان وباعتبار اللاهوت إله. فيقال إلزامًا لهم وجلاء لأوهام قلوبهم: إن موسى عليه السلام قال ذلك أيضًا بحسب الناسوت والجسم لا بحسب اللاهوت إله. وترجيح عيسى على موسى عليه السلام ترجيح بلا مرجح. فإن قالوا كما يقول بعض جهلائهم: قد وجدنا مرجحات شتى. فإن عيسى عليه السلام قد أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص من برصه بخلاف موسى وغيره من الأنبياء. فيقال: إن هذا الاستدلال ضعيف جدًا، ولا يكون موجبًا للألوهية فإن موسى عليه السلام قد قلب العصا التى هى من الجمادات حية ذات روح، وصارت تلقف ما ألقته السحرة من تخيلاتهم. فهذا العمل أبلغ من إحياء الموتى لأن قلب العصا حية أبلغ فى العقل من إعادة الشخص الميت حيا وأبلغ فى القدرة. فلو كان إحياء الموتى موجبًا للألوهية لكان موسى عليه السلام أحق بها منه؛ لأن عمله أبلغ من عمله. وكذلك حزقيال أحق بها منه؛ فإنه قد

أحىي ألوفاً من الأموات وهى عظام بالية^(١). كما هو مُصرح به فى الأصحاح السابع والثلاثين من كتاب حزقيال، وكذلك إيلياء عليه السلام قد أحىي ميتاً، كما هو مصرح به فى الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول. واليسع عليه السلام أحيا ميتاً أيضاً كما هو مصرح به فى الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثانى. وصدرت هذه المعجزة عنه بعد موته. فإن ميتاً ألقى فى قبره ولما مسَّ عظام اليسع؛ عاش الميت وقام على رجلية. كما هو مصرح به فى الأصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الثانى، وقد أبرأ الأبرص من برصه أيضاً كما هو مصرح به فى الأصحاح الخامس من السفر المذكور فلو كان إحياء الموتى موجباً للألوهية؛ للزم أن يكون جميع هؤلاء الأنبياء آلهة. والعياذ بالله تعالى.

وكذلك مما يستدلون به على ألوهيته: كونه صعد إلى السماء. مع أن هذا الاستدلال أشد ضعفاً من الأول؛ لأن أخنوخ وإيلياء عليهما السلام قد صعدا إلى السماء أيضاً، كما هو مصرح به فى كتب العهد العتيق. فلو كان صعوده إلى السماء موجباً للألوهية، لكان أخنوخ

(١) إحياء حزقيال: هو تمثيل لحال بنى إسرائيل فإنهم لما وقعوا فى أسر ملك بابل، وصاروا تحت العبودية لملك بابل؛ كانوا كأنهم أموات -مجازاً- وكذلك كان حال اليهود لما صاروا تحت الفرس واليونان والروم. كانوا أمواتاً -مجازاً- فلما جاء الإسلام صاروا أحياء لأن محمداً هو الذى أزال عنهم حكم الروم وقد بين هذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحْيَاكُمْ﴾

وإيلياء عليهما السلام أحق بها منه لسبقهما عليه فى الصعود والوجود، بل أخنوخ جده الأكبر، فلا يسع المسيح أن يتقدم عليه فى هذه الرتبة السّنية؛ وكذلك مما يستدلون به على ألوهيته كونه وُلد بلا أب، مع أن هذا الاستدلال أَوْهَى من بيت العنكبوت، ولا يكون موجبا للألوهية، لأننا لو نظرنا إلى نوع الإنسان فقط. فآدم عليه السلام بلا أب وأم فيفوق على المسيح عليه السلام فى كونه بلا أم، فهو أحق بالألوهية منه. وكذلك ملكى صَادَقَ الكاهن المعاصر لإبراهيم عليه السلام بلا أب، بلا أم، بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة كما صرح بذلك بُولس مقدس المسيحيين فى الأصحاح السابع من رسالته العبرانية. فهذا أبلغ من آدم على حكم بولس ويفوق على المسيح بكونه بلا أم وفى كونه لا بداية أيام له ولا نهاية حياة بخلاف المسيح عليه السلام كما لا يخفى؛ فهو أحق بالألوهية من المسيح وآدم عليهما السلام لأنه لا فرق بينه وبين الإله الحقيقى خالق السموات والأرضيين. نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

ومما يتمسكون به: إطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام فيحملونه على البنوة الحقيقية، مع أن هذا اللفظ قد كثر إطلاقه على العبد الصالح فى كتبهم المقدسة على طريق المجاز بمعنى ابن المحبة، كما يقال فلان من أبناء الدنيا. ونظير ذلك: قول المسيح عليه السلام فى خطاب الحواريين: "تشبهوا بأبيكم السماوى" ومما يتمسكون به على الاتحاد والمساواة ما نقله يوحنا فى العدد الثلاثين من الأصحاح العاشر

من إنجيله عن قول المسيح عليه السلام : "أنا والآب واحد" فهذا القول يستدلون به على المساواة والاتحاد؛ لله وكل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فإن هذا القول لو أفاد المساوى والاتحاد للزم ثبوتهما للحواريين أيضاً. لأن المسيح عليه السلام قال فيما نقله عنه يوحنا فى العدد الحادى والعشرين من الأصحاح السابع عشر من إنجيله هكذا: "كما أنك أيها الآب فىّ وأن فيك؛ ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا" فلو كان هذا الاطلاق موجبا للألوهية لكان كل من أطلق عليه هذه اللفظ إلهاً أو ابن الله حقيقة -والعياذ بالله تعالى-

وقد جاء إطلاق لفظ الإله على المخلوقين من الناس فضلاً عن إطلاق لفظ ابن الله فى كثير من المواضع. فمن ذلك: قول الرب فى خطاب العوام من الناس: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم" كما هو مصرح به فى العدد السادس من الأصحاح الثانى والثمانين من الزبور. وفى هذا القول تصريح فى جواز إطلاق لفظ الإله وابن الله على العوام من الناس فضلاً عن المؤمنين. كما صرح بذلك فى الأصحاح الرابع من رسالته الأولى لأهل كورنثيوس.

وكذا جاء إطلاق لفظ الرب على المخلوق، بمعنى المخدم والمعلم فى كثير من مواضع كتبهم المقدسة. يغنى عن نقل شواهد؛ التفسير الواقع فى العدد الثامن والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا فى خطاب التلاميذ للمسيح عليه السلام حيث فيه هكذا: "فقالا: ربّى. الذى تفسيره يا معلم أين تمكث؟" فعلم من هذا التفسير: أن اطلاق لفظ

الرب على المخلوق يكون بمعنى المعلم لا بمعنى الخالق والمعبود، كما هو مزعومهم. وقد يستدلون على ألوهية المسيح وقدمه بما ورد من تسميته كلمة الله ويقولون: إنه قديم غير مخلوق، كما تقولون: إن القرآن قديم غير مخلوق. مع أن هذا الاستدلال لا يتم على العاقل من الصبيان. والفرق بينهما ظاهر فإنه قد يُراد بلفظ الكلام المفعول وهو المخلوق والمصنوع بالكلام، كما يراد بلفظ القدرة. المقدور كقول القائل لما يشاهده من الآيات: هذه قدرة عظيمة. ومن هذا تسمية المسيح عليه السلام كلمة الله. فإن الله خلقه بكلمته أى بقوله كن فكان قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فقوله خلقه. أي خلق آدم من تراب. ثم قال له: كن؛ فكان بلا واسطة أب ولا أم فشبه حال عيسى عليه السلام بما هو أغرب وأعجب إفحاماً للخصم وقطعاً لموارد الشبهة، والمسيح لم يخلقه من تراب وإنما خلقه ابتداءً بقوله "كن" من غير تراب، ولا على الوجه الذي خلق عليه غيره من البشر، بل خلق بخرق العادة. فكوّنه بكلمة كن. ولهذا سمي كلمة الله دون غيره من المخلوقات. وهذا يقتضي أن يكون المسيح آية من آيات الله كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وذلك ليبين عموم قدرته. فإنه سبحانه وتعالى خلق النوع البشري على سائر الوجوه الممكنة. خلق بعضه من غير ذكر ولا أنثى، وهو آدم عليه السلام وخلق بعضه من ذكر بلا أنثى وهو حواء، وخلق بعضه من أنثى بلا ذكر وهو

المسيح عليه السلام، وخلق بقية الخلق من الزوجين الذكر والأنثى. فتمت حينئذ أنواع الخلق والإيجاد.

ولا يقتضي أن يكون المسيح عليه السلام بهذه الخاصية أفضل من غيره من المرسلين، فضلاً عن أن يكون رباً إلهاً أو ابن الله حقيقة، كما هو مزعومهم. فإن آدم عليه السلام مع كونه خلقه من غير الزوجين، ثم قال له كن فكان لم يفضل على من قال له كن فكان، فالمسيح إذ خلقه بكلمته بدون واسطة رجل لا يقتضي أن يكون أفضل من موسى وإبراهيم المخلوقين في الرحم بسنة الله وعادته، فضلاً عن أن يكون رباً وإلهاً أو ابن الله حقيقة، وإنما يدل ذلك على أن المسيح عليه السلام آية من آيات الله.

وكذلك قد يتمسكون بما ورد في المسيح من قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ ويقولون: إذا كان المسيح ^(١) روح الله؛ فلا بد أن يكون في مرتبة

(١) وعد الله بنى إسرائيل بمجيئ نبي مثل موسى -وهو محمد رسول الله- والوعد يُعرف بالكلمة. فلذلك لقب محمد بلقب "كلمة الله" وأمر إشعيا النبي أن يكرز بمجيئه، وأن يعزى بنى إسرائيل في أنه سينزع الملك منهم وسينسخ التوراة. وكان كل نبي يأتي من بعد إشعيا كان يبشر بمحمد بلقب كلمة الله. فيحيى عليه السلام كانت عليه كلمة الله. أى التبشير برسول الله. والمسيح أيضاً كان يكرز بالكلمة، وتلاميذه من بعده. فلما بشر جبريل مريم ﴿وَكَلِمَتُهُ أُنْثَمًا إِلَى مَرْيَمَ﴾ كان يعنى بالكلمة الملقاة: تعريفها بالنبي الآتى، وأن ابنها سوف يبشر به. وألهمها أن النبي المبشر به هو الملقب بالروح فى سفر إشعيا النبي.

أولاً: النص على الكلمة: "عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم طيبوا قلب أورشليم

الألوهية لأن روح الله لا تكون أقل من الله، مع أن هذا لا يقتضي ذلك فإن قوله: ﴿رُوحِي﴾ بلغ من قوله ﴿وَرُوحُ مِنْهُ﴾ وقد قال في آدم عليه السلام في سورة الحِجْرِ وسورة ص أيضاً: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ وقال سورة السجدة في حقه أيضاً: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ فهذا آدم عليه السلام قد أطلق الله على نفسه الناطقة أنها

ونادوها بان جهادها قد كمل أن إثمها قد عفي عنه إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلا لإلهنا كل وطاء يرتفع و كل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم صوت قائل ناد فقال بماذا أنادي كل جسد عشب و كل جماله كزهر الحقل يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه حقا الشعب عشب يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد.

ثانياً: النص على الروح: "هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف و فتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته هكذا يقول الله الرب خالق السماوات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة و الساكنين فيها روحاً أنا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة أنا الرب هذا اسمي و مجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تثبت أعلمكم بها"

روحه وقد أضافها إليه فقال ﴿رُوحِي﴾ ومع هذا فهو مخلوق فقوله في المسيح وروح منه أولى أن يكون مخلوقاً. وقال تعالى في سورة مريم في جبريل عليه السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ وقد قال فيه أيضاً: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وقال فيه أيضاً: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ فهذا جبريل قد أطلق عليه الروح الأمين وروح القدس وأضافه إلى نفسه، ومع هذا فهو مخلوق فقوله في المسيح ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ لا يقتضي أن يكون في رتبة الألوهية، وهو أولى أن يكون مخلوقاً. وقد قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ ؛ وذلك كله مخلوق وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ فإذا كانت النعم التي بنا وما في السموات وما في الأرض من الله وهي مخلوقة، فما المانع أن يكون المسيح روحاً من الله وهو مخلوق؟

ووقع في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع والثلاثين من كتاب حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال هكذا: "فأعطي فيكم روحي فتحيون" فهؤلاء الألوف من الناس قد أطلق على أنفسهم الناطقة الإنسانية أنها روحه، ومع هذا فهم مخلوقون. ولو كان ذلك موجباً للألوهية للزم أن يكون كل هؤلاء الناس آلهة، على حكم كتاب حزقيال، وأن يكون آدم وجبريل عليهما السلام الهين والعياذ بالله تعالى فالحق: أن المراد بالروح في قوله

تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النفس الناطقة الإنسانية والمضاف إليه محذوف. أي ذو روح منه. أضيف إليه تشريعاً فلا ينبغي للعقل أيها اللبيب أن يستدل بمجرد إطلاق هذه الألفاظ وأمثالها على الحوادث التي حدوثها وتغيرها مشاهد ومحسوس بحاسة البصر بأنه إله أو ابن الله حقيقة، وينبذ البراهين العقلية والنصوص النقلية الدالة على منع ذلك وراء ظهره فإنه قد تقرر في بدائه العقول أن الله سبحانه قديمٌ قديرٌ غنيٌّ أزليٌّ أبديٌّ ليس كمثله شيء واجب الوجود لذاته منزّه عن كل وصف لا كمال فيه، وأما عيسى عليه السلام فهو عبارة عن هذا الشخص الجسماني المساوي لنا في الخلقة، الذي وُجد بعد أن كان معدوماً وقتل وصلب على زعمهم بعد أن كان حياً وكان طفلاً ويحدث وينام ويقوم وتعتريه الأسقام والهموم ومعلوم أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً والعاجز لا يكون قادراً والمتغير لا يكون دائماً .

وقد ثبت من هذا الإنجيل أنه عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة لله تعالى فكان يجهد نفسه في الصلاة والصوم والزهادة في الدنيا الدنية وكان يكثر من التضرع والابتهال والمناجات والسؤال؛ فلو لم يكن عبداً من عبيد الله تعالى لاستحال أن تلحقه هذه الأعراض الدالة على الحدوث والافتقار. ولو كان رباً وإلهاً فمن كان يعبد؟ ومن كان يتضرع إليه ويعوّل في أموره عليه؟ هل كان رب أعظم منه أو رب

مساوٍ له أو كان يعبد أحداً من العباد؟ ولعمري أن اشتغاله بعبادة الله تعالى أدل دليل على كونه عبداً من العبيد الأخيار، المطيعين الأبرار. وما ألطف ما نقله عنه متى في العدد السادس عشر من الأصحاح التاسع عشر من إنجيله حين خاطبه أحد اليهود بقوله: "أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" وهذا القول منه عليه السلام يقلع شرش التثليث من أصله. وما رضى عليه تواضعاً منه أن يطلق عليه لفظ الصالح فلو كان رباً وإلهاً لما كان لقوله معنى، بل كان الواجب عليه أن يبين أن لا صالح إلا أنا والآب وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة لأن ذلك مدار النجاة من العذاب الأليم الدائم في نار الجحيم، وحيث ثبت من قوله أنه لم يرض بإطلاق لفظ الصالح عليه، فكيف يرض بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلواتهم: "يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضع من خلقت بيدك..."؟

حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك. ولئلا يتقولوا عليه هذه الأقاويل الفاسدة التي تقشعر من ذكرها الأبدان ويكذبها البرهان؛ قد صرح لهم في منع ذلك وسوى بينه وبينهم عند صعوده إلى السماء أيضاً بقوله: "إنى صاعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم" كما صرح بذلك يوحنا في الأصحاح العشرين من إنجيله. ولما كان هذا بعد ما قام عيسى عليه السلام من الأموات على زعمهم قبل عروجه إلى السماء بقليل؛

ثبت أنه كان يصرح لهم أنه عبد الله إلى زمان عروجه. وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَأْمُرْتَنِي بِهِ أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ولقد نقل متى في الأصحاح السابع من إنجيله قوله: "ليس كل من يقول لى: يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: يارب يارب أليس باسمك تتبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم"

فله الحمد نحن الذى فعلنا إرادة الله تعالى وما أحد من أهل الدين الإسلامى الحنيف دعاه بيارب أصلاً بل ينفون ربوبيته المطلقة من كونه إلهاً أو ابن الله، فنحن أحباؤه الذين عرفناه بحقه وأحلناه محله والله در من قال:

دع ما ادّعتَه النصرارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

والعجب كل العجب من المسيحيين بعد أن أفرطوا فى تعظيمه وتغالوا فى مدحه وتكريمه حتى أخرجوه عن نوع الإنسانية وأثبتوا له الربوبية أفرطوا فى حقه غاية التفريط فزعموا أن اليهود وهم أحقر الناس تسلطوا عليه فقادوه مكتوف اليدين وقتلوه وصلبوه وجعلوا شوك القتاد لرأسه إكليلاً، إهانة له وتذليلاً.

وزعموا: أن صلبه كان كفارة لخطيئة البشر التي لحقتهم بسبب^(١) أكل أبيهم آدم ~~الطير~~ من الشجرة، وأن كافة الناس قبل صلبه كانوا في الجحيم، حتى الأنبياء والرسل كموسى وإبراهيم.

وهو قول فاسد ورأى كاسد لا يوافقهم عليه عاقل لوجوه:

الأول: أن الكتب الإلهية متفقة على عدم مؤاخذه أحد بذنب غيره ففي العدد العشرين من الأصحاح الثامن من كتاب حزقيال هكذا: "النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. عدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه" وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فلو فرضنا أن آدم ~~الطير~~ أخطأ فكيف لحقت خطيئته أولاده إلى عهد المسيح ~~الطير~~ سيما إذا أضفنا ذلك إلى الأنبياء الذين لم يفتروا لحظة عن طاعة الله تعالى وإجهاد النفس فيما فيه رضاه؟ وكيف لحقت الأطفال أيضا الذين ماتوا قبل أن يكلفوا بشئ وتكتب عليهم الذنوب ويعذبوا في الجحيم؟ حاشا وكلا بل الله ~~تعالى~~ حكم عدل لا يجازى الأبناء بذنوب الآباء. وما قالتها النصارى محض افتراء حدث من عند أنفسهم.

(١) في الأصحاح العاشر من سفر الحكمة أن آدم تاب، والله قبل توبته "والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول، أب العالم، الذي خلق وحده لما سقط في الخطيئة، رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شئ" [حكمة ١٠: ١-٢] ويقول الله في القرآن عن الحكمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أشار بالتذكير إلى أهل الكتاب. فإنهم قرأوا كتبهم وغفلوا عنها.

الثانى: أن آدم عليه السلام قد تاب من ذنبه والله سبحانه يقبل توبة الكافر من كفره الذى هو أعظم الذنوب فكيف لا يقبله من ذنب صغير صدر من غير تعمد؟ ومع هذا فאלله سبحانه قد جازاه بإهباطه إلى الأرض دار المشقة والنصب. وهذا الجزاء كافٍ. فما الموجب لإدخاله وأولاده نار الجحيم بسبب ذنب صغير تاب منه وجوزى عليه؟

الثالث: إذا كان إبراهيم وموسى عليهما السلام متلبسين بهذه الخطيئة ومن أهل الجحيم إلى وقت الصلب، فكيف اصطفاهما ربهما فأخذ أحدهما خليلاً والآخر كليماً؟ وقد ورد فى العدد السابع من الأصحاح الأول من الزبور هكذا: "لا تقوم الأشرار فى الدين، ولا الخطاة فى جماعة الرب" فإذا كان إبراهيم وموسى عليهما السلام من أهل الخطيئة على زعم النصارى فكيف دخلا فى جماعة الرب، فكان أحدهما كليماً والآخر خليلاً؟

الرابع: إذا كان آدم عليه السلام خالف أمر ربه فى أكله من الشجرة فما الموجب لصلب ابنه كفارة لذنوب عبد من عبيده سيما إذا لاحظنا ما جاء فى هذا الإنجيل من أن ابنه المسيح كان يتضرع إلى أبيه ويستغيث فى أن يصرف عنه هذا الكأس؟ وهل هذا - والله المثل الأعلى - إلا كملك خالفه أحد رعيته، فعمد ذلك الملك إلى قتل ولده وفلذة كبده كفارة لذنوب ذلك الخاطئ الجانى، وابنه يستغيث به فى رفع عقاب ذنب جناه غيره من رعاياه ويقول: يا أبتى مالك تعاقبنى على ذنب غيرى وقد كنت أرجو عفوك عنى لو كنت أنا المذنب؟ فهل يتصور أحد وقوع ذلك؟

وإذا وقع فهل أحد يعدّ ذلك الملك حكيماً عادلاً؟ حاشا وإذا كان آدم عليه السلام أخطأ مع الله في أكله من الشجرة فما ذنب المسيح عليه السلام الذى يزعمون أنه ابن الله الوحيد وكيف يرضى أبوه بقتله وإهانيته؟ ولم لم يعذب آدم الذى جنى تلك الخطيئة أو يقبل توبته أو يعفو عنه. وهو الذى يقبل التوبة إن عباده ويعفو عن السيئات؟

الخامس: إنهم يقولون بحلول الله تعالى فى المسيح واتحاده به وعدم انفصاله عنه فإذا كان الأمر كذلك فإذا قُتل المسيح على زعمهم فقد لحق القتل ذات الله تعالى لاتحاده به وعدم انفصاله عنه وإذا قالوا إن القتل حل بناسوت المسيح فقط، قيل لهم: قد بطل الاتحاد إذاً. فإن الشيثيين لا يقال لهما متحدان إلا إذا لحق كل واحد منهما ما لحق الآخر وإلا فليسا بمتحدين وحيث قالوا بالاتحاد ثم قالوا بقتل المسيح؛ لزمهم أن الله الحى الذى لا يموت قد قتل ومات، فحينئذ يقال لهم من دبر هذا الكون بعده، هل دبر نفسه؟ -وهو محال- أم بقى معطلاً بغير إله دبره وهو أشد استحالة؟ ولنعم ما قيل:

محال لا يساويه محال وقول فى الحقيقة لا يقال

وفكر كاذب وحديث زور بدا منهم. ومنشؤه الخيال

تعالى الله ما قالوه كفر وذنوب فى العواقب لا يقال

السادس: إنهم يزعمون أنه قام حيا بعد دفنه بثلاثة أيام وصعد إلى السماء. فيقال لهم: من أحياء إذا كان هو الإله؟ هل هو أحياء نفسه

أو إله غيره كان حيا فأحياء؟ وكلاهما محال بعيد عن العقول السليمة والأذواق المستقيمة.

السابع: أن الكتب السماوية تصرح جميعها بإثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزهه عن صفات النقصان فلو صحت مقالة النصارى من كون المسيح ربًا وإلهًا قد قتل؛ لصح أن يقال: سبحان قاتل نفسه، أو سبحان من غلبته اليهود. وشبه ذلك.

الثامن: أنه جاء في كتبهم المقدسة أن الأشرار يكونون فدية وكفارة للصديقين الأبرار. فلقد جاء في العدد الثامن عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من الأمثال هكذا: "الشرير فدية للصديق، ومكان المستقيمين الغادر" وفي العدد الثامن من الأصحاح الحادى عشر من السفر المذكور هكذا: "الصديق ينجو من الضيق ويأتى الشرير مكانه"

فهذا القول صريح فى أن الأشرار يكونون فدية وكفارة للصديقين الأبرار؛ فلو صحت مقالة النصارى من أن المسيح صُلب وقتل؛ فدية عن العالم لتكفير خطاياهم؛ للزم أن يكون المسيح على حكم كتبهم المقدسة شريرًا. والعياذ بالله تعالى، بل يلزم أن يكون المجوس وعبيد الوثن ومشركو الهند والصين أصدق وأبر منه -والعياذ بالله تعالى- ويلزم أن يكون النصارى الذين يدعونه بياربنا وإلهنا؛ أبر وأصدق منه، بل يلزم أن يكون اليهود أهل الكفر والجحود الذين صلبوه وقتلوه على زعمهم أبر وأصدق منه، لأنهم من العالم وزعموا أن صلبه كان

كفارة لخطايا جميع العالم. ففي العدد الثاني من الأصحاح الثاني من رسالة يوحنا الأولى هكذا: "يسوع المسيح البارّ هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم" انتهى.

فإذا كان هو بار وكان كفارة عن العالم، فالعالم بأسره أبرار على حكم كتبهم المقدسة، بل هم أبر منه -والعياذ بالله تعالى- .

التاسع: أن المسيح ~~عليه السلام~~ إذا كان قد صلب وقتل -على زعمهم- لأجل فداء البشر وتخليصهم من عذاب سقر؛ فيجب على النصارى أن يشكروا اليهود على صلبه وقاتله، ويُجزوهم خير الجزاء لأنهم هم الذين كانوا سببًا للفداء. ولا ينبغي أن يجزوا بالشر يهوذا الأسخريوطى ويلعنوه أشد اللعن، حيث أسلم ربه المسيح -على زعمهم- لليهود وارتشى على ذلك بثلاثين درهماً من الفضة؛ لأنه كان قد أعان على أمر نافع لجميع العالم.

العاشر: أنهم يزعمون^(١) أن المزمور السادس من مزامير داود
 الطيب في حق المسيح عليه السلام في آخره هكذا: " ابعدوا عني يا فاعلي الإثم.
 لأن الرب قد سمع صوت بكائي. سمع الرب تضرعي. الرب يقبل
 صلاتي. جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جداً. يعودون ويخزون بغتة"
 انتهى. فهذا القول يدل على أن الله قد أخزى أعداء المسيح وأبعدهم
 عنه فيقتضى عدم صلبه وقتله وهو الصحيح. ومصادقه: قوله تعالى
 في كتابه العزيز: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ولقد نقل يوحنا في
 العدد الثالث والثلاثين من الأصحاح السابع من إنجيله قول المسيح عليه السلام
 حين أرسل رؤساء اليهود خداماً ليمسكوه للقتل هكذا " أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا
 بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَجِدُونَنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَا
 تَقْدِرُونَ أَتْنُمُ أَنْ تَأْتُوا " وقال في العدد الحادي والعشرين من الأصحاح
 الثامن من إنجيل يوحنا أيضاً هكذا " أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُوتُونَ فِي

(١) زعم المسيحيين باطل؛ لأن جميع النبوءات التي في الزبور هي عن محمد ﷺ وفي
 المزمور السادس يتكلم عن حروبه مع أعدائه ويقول إن الله نصره عليهم. والمسيح لم
 يحارب ولم ينتصر. وهذا هو نص المزمور ٦: "يا رب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني
 بغضبك ارحمني يا رب لأنني ضعيف اشفني يا رب لان عظامي قد رجفت ونفسي قد
 ارتاعت جدا وأنت يا رب فحتى متى عد يا رب نج نفسي خلصني من اجل رحمتك
 لأنه ليس في الموت ذكرك في الهاوية من يحمذك تعبت في تنهدي أعوم في كل ليلة
 سريري بدموعي أذوب فراشي ساخنت من الغم عيني ساخنت من كل مضايقي ابعدوا
 عني يا جميع فاعلي الإثم لان الرب قد سمع صوت بكائي سمع الرب تضرعي الرب
 يقبل صلاتي جميع أعدائي يخزون ويرتاعون جدا يعودون ويخزون بغتة"

خَطِيئَتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنتُمْ أَنْ تَأْتُوا فَقَالَ الْيَهُودُ: أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولَ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَنتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. انتهى. وهذا القول أيضاً صريح في عدم صلبه وقتله، ويطابق قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ولقد أعجبنى سَيَرُ صَدِيقِي الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ أَفْنَدَى الْمَهْدَى اللَّبْنَانِي فِي هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ قَالَ -حَفَظَهُ اللَّهُ- هَكَذَا: "وبينما أنا أجول في شوارع مصر القاهرة إذ لقيني أحد فضلاء النصارى الذى له علم فى دخولى وتشرفى فى هذا الدين القويم، وسألنى عن سبب اعتناقى لهذا الدين المبين، وباحثنى فى الاعتقادات الدينية وباحثته، وسألنى وسألته. ومن الجملة: سألته لأى شئ صلب الإله؟ فقال لأن آدم خالف وصيته حين ما أكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها؛ فأراد الله أن يقدم نفسه كفارة عن خطيئة آدم، فأخذ جسم إنسان من مريم البتول وقدم نفسه لليهود فصلبوه . قلت له: كان الأولى أن يقتص من آدم أو يقدم نبياً من الأنبياء كفارة عنه. فقال: أما كونه يقتص من آدم أو يقدم نبياً من أنبيائه كفارة عنه؛ فلا يجزئ؛ لأن ذنب آدم عند الله عظيم، وقد وقع بنوه كلهم فى الخطيئة بسببه ولا شئ يقابل هذا الذنب إلا إرسال الإله ابنه وأخذه جسم إنسان من مريم العذراء وتقديم نفسه فدية عن آدم.

فسألته هل المسيح صلب بحسب ما هو إنسان أم بحسب ما هو إله؟ فسكت قليلاً وقال : بحسب ما هو إنسان. فقلت له إذاً: لا فائدة فى

الصلب لأنك تقول جميع الإنسان لا يجزى؛ لأنه وقع فى الخطيئة ولو قلت إنه صلب بحسب ما هو إله لقلت إن المصلوب كما فى الأناجيل: "نادى بصوت عالٍ إلهى إلهى لماذا تركتني" ويلزم من هذا دفع صلبه بحسب ما هو إله ونفى الصلب عنه وهو إنسان؛ لأنه بفرض تعلق الإرادة بتمكن اليهود من صلبه وقتله؛ لصبر ولم يجزع كل هذا الجزع وهو من كبار الأنبياء والرسل فضلاً عما اعتقنتموه من أنه إله. وتلك درجة لا تجعل لآلام الموت عليه سييلاً. كيف لا وهو المحيى والمميت. ولا يصح أن تتمكن من إزهاق روحه آلة صغيرة، بيد أناس مملوكين القوى له، وقد اعترفت بأن آلة القطع لم تعمل فى رقبة إسحاق شيئاً وهو أصغر فى الدرجة من المسيح. وعبرة أنه قدم نفسه فدية؛ مدفوعة أيضاً بالجزع المثبوت فى حال الصلب وقبله؛ لأنه إذا قدم نفسه للموت مختاراً ذلك الأمر ليكون أحدى خير؛ لما كان جزع كل هذا الجزع وتضجر واستغاث.

قال: ولما وجدنى الفاضل النصرانى ناهضاً بالحجة عليه وأنه لا سبيل إلى إنكار ما وقع؛ انصرف يتعثر فى ثياب الخجل قائلاً دين المسيح لا يحده العقل" انتهى.

وفى هذا القدر كفاية للعاقل من الصبيان، وقد ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " بل الذى ينبغي للإنسان أنه متى تحقق أن هذا كتاب منزل من عند الله أن يتلقاه بالقبول والامتنال وليس له أن يؤمن ببعض ويكفر بالبعض الآخر بأن يقول هذا موافق للعقل؛ فأصدقه، وهذا عاجز عنه العقل أو غير قابل له؛ فأرفضه ولا آخذ به؛ لأنه قد ورد فى القرآن ذم من صفته هكذا بقوله: ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

أقول: لقد علمت أيها اللبيب مما قدمناه من قريب غير بعيد: أن ما يحكم العقل بامتناعه ويلزم من وجوده المحال؛ لا سبيل إلى تصديقه بأنه من جانب الله ﷻ بل يجب على كل عاقل إنكاره ورفضه وراء الظهور؛ لأن الكلام الإلهي منزّه عن وقوع مثل ذلك فيه. كاجتماع الضدين مثلا وارتفاعهما؛ فإن ذلك مما يحكم العقل بامتناعه بالبداهة. ولا يصح للإنسان -أيها العاقل- أن يرجّح النقل على العقل؛ لأن العقل أصل النقل؛ فإن ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلا للرسل. وثبوت ذلك إنما كان بالدلائل العقلية فالقدح فى العقل قدح فى النقل والعقل معاً؛ فلم يبق حينئذ إلا أن نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل والتوفيق بين النقيضين إن أمكن

التأويل، وإن لم يمكن فلا بد من إسقاطهما، وكذا لا بد أن يكون التأويل بحيث أن لا يستلزم المحال أو الكذب. والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل.

ألا ترى أنهم يؤولون الآيات الكثيرة الدالة على جسمية الله تعالى وشكله لأجل الآيتين اللتين مضمونهما مطابق للبرهان العقلي؟ وكذا يؤولون الآيات الغير محصورة الدالة على المكان لله تعالى لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان العقلي؟ لكن العجب من عقلاء فرقة كاثوليك فإنهم تارة يبطلون حكم الحس والعقل معاً، ويزعمون أن الخبز والخمر اللذين حدثا بين أعيننا يتحولان في العشاء إلى لحم المسيح ودمه حقيقة؛ فيعبدونهما ويسجدون لهما، ثم يأكلون ذلك الخبز ويشربون ذلك الخمر، وتارة يبطلون حكم العقل والبداهة ويرفضون البرهان العقلي وراء ظهورهم ويقولون إن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي يمكن اجتماعهما في مادة واحدة شخصية، في زمان واحد، من جهة واحدة. وفرقة بروتستنت توافقهم على هذه العقيدة دون العقيدة الأولى، مع أن كلا من العقيدتين يحكم العقل بامتناعهما، فلو كان العمل على ظاهر النقل ضروريا ولا مدخل للعقل فيه كما يزعم هذا القسيس البروتستنتي فالإنصاف الذي يقال أن فرقة كاثوليك خير من فرقة بروتستنت لأن فرقة كاثوليك بالغت في إطاعة ظاهر نص إنجيل متى حتى اعترفت بمعبودية ما يصادقه الحس وبداهة العقل؛ فإن كانت هذه العقيدة غلط ومحال بشهادة الحس والعقل عند فرقة بروتستنت فكذلك

عقيدة التثليث غلط ومحال بشهادة البرهان العقلي - كما علمت - ولا ينبغي لأهل ملة بروتستنت أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر.

فإن هذا القسيس قد اعترف في مقالته هذه بأنه ورد في القرآن المجيد ذم من صفته هكذا بقوله: ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وهذا استشهاد القسيس قد انقلب عليه انقلاباً عظيماً، وبقيت الآية الشريفة فيمن نزلت بحقهم، ومن هذا حذوهم من أبناء صنفهم. وأما نحن معاشر المسلمين فمنزهون عن هذه الصفة الرذيلة، ولسنا ممن يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض الآخر، بل نؤمن بكل كتاب أنزل من عند الله ﷻ فنؤمن بما أنزل على موسى وعيسى كما نؤمن بما أنزل على غيرهما من النبيين قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

نسخ القرآن للتوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل "غير أننا نرى الآن أكثر المسلمين معرضين عن مطالعة التوراة والإنجيل حتى قال علماءهم أن مطالعتها حرام، فبعضهم يعتذر عن إهماله الكتابين المذكورين بقوله: إن القرآن ينسخ التوراة والإنجيل. فلهذا ألغيت أحكامهما فلا اعتبار بهما لأن القرآن يغنى عنهما وبعضهم يطعن فيهما أشد الطعن ويستخف بهما ويشنع على الذين يؤمنون بما هو محرر فيهما محتجاً على ذلك بأنه قد اعتراهما التغيير والتبديل والتحريف بالزيادة والنقصان، زاعماً أنهما مشحونان من الغلط والاختلافات، كما وضح ذلك صاحب كتاب إظهار الحق بالتطويل الممل والتفصيل المخل، متوهماً أنه قد ثبَّت صحة مدعاه بأدلة مقنعة وبراهين قاطعة"

أقول: أما إعراض المسلمين -وقاهم الله عن مطالعة هذه التوراة وهذا الإنجيل- وقول علمائهم بحرمة مطالعتها؛ فلقد علمت ما قدمناه صدر الكتاب أن عذرهم في ذلك ليس هو كون القرآن الكريم ناسخاً لهما، وإنما هو احتوائهما على المفاصد والتخليطات التي علمت بعضها فيما تقدم، ولأجل تلك المفاصد كانت الكنيسة الرومانية تمنع العامة عن مطالعة هذه الكتب وتقول إن الشروط الناتجة عن قرائتها أكثر من الخير.

ولما ظهرت فرقة بروتستنت فى السنة التاسعة والعشرين بعد الألف والخمسمائة من الميلاد، وصارت تنتشر تلك الكتب المرقومة فى أقطار المسكونة، وظهر ما ظهر فى ديار أوروبا من ترك الديانة النصرانية بسبب اطلاع أهلها على تلك الكتب، ووقوفهم على ما احتوت عليه من المفسد؛ أخرجت تلك الكنيسة قانوناً مرتباً من قبل المجمع ومثبتاً من البابا بمنع قراءة هذه الكتب باللفظ الدارج، وهذا القانون مصرح به فى الرسالة الثالثة عشرة من الكتاب المسمى بالثالث عشر المطبوع فى بيروت سنة ألف وثمانمائة وتسعة وأربعين من الميلاد ونص عبارته هكذا: "فلننظر الآن قانوناً مرتباً من قبل المجمع التريدينى ومثبتاً من البابا بعد نهاية المجمع. وهذا القانون يقول: إذا كان ظاهراً من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤون فى الكتب باللفظ الدارج؛ فالشروع الناتجة من ذلك أكثر من الخير؛ فلأجل هذا ليكن للأسقف أو القاضى فى بيت التفتيش سلطان حسب تميزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف؛ ليأذن فى قراءة الكتاب باللفظ الدارج لأولئك الذين يظن أنه يستفيدون ويجب أن يكون الكتاب مستخرجاً من معلم كاثوليكي والإنز المعطى بخط اليد، وإن كان أحد بدون الإنز يتجاسر أن يقرأ أو يأخذ هذا الكتاب فلا يسمح له بحل خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم" انتهى.

ولعمري إن رأى الرومانيين فى منع الناس عن قراءة هذه الكتب وعدم شيوعها ونشرها كان سليماً جداً لستر عيوبها عن أعين الناظرين

من المخالفين، وسترها عن أعين الغير متعصبين من المسيحيين. فهم في هذا الرأي أعقل وأدق من فرقة البروتستنت التي أظهرت هذه الكتب ونشرتها حتى ظهر ما ظهر في أهل ديار أوروبا من ترك الديانة النصرانية بالكلية. وصار أهلها ملحدين بعد أن كانوا مسيحيين، وصاروا يستهزئون على تلك الكتب استهزاء بليغاً. لا يستهزئون على شئ آخر مثلاً. ويطعنون فيها أشد الطعن ويستخفون بها غاية الاستخفاف، ويشنعون على الذين يؤمنون بما هو محرر فيها حتى جاوزوا الحد في ذلك. وما صدر عن أهل الإسلام من ذلك ليس بشئ بالنسبة إلى ما صدر عن أبناء صنفهم. والأغلاط والاختلافات التي أوردها المسلمون، عن كتبهم المقدسة؛ لا تذكر بالقياس إلى ما أورده هؤلاء الملحدون؛ فإنه قلما يخرج أصحاب أو عبارة من تلك الكتب ولم يذكروا عنه من الغلط أو الاختلافات. ومن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتبهم المنشورة في أكناف العالم. ولو نقلت إليك الأغلاط والاختلافات والعبارات المضحكة التي أوردها في كتبهم لاحتاج ذلك إلى مجلدات كثيرة .

لكني أنقل لك ههنا اثنا عشر اختلافاً على وفق عدد الحواريين مما أورده صاحب إظهار الحق عن الملحد جان كلارك في كتابه عن كتب العهدين في ذات الله وصفاته فقط، وأكتفى عليها هرباً من التطويل، ولأن المخالفين المعترضين -هداهم الله إلى سبيله القويم وصرطه المستقيم- جاوزوا حد الأدب في الطعن والتشنيع والاستهزاء.

لكن هذه المجاوزة أقل من المجاوزة التي توجد في كلامهم عند التشنيع والاستهزاء على الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- سيما إذا وصل كلامهم في ذلك إلى السيدة مريم البتول وابنها السيد عيسى الطاهر المصون -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- ولا تظن أيها اللبيب أني نقلت هذه الاختلافات لأجل أنها مستحسنة عندي. حاشا وكلا.

ولكني لما رأيت هذا القسيس ينكر وقوع ذلك في كتبهم المقدسة ويكابر بالمشاهدة والمحسوس؛ أحببت أن أنقل بعض ما أورده ليحصل الإلزام قبل أن أنقل ما أورده أهل الإسلام، وأتبرأ من اعتقاد استهزأتهم بالقلب واللسان، وأستغفر الله العظيم الشأن. وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر. ونقل الكفر ليس بكفر. فأقول:

الاختلاف الأول: مما أورده الملحدون في العدد الحادى عشر من الأصحاح الخامس من رسالة يعقوب هكذا: "ورأيتم عاقبة الرب كثير الرحمة والرأفة" وجاء في العدد الثانى من الأصحاح السابع من سفر التثنية من التوراة، من النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين من الميلاد في حق سبعة شعوب عظيمة هكذا: "يسلمهم الرب إلهك بيدك فاضربهم حتى أنك لا تبقى منهم بقية فلا توثقهم ميثاقاً ولا ترحمهم فتبتلع الشعوب جميعهم الذين الرب إلهك يعطيهم إياهم فلا تعف عنهم عيناك... الخ"

قال الملحد: انظروا أيها العقلاء إلى كثرة رحمة الرب كيف أمر بني إسرائيل بقتل سبعة شعوب عظيمة وعدم الرحمة عليهم وعدم العفو عنهم. وجاء في العدد السادس عشر من الأصحاح الثالث عشر من كتاب هُوشع هكذا: "قتلك سامرة لأنها بغت على إلهها فيبادون بالسيف. وأطفالهم ينطرحون. والحبالي تشقق قلوبهم" قال الملحد: انظروا إلى كثرة رحمة الرب على أطفال السامرة والحبالي. وجاء في العدد الثاني من الأصحاح الخامس من سفر صوئيل الأول هكذا: "هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب و اضرب عماليق وحرّموا كل ما له، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة طفلا ورضيعا بقرا وغنما جملا وحمارا"

قال: فانظروا إلى رحمة الرب كيف أمر بالانتقام من أولاد عماليق وقتل رجالهم ونسائهم وأطفالهم الصغار جدًا ومواشيهم من البقر والغنم والحمير أيضًا. ثم قال: "ولما لم يعمل الملك شاول على أمره الشريف ندم على جعله ملكا" كما هو مصرح به في السفر المذكور.

الاختلاف الثاني: في العدد الأول من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين هكذا: "أنا الله القادر" وفي العدد التاسع عشر من الأصحاح الأول من كتاب القضاة هكذا: "وكان الرب مع يهوذا ووردت

الجبـال ولم يستأصل أهل الوادى لأنه كانت له مراكب كثيرة من حديد"
قال: انظروا إلى قدرته إنه لم يقدر على استئصال أهل الوادى لكونهم
نوى مراكب كثيرة من حديد.

الاختلاف الثالث: فى العدد الثانى من الأصحاب المائة والتاسع
والثلاثين من الزبور هكذا: "وميزت شعبى وسكونى واطلعت على
طرقى كلها" وفى العدد العشرين من الأصحاب الثامن عشر من سفر
التكوين هكذا: "وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم
قد عظمت جدا؛ أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الاتي إليّ
وإلا فأعلم" انتهى.

قال: فانظروا أيها العقلاء إلى كونه عالم طرق العباد وأفعالهم
كلها؛ أنه محتاج إلى النزول والنظر ليعلم أن فعل أهل سادوم وعمورة
يشاكل الصراخ الواصل إليه أم لا.

الاختلاف الرابع: فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاب التاسع
من كتاب إرمياء هكذا: "أنا الرب الصانع الرحمة والقضاء والعدل فى
الأرض لأنى بهذه أسرّ" انتهى.

قال الملحد: لقد عرفت حال ارتضائه بالرحمة؛ فاعرف حال
عدله الذى جاء فى العدد الثالث من الأصحاب الحادى والعشرين من
كتاب حزقيال وكلامه فيه هكذا: "قال الرب: هاأنذا عليك، واستل سيفي

من غمده فأقطع منك الصديق والشرير من حيث أني أقطع منك الصديق والشرير؛ فلذلك يخرج سيفي من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال" انتهى.

قال: فلو سلم أن قتل المنافق عند علماء بروتستنت عدل؛ فكيف يكون قتل الصديق البار عدلا عندهم؟ وجاء في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث عشر من كتاب إرمياء هكذا: "قال الرب. هاأنذا أملأ كل سكان هذه الأرض والملوك الجالسين لداود على كرسيه والكهنة والأنبياء وكل سكان أورشليم سكرا. وأحطمهم الواحد على أخيه. الآباء والأبناء معا. يقول الرب. لا أشفق ولا أتراف ولا أرحم من إهلاكهم" انتهى.

قال انظروا: إلى عدله كيف ملأ الأنبياء والكهنة وجميع سكان الأرض سكرا حتى قتلهم أجمعين؟ وجاء في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج هكذا: "ولما انتصف الليل قتل الرب كل أبكار أهل مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه، حتى إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل أبكار البهائم" انتهى. قال: انظروا إلى عدله كيف قتل جميع أبكار أهل مصر وأبكار البهائم، ولا بد أن ألوا من أبكار أهل مصر كانوا أطفالاً معصومين من الذنوب، وكان أبكار البهائم أيضاً غير مذنبين فتأمل.

الاختلاف الخامس: فى العدد الرابع من الأصحاح الثانى من رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموتاوس هكذا: "الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون " انتهى. قال: وهذا مخالف لما جاء فى العدد الحادى عشر من الأصحاح الثانى من رسالة بولس الثانية لأهل تسالونيقي وكلامه فيه هكذا: "ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكى يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم " انتهى.

الاختلاف السادس: وفى العدد الثانى عشر من الأصحاح الخامس من كتاب هوشع فى قول الرب هكذا: "وأنا مثل السوس لأفرايم ومثل الدودة لببيت يهوذا " انتهى وجاء فى العدد السابع من الأصحاح الثالث عشر من الكتاب المذكور فى قول الرب أيضًا هكذا: "فأكون لهم كأسد مثل نمر فى طريق الأموريين ألقاهم كدابة سرقت أجراؤها" انتهى. قال الملحد: فتارة يكون الرب مثل السوس والدودة وتارة مثل الأسد والنمر وتارة مثل الدابة التى سرقت أولادها.

الاختلاف السابع: وفى العدد الخامس عشر من الأصحاح الرابع والثلاثين من الزبور هكذا: "عيننا الرب نحو الصديقين وأنزاه إلى صراخهم. وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم. اولئك صرخوا، والرب سمع، و من كل شذائدهم أنقذهم. قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقى الروح" انتهى. وجاء

فى العدد الأول من الأصحاح الثانى والعشرين من الكتاب المذكور هكذا: "إلهى إلهى لماذا تركتني؟ إني فى النهار أدعو فلا تستجب، وفى الليل ولا سكوت لى" انتهى.

وجاء فى العدد السادس والأربعين من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى هكذا: "وَنَحْوُ السَّاعَةِ الثَّاسَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: إِيْلِي، إِيْلِي، لَمَّا شَبَقْتَنِي؟ أَيُّ: إِيْلِي، إِيْلِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" انتهى.

قال الملحد: أما كان داود والمسيح من الأبرار ومنكسرى القلوب ومتواضعى الروح؛ فلم تركهما الرب ولم يستجب لهما ولم يسمع صراخهما؟

الاختلاف الثامن: فى العدد السابع والثلاثين من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام فى خطاب اليهود هكذا: "والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته" انتهى.

قال: وهذا مخالف لما جاء فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الخامس من سفر الإستثناء وهو هكذا: "قد أرانا الرب إلهنا مجده وعظمته، وسمعنا صوته من وسط النار" انتهى.

قلت: وهذا صريح فى كونهم سمعوا صوت الرب من وسط النار.

الاختلاف التاسع: فى العدد الثالث من الأصحاح الخامس عشر

من سفر الأمثال هكذا: "عينا الرب فى كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين" انتهى. وجاء فى العدد التاسع من الأصحاح الثالث من سفر التكوين هكذا "فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاخترتأت"

قال الملحد: فانظروا إلى ترقب عينه فى كل مكان أنه محتاج إلى الاستفهام من آدم حين اختفى فى وسط شجرة الفردوس.

الاختلاف العاشر: فى العدد السادس من الأصحاح الثالث من

كتاب مَلاخيا هكذا: "فإنى أنا الرب ولا أتغير" وجاء فى العدد العشرين من الأصحاح الثانى والعشرين من سفر العدد من التوراة هكذا: "فأتى الله إلى بلعام ليلا وقال له: إن أتى الرجال ليدعوك فقم اذهب معهم إنما تعمل الأمر الذي أكلمك به فقط فقام بلعام صباحا و شد على أتاناه و انطلق مع رؤساء موآب. فحمي غضب الله لأنه منطلق... إلخ"

قال الملحد: فانظروا إلى عدم تغييره أنه أتى فى الليل وأمر بلعام بالانطلاق مع عظماء موآب ولما فعل بلعام ما أمر به؛ غضب الله عليه.

الاختلاف الحادى عشر: فى العدد التاسع عشر من الأصحاح

الثالث عشر من سفر العدد من التوراة هكذا: "ليس الله برجل فيكذب

ولا ابن الإنسان فيندم" وجاء في العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين هكذا: "فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء؛ لأنني حزنت أنني عملتهم" انتهى ومثل هذا جاء في العدد العاشر من الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل " وكان قول الرب على صموئيل: قائلاً ندمت على أن صيرت شاوول ملكاً" ثم قال في العدد الخامس والثلاثين من هذا الأصحاح هكذا: " الرب أسف على أنه ملك شاوول " انتهى. فانظر وتأمل.

الاختلاف الثاني عشر : في العدد الثاني والعشرين من الأصحاح الثاني عشر من سفر الأمثال هكذا: "من الشفة الكاذبة نفرة للرب، أما العاملون بالصدق؛ فرضاه" انتهى. وجاء في العدد الثاني من الأصحاح الحادي عشر من سفر الخروج من التوراة قول الله تعالى في خطاب موسى عليه السلام هكذا: "فتحدث في مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبها أواني فضة وأواني ذهب" وفي العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الثاني عشر من السفر المذكور هكذا: "وفعل بنو إسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضة وذهب وشيئا كثيرا من الكسوة " انتهى.

قال الملحد: انظر إلى نفرة الرب من الكذب، وكيف أنه أمر موسى وهارون أن يكذبا عند فرعون فكذبا، وكذلك كذب كل رجل وكل امرأة من بنى إسرائيل وأمرهم بالخداع، وأن يأخذ كل مال جاره بالخدیعة والتصرف به، ومع أنه قد أمره في مواضع متعددة من التوراة بأداء حق الجار قال: أیكون حق الجار كما أمر وقت خروجهم من مصر؟ أم یلیق بالله أن یعلمهم الغدر والخيانة؟ قلت كلا والله. ومثل هذا قد جاء في الأصحاح السادس عشر من سفر صموئیل الأول وهو هكذا: "فقال الرب لصموئیل حتی متى تتوح على شاول، وأنا قد رفضته عن أن یملك على إسرائيل. املاُ قرنك دهنا و تعال أرسلک إلى یسئَ البیتلحمي لأنی قد رأیتُ لی فی بنیه مَلِک. فقال صموئیل: کیف أذهب. إن سمع شاول یقتلنی. فقال الرب: خذ بیدک عجلة من البقر و قل قد جئت لأذبح للرب، و ادع یسئَ إلى الذبیحة، وأنا أعلمک ماذا تصنع، وامسح لی الذی أقول لك عنه. ففعل صموئیل كما تكلم الرب وجاء إلى بیت لحم " انتهى ملخصًا.

قال الملحد: انظر كيف أمر الله صموئیل أن یکذب؛ لأنه كان أرسله لمسح داود وجعله ملكاً وسلطاناً لا للذبح. قلت: ولقد جاء مثل هذا بل أعجب وأغرب فی العدد التاسع عشر من الأصحاح الثانی والعشرين من سفر الملوك الأول فی قول النبی میخا خطاباً للملك أخآب. وكلامه فیهِ هكذا: "وقال یعنی میخا-: فاسمع إذا كلام الرب: قد رأیتُ الرب جالسا على كرسيه و كل جند السماء وقوف لديه عن

يمينه و عن يساره. فقال الرب من يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. وقال له الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال: إنك تغويه و تقتدر؛ فاخرج وافعل هكذا. والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء، و الرب تكلم عليك بشر" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى نفرة الرب من الكذب ليغوى الملك أخآب وجميع أنبيائه وكانوا وقتئذٍ نحو أربعمئة نبي، كما يدل عليه ذلك الكتاب المذكور قال الشيخ رحمة الله عليه: "وهذا الرواية صريحة في أن الله تعالى يجلس على كرسيه وينعقد عنده محفل المشاورة للإغواء والخداع، كما ينعقد محفل بارطنت في لندن؛ لأجل بعض أمور السلطنة، فيحضر جميع أجناد السماء. فبعد المشاورة التامة يرسل روح الكذب والضلال؛ فيقع في الأفواه من الأنبياء وغيرهم ويضل الناس" فانظر أيها اللبيب إذا كان الله وأجناد السماء يريدون إغواء الإنسان؛ فكيف ينجو الإنسان الضعيف من هؤلاء الأقوياء؟ وهنا عجب آخر: وهو أن الله إذا شاور جميع أجناد السماء وأرسل روح الضلالة والكذب منهم بعد المشاورة التامة ليخدع أخآب، فكيف ساغ لميخا الرسول أن يظهر محفل الشورى ونبه أخآب عليه؟ انتهى.

ولما وصلتُ في النقل إلى الاثنى عشر اختلافاً التي أوردتُ نقلها عن كتب الملحدين؛ اكتفيتُ عليها خوفاً من التطويل، وإن أردتُ أكثر من ذلك فارجع إلى كتبهم، وانظر إلى أين وصلت نوبتهم في الاستهزاء والطعن. والتشنيعُ ليس بشئ بالنسبة إلى ما صدر عن هؤلاء الملحدين. وما ذكره أهل الإسلام من العبارات المضحكة والأغلاط والاختلافات الواقعة في كتب العهدين؛ لا تُذكر بالقياس إلى ما ذكره هؤلاء الملحدون، الذين كانوا في الأصل مسيحيين ثم أعرضوا عن ذلك الدين وتركوه بالكلية لما وجدوا هاتيك الأصول عبارة عن أمور لا توزن بمعيار العقول.

وكثيراً ما صرح بعضهم بأنه لو اختار أن يدين بدين مّا. قبل الإسلام. ديناً لما اشتمل عليه من الأسرار والحكم التي يشهد بها الذوق السليم والعقل المستقيم وقد أسلم كثير من عقلائهم قديماً وحديثاً وفي كل يوم تأتينا أنبأؤهم فتشرح صدورنا. على أن الشرع المحمدي والدين الأحمدي مستغن عن شاهد سواه؛ فإن ما فيه من المحاسن والأسرار الظاهرة شاهد عدل بكونه من الله وقد رأينا من تخرج من أبناء الطائفتين اليهودية والنصرانية أنه لم يستغن عن حفظ القرآن المجيد والأحاديث الشريفة ومعرفة أقوال أهل الإسلام؛ فهم لا يكتبون إلا على نحو كتابة المسلمين، ولا يستشهدون إلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي كانت سبباً في تحسين كلامهم وجعله مقبولاً لدى أهل العقول السليمة والأذواق المستقيمة. وها هي كتبهم ومقالاتهم شاهدة

وناطقة بذلك، أما بلغاء المسلمين -حفظهم الله- فليسوا بمحتاجين إلى الاستعانة بشئ من الخارج؛ لتكفل القرآن الكريم بكل ما فى أنفسهم وزيادة.

ومع ذلك فلم تكن هذه الدواعى الكلية داعية لعدم اقتناء المسلمين تلك الكتب المقدسة عندهم. فإن الفقير^(١) واحد منهم، وخزانة كتبى ممثلة من كتب اليهود والنصارى. سواء كانت سماوية الأصل أو غيرها، حتى أناشيدهم فى صلاتهم، وذلك لأكون على علم من أمرهم. ولقد طالعتها كثيراً بإمعان وتدقيق وتتبعها فى مطالعتى حرفاً بحرف؛ فوجدت ما ذكره صاحب إظهار الحق من الأغلاط والاختلافات قليلاً بالنسبة إلى ما يوجد فيها من ذلك؛ فإنه قلما يخرج أصحاب أو عبارة من تلك الكتب المقدسة ويكون خالياً من الغلط والاختلاف. فلقد اكتفى رحمه الله على نقل اليسير هرباً من التطويل الممل والتفصيل المخل، وقد بين رحمه الله تعالى أوجه أغلاطها واختلافاتها بعبارات راقية وبراهين قاطعة تشفى العليل وتروى الغليل؛ فإنه -حفظه الله- لم يذكر من ذلك شيئاً إلا بعد أن تروى فيه وملكه بجميع نواصيه وقواصيه. فله دره من مؤلف حَبْر قد كتب فأجاد، ونطق فأصاب. وأثبت صحة ما ادعاه بأدلة مقنعة وبراهين قاطعة مع غاية الاختصار ونهاية الاقتصار ولو تتبع أغلاطها واختلافاتها وعباراتها المضحكة؛ لطال

(١) المراد بالفقير: مؤلف هذا الكتاب.

الأمر فى ذلك واحتاج إلى مجلدات كثيرة. وسأتلو عليك شيئاً من ذلك
فى محله إن شاء الله تعالى وأبين لك أوجه أغلاطها واختلافاتها بالبيان
الكافى والتفصيل الشافى حتى تعلم أن ما سلكه هذا القسيس صاحب
البرهان ساقط عن الاعتبار، لا يلتفت إليه.

نسخُ الشرائع

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فأما الدعوى بأن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل؛ فمحض دعوى من غير دليل؛ لأنه ليس فيه تصريح ولا تلويح إلى ذلك البتة، بل اختراع حَثَّ من أنفسهم"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن كلام القسيس ههنا غلط وفي غير محله، ومنشأه قلة علمه أو سوء فهمه؛ فإنه لا يوجد في المسلمين من يقول بأن القرآن قد نسخ جميع التوراة^(١) والإنجيل، بمعنى أن جميع ما احتويا عليه منسوخا، وإنما نقول إنه نسخ بعض أحكامهما. فإن النسخ عندنا معاشر المسلمين لا يطرأ على

(١) المؤلف رحمه الله - يعتقد أن الإنجيل نسخ التوراة. وهذا اعتقاد باطل. فإن الذى نسخ التوراة هو القرآن الكريم. أما الإنجيل فإنه بشرى بمجى محمد ﷺ وفيه يحيل المسيح أتباعه إلى التوراة ليأخذوا منها الأحكام الفقهية. ويدل على ذلك: "لَا تَطْنُرُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ التَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأَكْمَلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ التَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغِيرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بَرُّكُمْ عَلَى الْكِتَابَةِ وَالْفَرَسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ."

ومعنى لأكمل: أنه يبشر بالنبى الذى سيأتى لتكميل التوراة. وذلك لأن من أحكام التوراة الفقهية أنه إذا جاء نبي مثل موسى فإنه يجب عليهم أن يتبعوه. فإلى أن يجىء كان عملهم بالتوراة ناقصا وإذا جاء وآمنوا به يكون عملهم بالتوراة كاملا. ولذلك جاء فى القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

القصص والأخبار والمواعيد، ولا على الأمور القطعية مثل أن صانع العالم موجود، ولا على الأحكام التي تكون واجبة لذاتها مثل آمنوا ولا تشركوا، ولا على الأمور المؤبدة مثل ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين مثل ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فكل هذه الأحكام لا يطرأ عليها النسخ عندنا معاشر المسلمين، وإنما يطرأ على الأحكام التي تكون عملية صالحة للوجود والعدم غير مؤبدة ولا مؤقتة ولا واجبة لذاتها، وتسمى الأحكام المطلقة فلا تكون قصة من القصص المندرجة في العهد العتيق والجديد؛ منسوخة.

نعم نعترف بأن بعضها كاذب. مثل أن لوطاً عليه السلام زنا بابنتيه وحملتا منه بالزنا وولدت الكبرى ابنا ودعت اسمه موآب، وولدت الصغرى ابنا ودعت اسمه عمون. ومثل: أن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنا بكننته ثامار وحملت منه بالزنا، وولدت توأمين أحدهما سمي فارص والثاني زارح. وإن داود وسليمان وعيسى -عليهم السلام- كلهم من أولاد فارص المذكور، كما هو مصرح به في الأصحاح الأول من إنجيل متى، ومثل أن داود زنا بإمرأة الغير وقتله بالمكر والخداع ثم أخذها زوجة له. ومثل أن سليمان عليه السلام ارتد -والعياذ بالله تعالى- وعبد الأصنام، وبنى لها المعابد.

وكذا لا نعترف أن المسيح عليه السلام وأهين وصلب على خشبة، ثم صار ملعونا كما صرح بذلك بولس في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وكلامه فيها هكذا: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس.

إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبة" كذا لا نعترف أن هارون عليه السلام صنع العجل وعبدته وأمر بنى إسرائيل بعبادته.

وأن أبشالوم ابن سيدنا داود عليه السلام زنا بجميع سرارى أبيه بأمر الرب وحكمه. وأن أخاه أمنون زنا بأخته ثامار وفضّ بكارتها، وسمع أبوهما بذلك وأن رؤبين ابن سيدنا يعقوب عليه السلام زنا بزوجة أبيه وسمع أبوه بذلك ولم يُجر الحدّ والقصاص عليهما. فكل هذه القصص وأمثالها نعترف ونقر بأنها كاذبة باطلة يقيناً، ولا نقول إنها منسوخة، وكذا الأدعية لا نقول أنها منسوخة، فلا يكون الزبور الذى هو أدعية وتسابيح منسوخا بالمعنى المصطلح عليه عندنا. وإنما منعنا عن استعماله وتلاوته وتلاوة الكتب الأخرى من كتب التوراة والإنجيل؛ لكونها مشكوكة عندنا بسبب عدم أسانيدھا واشتمالها على العبارات المضحكة الباطلة، وثبوت وقوع التحريف فيها بأقسامه الثلاثة. أعنى تبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها. كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى.

قال صاحب إظهار الحق رحمه الله: "ويجوز النسخ عندنا فى غير المذكورات، يعنى من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ، فنعترف بأن بعض أحكام التوراة والإنجيل من الأحكام التى هى من جنس الصالحة للنسخ؛ منسوخة فى الشريعة المحمدية. قلت: يدل عليه قوله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿ فِهَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ صَرِيحَةٌ فِي نَسْخِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ الشَّاقَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، مِثْلَ تَحْتِمِ الْقَصَاصِ فِي الْقَتْلِ سِوَاءَ كَانَ عَمْدًا أَوْ خَطَاً مِنْ غَيْرِ شَرَعِ الدِّيَةِ^(١). وَمِثْلَ إِحْرَاقِ الْغَنَائِمِ^(٢)، وَتَحْرِيمِ الْعَمَلِ فِي السَّبْتِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ.

(١) قول المؤلف إن الدية ليست في شريعة التوراة خطأ. وذلك لأن فيها الدية. ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج: "وَإِذَا تَخَاصَمَ رَجُلَانِ وَصَدَمُوا امْرَأَةً حَبْلِي فَسَقَطَ وَلَدُهَا وَلَمْ تَحْصُلْ أَذْيَةٌ يَغْرَمُ كَمَا يَضَعُ عَلَيْهِ زَوْجُ الْمَرْأَةِ وَيُدْفَعُ عَنْ يَدِ الْقَضَاءِ وَإِنْ حَصَلَتْ أَذْيَةٌ تَعْطِي نَفْسًا بِنَفْسٍ وَعَيْنًا بِعَيْنٍ وَسَنًا بِسِنٍ وَيَدًا بِيَدٍ وَرَجُلًا بِرَجُلٍ وَكِيًّا بِكِيٍّ وَجَرَحًا بِجَرَحٍ وَرَضًا بِرَضٍ وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَيْنَ عَبْدِهِ أَوْ عَيْنَ أُمَّتِهِ فَاتَّلَفَهَا يَطْلُقُهَا حَرًّا عَوْضًا عَنْ عَيْنِهِ وَإِنْ اسْقَطَ سِنَ عَبْدِهِ أَوْ سِنَ أُمَّتِهِ يَطْلُقُهَا حَرًّا عَوْضًا عَنْ سِنِهِ وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فَمَاتَ يَرْجُمُ الثَّوْرُ وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ وَأَمَّا صَاحِبُ الثَّوْرِ فَيَكُونُ بَرِينًا وَلَكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْرًا نَطَاحًا مِنْ قَبْلِ وَ قَدْ أَشْهَدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبُطْهُ فَقَتَلَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فَالْثَّوْرُ يَرْجُمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يَقْتُلُ إِنْ وَضَعَتْ عَلَيْهِ فِدْيَةٌ يَدْفَعُ فِدَاءَ نَفْسِهِ كُلِّ مَا يَوْضَعُ عَلَيْهِ أَوْ إِذَا نَطَحَ ابْنًا أَوْ نَطَحَ ابْنَةً فَبِحَسَبِ هَذَا الْحُكْمِ يَفْعَلُ بِهِ إِنْ نَطَحَ الثَّوْرُ عَبْدًا أَوْ أَمَةً يَعْطِي سَيِّدَهُ ثَلَاثِينَ شَاةً وَالثَّوْرُ يَرْجُمُ وَإِذَا فَتَحَ إِنْسَانٌ بَثْرًا أَوْ حَفَرَ إِنْسَانٌ بَثْرًا وَلَمْ يَغْطِهِ فَوْقَ فِيهَا ثَوْرٌ أَوْ حِمَارٌ فَصَاحِبُ الْبَثْرِ يَعْوِضُ وَيُرَدُّ فَضَةُ لَصَاحِبِهِ وَالْمَيِّتُ يَكُونُ لَهُ وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ إِنْسَانًا ثَوْرٌ صَاحِبُهُ فَمَاتَ يَبِيعَانِ الثَّوْرَ الْحَيَّ وَيَقْتَسِمَانِ ثَمَنَهُ وَالْمَيِّتَ أَيْضًا يَقْتَسِمَانِهِ لَكِنْ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ ثَوْرٌ نَطَاحٌ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ يَضْبُطْهُ صَاحِبُهُ يَعْوِضُ عَنِ الثَّوْرِ بِثَوْرٍ وَالْمَيِّتَ يَكُونُ لَهُ.

أَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَفِيهِ الدِّيَةُ فِي قَتْلِ الْخَطَا فَقَطْ وَلَيْسَ فِيهِ الدِّيَةُ فِي الْقَتْلِ الْعَمْدِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ

ولا نقول: إن كل حكم من أحكامها منسوخ. كيف وأن بعض أحكام التوراة لم تنسخ عندنا يقيناً مثل حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواط والسرقة وشهادة الزور والخيانة في مال الجار وعرضه ووجوب إكرام الضيف والختان ووجوب إكرام الأبوين وحرمة نكاح نساء الآباء والأبناء والأمهات والبنات والأعمام والعلمات والأخوال والخالات والجمع بين الأختين وإباحة تعدد الزوجات والطلاق والاسترقاق، وغيرها من الأحكام الكثيرة لم تنسخ في الشريعة المحمدية، بل هي باقية على أوكد وجه، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ عندنا يقيناً. مثلاً: جاء في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس هكذا: "فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ" انتهى.

فهذان الحكمان باقيان في شريعتنا، على أوكد وجه وليساً بمنسوخين.

ومعنى النسخ عندنا معاشر المسلمين: بيان مدة انتهاء الحكم العملي الجامع للشروط المذكورة كالقتال مثلاً في الأشهر الحرم؛ فإن الله حرمه مثلاً ثم نسخه. أي أبان أن حكم تحريم القتال فيها قد انتهت

مَنْصُورًا

(٢) الغنائم نحل في شريعة التوراة وشريعة القرآن. ذلك قوله: "وتأكل غنيمة أعدائك" [ث ٤٠: ١٤] وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾

مدته، وابتدأ حكم إباحته، وليس معناه: أن الله ﷻ أمر ونهى أولاً بشئ وما كان يعلم عاقبته ثم بدا له رأى؛ فنسخ ذلك الحكم الأول كما يقول ذلك الطاعنون حتى يلزم عليه الجهل -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وإنما معناه: أن الله سبحانه يعلم أن الحكم يكون باقياً على المكلفين إلى الوقت الفلاني، وحين يأتي ذلك الوقت المعين عنده يرسل حكماً آخر. فهذا في الحقيقة: هو بيان مدة انتهاء الحكم الأول. فعند ورود الثاني يتخيل لنا لقصور علمنا وإفهامنا أنه تغيير وتبديل. ونظير ذلك بلا تشبيه ولا مثال: أن تأمر خادمك لخدمة من الخدمات، ويكون في نيتك أن يكون على هذه الخدمة إلى مدة سنة مثلاً، وبعد السنة يكون على خدمة أخرى. فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذي ما أطلعته على نيتك تغيير وتبديل وأما عندك فليس بتغيير في الحقيقة ولا محذور. ولا استحالة في هذا المعنى لا بالنسبة إلى ذات الله تعالى ولا إلى صفاته؛ لأن الحكم يكون فيه المصلحة في زمان دون زمان آخر ويوافق المكلفين في زمان ثم يأتي زمان آخر، يوافقهم فيه غيره فيُنسخ فيكون كل حكم حسناً. في وقته ألا ترى أيها العاقل اللبيب أن الطبيب الحاذق يبذل الأدوية والأغذية بملاحظة حالات المريض على حسب المصلحة التي يراها فيه، ولا يحمل أحد فعله على العبث، والله جل شأنه قد علم في الأزل أحوال عباده فأنزل عليهم في كل زمان ما يوافق الحكمة والمصلحة. تفضلاً منه ورحمة لعباده.

ولو صح اعتراض المعترضين من النصارى واليهود؛ لرجع عليهم. حيث يرون تبدل أحوال الناس من الفقر والغنى والمرض والصحة والحياة والموت وغير ذلك. وكذا يرون تبدل أحوال الزمان من الربيع والصيف والخريف والشتاء والنهار والليل وغير ذلك، وكلها من فعله - سبحانه وتعالى - فكما أن الحكمة تقتضى تبدل أحوال الناس والأزمنة؛ فكذلك تقتضى التبدل بحسب المصلحة والحكمة، وبعض الأحكام تقتضى الحكمة والمصلحة دوامها وبقاؤها.

ولم يجر نسخ بعض الأحكام مثل حرمة الزنا والقتل بغير الحق واللوامة والسرقه وشهادة الزور، وما أشبه ذلك؛ فإن هذه الأحكام وأمثالها لا يجوز أن يلحقها النسخ أصلا لعدم تبدل المصلحة فى تحريمها بتبدل الأشخاص والأزمنة.

والنسخ ليس بمختص بشريعتنا بل وجد فى الشرائع السابقة أيضا بالكثرة بكلا قسميه. أعنى النسخ الذى يكون فى شريعة نبي لاحق لحكم آخر من شريعة نبي سابق، والنسخ الذى يكون فى شريعة نبي لاحق لحكم آخر من شريعة هذا النبي بعينه. وأمثلة القسمين فى كتب العهدين كثيرة جدًا.

ولنذكر لك أيها اللبيب بعض الأحكام المنسوخة فى الشرائع السابقة من التوراة والإنجيل على سبيل الاختصار؛ ليظهر الحال فأقول: من المعلوم البين أن تزوج الإخوة بالأخوات كان جائزا فى شريعة آدم عليه السلام فكان الأخ يتزوج بأخته التى لم تولد معه فى بطن

واحد، ولولا ذلك لم يتيسر تتاسل الناس أصلاً، إذ أولاد آدم المذكور أخوة لأولاده الإناث، وقد نسخ هذا الحكم بعد أن كثرت أولاد آدم عليه السلام في الشرائع التي بعد شريعته، كما لا يخفى. وكذلك سارة زوجة إبراهيم عليه السلام كانت أختاً له من أبيه، كما يفهم ذلك من قوله في حقها المنرج في العدد الثاني عشر من الأصحاح العشرين من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية، وكلامه في حقها هكذا: "إنها كانت أختي بالحقيقة، ابنة أبى وليست ابنة أُمى. وقد تزوجت بها" انتهى. وقد نسخ هذا الحكم في شريعة موسى عليه السلام وحرمت في شريعته مطلقاً سواء كانت الأخت من الأب أو من الأم، والفاعل لهذا الحكم واجب القتل وملعون، كما يفهم ذلك من العدد السابع عشر من الأصحاح العشرين من سفر الأحبار ونصه هكذا: "أى رجل تزوج أخته بنت أبيه أو أخته بنت أمه ورأى عورتها ورأت عورته؛ فهذا عار شديد؛ فيقتلان أمام شعبهما. وذلك لأنه كشف عورة أخته؛ فيكون إثمهما فى رأسهما" انتهى. وفى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية هكذا: "يكون ملعونا من يضاجع أخته من أبيه أو من أمه " انتهى. وجاء فى العدد التاسع من الأصحاح الثانى عشر من سفر الأحبار هكذا: "لا تكشف عورة أختك من أبيك كانت أو من أمك التى وُلدت فى البيت أو خارجا من البيت" انتهى. وفى تفسير دوالى ورجرد منيت فى نيل شرح هذا العدد هكذا: "مثل هذا النكاح مساوٍ للزنا" انتهى. فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً فى شريعة آدم

وشريعة إبراهيم عليهما السلام للزم أن يكون الناس كلهم أبناء حرام، ويلزم أيضًا أن يكون الناكحون زانين وواجبي القتل وملعونين -والعياذ بالله تعالى- وكيف يظن هذا في حق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فلا بد من الاعتراف بأنه كان جائزًا في شريعتيهما ثم نسخ.

وجاء في العدد الثالث من الأصحاح التاسع من سفر التكوين في خطاب نوح وأولاده هكذا: "كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفعت إليكم، غير أن لحما بدمه لا تأكلوه" انتهى. فهذا القول صريح في أن جميع الحيوانات كانت حلالا في شريعة نوح عليه السلام كالبقولات إلا لحما واحداً فقد حرمه الله في شريعته. وهو اللحم الذي فيه دمه. وقد نسخ هذا الحكم في الشريعة الموسوية حيث حرم الله فيها كثيراً من الحيوانات. منها الخنزير والجمال والأرنب والوبر وغير ذلك من الحيوانات الكثيرة. والطيور والأسماك. كما هو مصرح به في الأصحاح الحادي عشر من سفر اللاويين.

وجاء في الأصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين: أن سيدنا يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ليًا وراحيل، مع أن هذا الحكم حرام في الشريعة الموسوية. ففي العدد الثامن عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين هكذا: "ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتهما" انتهى. فلو لم يكن الجمع بين الأختين جائزا في شريعة يعقوب عليه السلام للزم أن يكون أولادهما أولاد زنا. والعياذ بالله تعالى. مع أن أكثر أنبياء بني إسرائيل من أولادهما. فلا بد من

الاعتراف والإقرار بأن هذا الحكم كان جائزاً في شريعة يعقوب عليه السلام ثم نسخ.

وجاء في العدد العشرين من الأصحاح السادس من سفر الخروج أن عمران أبو موسى عليه السلام تزوج عمته يوكابد وولدت منه موسى وهارون -عليهما السلام- وهذا النكاح حرام في الشريعة الموسوية كما يفهم ذلك من العدد الثاني عشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين ونصه هكذا: "لا تكشف عورة عمتك لأنها قرابة أبيك" انتهى. فلو لم يكن هذا النكاح جائزاً قبل شريعة موسى -عليه السلام- للزم أن يكون موسى وهارون وأختهما مريم من أبناء الزنا -والعياذ بالله تعالى- ويلزم عليه أيضاً أن لا يدخلوا في جماعة الرب إلى عشرة أحقاب. كما هو مصرح به في العدد الثالث من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية. ولو كانوا هؤلاء قابليين للإخراج من جماعة الرب؛ فمن يكون صالحاً للدخول فيها؟ فلا بد من الاعتراف بأن ذلك النكاح كان جائزاً فيما قبل شريعة موسى، ثم نسخ فيها.

وهذه الأحكام تلزم اليهود والسامرة والنصارى جميعاً.

وهاك ما يختص بالزام النصارى فقط:

فلقد جاء في شريعة موسى عليه السلام أنه يجوز للرجل أن يطلق امرأته لكل علة، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة بعد ما خرجت من بيت الأول، كما هو مصرح به في الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية. وهذا الطلاق لا يجوز بالشريعة المسيحية

إلا بعلّة الزنا، كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس والتاسع عشر من إنجيل متى وعبارته هكذا: "إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى؛ يزني. والذي يتزوج بمطلقة؛ يزني" انتهى.

ولما اعترض الفريسيون على المسيح بهذه المسألة قال في جوابهم هكذا: "إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن من البدء لم يكن هكذا" انتهى. فعلم من جوابه هذا ثبوت النسخ في هذا الحكم مرتين. مرة في الشريعة الموسوية، ومرة في الشريعة المسيحية، وأنه قد ينزل الحكم تارة موافقاً لحال المكلفين، وإن لم يكن حسناً في نفس الأمر.

وقد علمت فيما تقدم أنه جاء في الشريعة الموسوية تحريم الحيوانات الكثيرة على بني إسرائيل، وقد نسخت حرمتها في الشريعة المسيحية، وثبتت الإباحة العامة بفتوى بولس. فلقد جاء في العدد الرابع عشر من الأصحاح الرابع عشر من رسالته إلى رومية هكذا: "إنني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لا شيء نجس بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً؛ فله هو نجس" انتهى؛ وجاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح الأول من تيطس هكذا: "كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تتجس ذهنهم أيضاً وضميرهم" انتهى. فهذا القول عجيب في الظاهر بالنسبة إلى بني إسرائيل لعل بني إسرائيل لم يكونوا طاهرين فلم تحصل لهم هذه الإباحة العامة ولما كان المسيحيون طاهرين حصلت لهم الإباحة العامة

من قبل بولس وجعل كل شيء طاهراً لهم. وكان جاهداً نفسه في إشاعة هذه الإباحة العامة. ولذلك كتب إلى تيموتاوس في العدد الرابع من الأصحاح الرابع من تلك الرسالة الأولى من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية هكذا: "لأن كل ما خلق الله؛ حسن. ولا يجوز أن يرفض منه شيء إذا أكلناه ونحن شاكرين؛ لأنه يتقدس بكلمة الله وبالتضرع؛ فإن ذكرت الأخوة بهذا؛ فقد صرت للمسيح خادماً مترتباً في كلام الإيمان والتعليم الصحيح الذي اتبعت أثره " انتهى.

ومن جملة الأحكام المنسوخة في الشريعة المسيحية: أحكام الأعياد التي فصلت في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين، وكانت واجبة أبدية في الشريعة الموسوية، وجاءت ألفاظ في ذلك الأصحاح تدل على أنها أبدية وكان تعظيم السبت حكماً أبدياً في الشريعة الموسوية وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل، وكان من عمل فيه عملاً، ومن لم يحافظ عليه؛ واجب القتل. وقد تكرر بيان هذا الحكم والتأكيد عليه في كتب العهد العتيق في كثير من المواضع، ولكثرتها لا حاجة إلى نقلها. ولما كان المسيح عليه السلام يعمل في السبت أشياء كان اليهود المعاصرون له يؤذونه بها ويريدون قتله وكان هذا العمل من أدلة إنكارهم له. كما يفهم ذلك من العدد السادس عشر من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا ونصه هكذا: "ولهذا كانت اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في السبت" انتهى. وجاء في العدد السادس عشر من الأصحاح التاسع من الإنجيل

المذكور هكذا: "فقال قدم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله؛ لأنه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات" انتهى. فهذان القولان صريحان في الدلالة على أن السبت كان معظماً في الشريعة الموسوية غاية التعظيم، ثم نسخ.

والحق أن عمل المسيح فيه تلك الأعمال لا يدل على نسخه وعدم تعظيمه؛ لأن ذلك العمل من البر والخير، وأعمال الخير ليست بممنوعة فيه، وليس في كلام المسيح عليه السلام، ما يدل على نسخه أصلاً، وإنما الذي نسخه وأباح العمل فيه مقدس المسيحيين بولس، بل نسخ جميع الأعياد الموسوية سواء كانت سبتية أو غيرها، وبَيَّن في رسائله أن هذه الأشياء كانت إضلالاً. فلقد جاء في العدد السادس عشر من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل كُورُوسِّي هكذا: "فلا يدينكم أحد بالمأكل والمشروب أو بالنظر إلى الأعياد أو الأهلّة أو السبت؛ فإن هذه الأشياء ضلال للأُمُور المزمعة بالإتيان، وأما الجسد فإنه للمسيح" انتهى. وهذا القول صريح في ينسخ الأعياد وإباحة جميع الأطعمة والأشربة أيضاً. غير أن حضرة القديس قد أساء في سبّره فإن قوله إن هذه الأشياء ضلال؛ لا يناسب عبارة التوراة؛ فإن الله ﷻ قد بين علة تحريم الحيوانات التي حرم الله أكلها على بني إسرائيل بكونها نجسة، ثم خاطبهم بقوله: فلا بد أن تكونوا مقدسين؛ لأني أنا قدوس. كما هو مصرح به في العدد الرابع والأربعين من الأصحاح الحادي عشر من سفر اللاويين.

وكذلك الختان كان أدياً في شريعة إبراهيم عليه السلام كما هو مصرح به في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين. ولهذا بقي هذا الحكم في أولاد إسماعيل^(١) وإسحاق عليهما السلام وبقي في شريعة موسى عليه السلام أيضاً. فلقد جاء في العدد الثاني من الأصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين هكذا: "وفي اليوم الثامن يختن الصبي" انتهى. وقد ختن المسيح عليه السلام أيضاً كما هو مصرح به في العدد الحادي والعشرين من الأصحاح الثاني من إنجيل لوقا وكان هذا الحكم باقياً إلى عروج المسيح عليه السلام وما نسخ، وإنما الذي نسخه هم الإنجيليون في عهدهم، كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس عشر من أعمال الحواريين. ومقدس المسيحيين بولس يشدد في نسخ هذا الحكم تشديداً بليغاً فلقد جاء في الأصحاح الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: "هأ أنا بولس أقول لكم: إنه إن اخْتَسْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً لَكِنْ أَشْهَدُ أَيْضاً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَنٍ أَنَّهُ مُلْتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ التَّامُوسِ. قَدْ بَطَلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَّبِعُونَ بِلِثَامُوسِ. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ. فَإِنَّا بِالرُّوحِ مِنَ الْإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بَرٍّ. لِأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئاً وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الْإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" انتهى. وجاء في العدد

(١) الختان في التوراة كان مفروضاً على الذكور فقط. وذلك لِيَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ عِبَادِ الْأَصْنَامِ فِي الْقَتْلِ فِي مَعَارِكِ الْحُرُوبِ. وليس في القرآن أن الختان مفروض على الذكور من بني إسماعيل في شريعة محمد ﷺ وذلك لأن اليهود يَخْتَنُونَ بِحُكْمِ شَرِيعَتِهِمْ. فإذا حاربوا اليهود في أية معركة فإنه إذا كان الله يريد الختان في المسلمين فإنه لن يَتَمَيَّزَ الْمُسْلِمُ عَنِ الْيَهُودِيِّ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ. فلذلك لم يفرض الله على المسلمين ختان الذكور لا في القرآن ولا في السنة. ولم يفرض ختان الإناث أيضاً.

الخامس عشر من الأصحاح السادس من الرسالة المذكورة هكذا: "لا منفعة للختان في المسيح يسوع ولا القلفة بل الخلق الجديد" انتهى فهذه الأقوال صريحة في نسخ حكم الختان المؤبد.

وكذلك أحكام الذبايح كانت كثيرة وأبدية في شريعة موسى عليه السلام وقد نسخت في الشريعة المسيحية، وكذلك الأحكام الكثيرة المختصة بآل هارون عليه السلام من الكهانة واللباس وقت الحضور للخدمة وغيرها؛ كانت أبدية وقد نُسخَت في الشريعة المسيحية. بل جميع أحكام التوراة قد نسخها الحواريون بعد المشاورة التامة إلا أربعة أحكام ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا؛ فأبقوا حرمتها وأرسلوا بذلك كتابًا إلى الكنائس. وهو منقول في الأصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل وبعض إعداده هكذا: "إذ قد سمعنا أن أناسًا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلّبين أنفسكم وقائلين أن تختنّتوا، وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس. رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح؛ فقد أرسلنا يهوذا وسيلًا، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها؛ لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلًا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنى. التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون. كونوا معافين" انتهى.

فهذا القول يفيد اقتصار حرمة العمل على هذه الأربعة، لكن قد علمت فيما تقدم أن مقدس المسيحيين بولس قد نسخ حرمة الثلاثة الأولى بفتوى الإباحة العامة التي مر نقلها وعليها جمهور بروتستانت. فهذا مقدسهم بولس لم يُبق من الأحكام العملية التي كانت في الشريعة الموسوية إلا حرمة الزنا فقط، لكن لما لم يكن فيه حدّ في الشريعة المسيحية؛ فهو منسوخ من هذا الوجه أيضًا. فقد حصل الفراغ من هذه الشريعة، ونسخ جميع أحكامها. أبدية كانت أو غير أبدية"

وهذا ما أوردت إيراداً من أمثلة القسم الأول وسيتلى عليك أمثلة القسم الثاني في محله إن شاء الله تعالى بما يشفي العليل ويروى الغليل.

عدم نسخ القرآن للتوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "وأما كتابهم فصريحه يشهد بأن القرآن جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل، لا ناسخاً ومبطلاً لها وأيضاً: ورد في كتابهم أن رسولهم جاء مصدقاً لما معهم. أى مع أهل الكتاب. فمما ورد مصححاً لما ذكر: ما أتى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ﴾ قال البيضاوى فى تفسيره: مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها. وفى سورة الأحقاف: ﴿وَهَذَا﴾ أى القرآن ﴿كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للتوراة والإنجيل. وسبب ذلك: أن التوراة نزلت فى اللغة العبرانية والإنجيل فى اللغة اليونانية. وهاتان اللغتان كان متعسراً على العرب فهمهما. فلذلك نزل القرآن فى اللغة العربية مطابقاً ومصدقاً لما نزل قبله من التوراة والإنجيل ﴿وَتَفْصِيلٌ﴾ أى تبيناً لهما فى لغة العرب. إذا علمت ما قررنا لك يتضح لك عدم نسخ القرآن للتوراة والإنجيل"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن ما استشهد به حضرة القسيس من الآيات القرآنية الدالة على كون القرآن الكريم جاء مصدقاً لما قبله من التوراة والإنجيل فى كونهما من جانب الله ﷻ ومطابقاً لهما فى صدق القصص والأخبار والمواعيد؛ على عدم النسخ

لشيء من أحكامهما العملية؛ في غير محله. ومنشؤه: قلة علمه وسوء فهمه؛ لأن أمر النسخ هو دون ذلك الأمر. إذ لا يلزم من كون القرآن المجيد شهد لهما بكونهما منزليين من عند الله ﷻ وكونه مطابقاً لهما في القصص والأخبار والمواعيد؛ عدم النسخ لشيء من أحكامهما العملية الصالحة للنسخ.

ومن المعلوم البين عند سائر المسيحيين: أن المسيح ﷺ شهد أيضاً للتوراة بالصحة وكونها من جانب الله ﷻ مع أن شريعته قد نسخت كثيراً من أحكامها بل نسخت الجميع كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، فكما أنه لا يلزم من شهادة المسيح ﷺ للتوراة بالصحة وكونها منزلة من عند الله ﷻ؛ عدم النسخ لبعض أحكامها العملية؛ فكذا القرآن المجيد لا يلزم من شهادته للتوراة والإنجيل بكونهما منزليين من عند الله ﷻ وكونه مطابقاً لهما في العقائد والتوحيد وصدق الأخبار والمواعيد؛ عدم النسخ لبعض أحكامهما العملية؛ لأن أمر النسخ غير أمر الشهادة لهما بالصحة والصدق. إذا علمت ما قررناه يتضح لك أن استشهاد حضرة القسيس بالآيات القرآنية على عدم نسخ القرآن المجيد لبعض أحكام التوراة والإنجيل؛ غلط يقيناً. وفي تفسيره لآية سورة يونس دليل واضح على وقوع التغيير والتبديل في التوراة والإنجيل؛ لأنه كان نزوله ليفصل ويبين حقيقة ما كان أنزل في التوراة والإنجيل، وقد وجدناه بعد المقابلة التامة مبايناً لغالب مضامينها من قصص وأخبار ومواعيد؛ علمنا بالبداهة واليقين أنهما قد

اعتراهما التغيير والتبديل بالزيادة والنقصان. والحس والمشاهدة شاهدان على ذلك.

قال بعض الفضلاء: "وإنما كان وقوع ذلك لكثرة وقوع الحوادث والفتن على أهلها"

قال: "وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والصدق بالكذب؛ فتعسر تمييز أحدهما عن الآخر. ولئلا يصير ذلك عذراً في إعراض الخلق عن عبادة الحق سبحانه وتعالى؛ أرسل رسوله محمداً بالبيان، من جبال فاران. على فترة من دين الرسل. وإليه إشارة بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قال الفخر الرازي قدس سره العزيز في تفسير هذه الآية الشريفة هكذا: "الفائدة في بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هي أن التغيير والتحريف قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها. وسبب ذلك: اختلاط الحق بالباطل، والصدق بالكذب. وصار ذلك عذراً ظاهراً في إعراض الخلق عن العبادات؛ لأن لهم أن يقولوا: يا إلهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك، ولكننا ما عرفنا كيف نعبدك. فبعث الله سبحانه وتعالى في هذا الوقت؛ أحب خلقه إليه محمداً ﷺ إزالة لهذا العذر"

النسخ فى الأمر والنهى

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "ثم لو فرضنا صحة مدعاهم هذا - أى نسخ القرآن للتوراة والإنجيل - لبقى جانب عظيم من هذين الكتابين لا يمكن أن يطرأ عليه النسخ أبداً؛ لأن النسخ بحسب اعتقاد علماء الإسلام لا يقع إلا فى الأمر والنهى، كما أفاده الإمام جلال الدين السيوطى فى كتاب الإتيان بقوله: "لا يقع النسخ إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر الذى ليس بمعنى الطلب؛ فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل فى كتابه فى النسخ كثيراً من الأخبار والوعد والوعيد" انتهى كلام السيوطى.

وقال صاحب إظهار الحق: "النسخ فى اللغة الإزالة. وفى اصطلاح أهل الإسلام بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط؛ لأن النسخ لا يطرأ عندنا على القصص ولا على الأمور القطعية العقلية، مثل أن صانع العالم موجود، ولا على الأمور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل، ولا على الأحكام التى تكون واجبة نظراً إلى ذاتها. مثل آمنوا ولا تشركوا، ولا على الأحكام المؤبدة، ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين، بل يطرأ على الأحكام التى تكون عملية محتملة للوجود والعدم، غير مؤبدة وغير مؤقتة. وتسمى الأحكام المطلقة. وإذا علمت هذا فأقول: ليست قصة من القصص المدرجة فى العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا. والأمور القطعية

العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام المؤقتة قبل أوقاتها، والأحكام المطلقة التي يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متحد؛ لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة. فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخاً بالمعنى المصطلح عندنا، ولا نقول قطعاً إنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل. كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحب ميزان الحق، وقال: إن هذا مصرح فى القرآن والتفاسير" انتهى كلام صاحب إظهار الحق.

أقول إن ما نقله هذا القسيس عن صاحب إظهار الحق والإمام السيوطى هو عين ما عليه أهل الإسلام من الاعتقاد فى حكم النسخ. وقد تقدم لك بيان ذلك مع ذكر أمثلة كل نوع من أقسامه المذكورة. ثم استنتج هذا القسيس من هاتين العبارتين حكماً وقال فيه هكذا: "فعلى لو فرضنا وقوع النسخ فى التوراة والإنجيل؛ لا يكون القرآن ناسخاً لجميع آياتهما^(١) لأن النسخ لا يتجه على القصص والأخبار والتعاليم

(١) كتاب التوراة يشتمل على الأحكام الفقهية ويشتمل على العقائد والقصص. والقرآن نسخ الأحكام الفقهية، وبين أن فى العقائد والقصص تحريف لفظى. وفى التوراة مثلاً أن الله استراح فى يوم السبت بعدما خلق السموات والأرض. وفى القرآن ﴿وَمَا سَتَانِمْ لُغُوبٍ﴾ وهكذا. وفى التوراة أن الإمامة الدينية تكون فى نسل هرون عليه السلام الذى هو من سبط اللاويين. وفيها أنه إذا جاء النبى المنتظر فإن كل إنسان من أتباعه؛ يصح له إقامة الدين بمفرده. أى أن النبى المنتظر ينسخ شريعة التوراة، وفى الوقت ذاته يغير مقيمى الشعائر. وعندنا فى الدين الإسلامى أن كل إنسان يصح له إقامة الدين سواء أكان عربى الجنس أم كان عربى الديانة.

والنص التالي من الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء فيه عن مكة المكرمة: "وكل بنيك تلاميذك الرب" وفي الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر إرمياء أن الله سيقطع عهدا جديدا بدل العهد الأول عهد التوراة. وقد تناول بولس هذا العهد بالبيان. وهذه هى النصوص:

أول: نص "وكل بنيك تلاميذ الرب": "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لان بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تمسكي أطيلي اطنابك وشددي أوتادك لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار و يرث نسلك أمما و يعمر مدنا خربة لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين فانك تتسين خزي صباك و عار ترمك لا تذكرينه بعد لان بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل اله كل الأرض يدعى لأنه كامرأة مهجورة و محزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك لحيلة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك بفيضان الغضب حجت وجهي عنك لحظة وبإحسان ابدي أرحمك قال وليك الرب لأنه كمياه نوح هذه لي كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت إن لا اغضب عليك و لا أزجرك فان الجبال تزول والأكام تنزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هاأنذا ابني بالاثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك واجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي من اجتمع عليك فإليك يسقط هاأنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب كل آلة صورت ضدك لا تتجح وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب"

ثانيا: نص العهد الجديد: "ها أيام تأتي يقول الرب و اقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم

والإرشاد والنصائح والأدعية والوعد والوعيد. ولا شك أن التوراة والإنجيل مشتملان على نحو ذلك. ولا يصح أن يقال: لما كان بعض آياتهما منسوخاً؛ نُسخاً تبعاً للبعض المنسوخ وأبطلا. لأننا نقول: لو كان وقوع النسخ في كتاب من الكتب الإلهية مخرلاً به ومبطلاً له؛ لالتزم أهل الإسلام أن يرفضوا القرآن أيضاً؛ لأنه وقع النسخ فيه، ونسخ بعض آيات القرآن هذا؛ متفق عليه عند جميع علمائهم"

من ارض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذي اقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب اجعل شريعتي في داخلهم و اكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلها وهم يكونون لي شعبا ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب لأنني اصفح عن إثمهم ولا اذكر خطيتهم بعد هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهارا وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلا الزاجر البحر حين تعج أمواجه رب الجنود اسمه إن كانت هذه الفرائض تزول من أمامي يقول الرب فان نسل إسرائيل أيضا يكف من أن يكون أمة أمامي كل الأيام"

ثالثا: نص كلام بولس وهو في العهد الجديد -الذي هو عهد القرآن، لا عهد الإنجيل كما يزعم لأن المسيح لم يأت بجديد على التوراة-: "لأنه يقول لهم لأئما: هوذا أيام تأتي يقول الرب، حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أنسكت بيديهم لأخرجهم من أرض مصر، لأنهم لم يثبتوا في عهدي، وأنا أهملتهم يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذي أعهدته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أحقق نواياي فيهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلمون كل واحد قريته وكل واحد أخاه قائلًا: اعرف الرب، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأنني أكون صفيحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية لأقوم طريق: إن كلام حضرة القسيس الذى استنتجه من كلام الفاضل صاحب إظهار الحق، وكلام الإمام السيوطى من أن جانباً عظيماً لا يمكن أن يطرأ عليه النسخ، مثل القصص والأخبار والتعاليم والوعد والوعيد؛ أمر مُسَلَّم عندنا معاشر المسلمين، وهو عين ما عليه أهل الدين الإسلامى المبين، كما علمت من ذلك فيما مر بما لا مزيد عليه، لكننا لا نقول كما ظن هذا القسيس من أنه لما كان بعض آيات التوراة منسوخاً؛ نُسخاً تبعاً للبعض المنسوخ، بل هو قول الذين فى بحر الغفلة يعمهون. وإنما نقول: إن هذه التوراة وهذا الإنجيل بل وسائر كتب العهد العتيق والجديد المتداولة الآن ليست هى معتبرة عندنا معاشر المسلمين البتة. وذلك لعدم اتصال أسانيدھا وثبوت وقوع التغيير والتبديل فيها بالزيادة والنقصان، ولكونهما مشتملة على قصص وأخبار لا تليق بالكتب الإلهية، بل لا تليق بتواريخ أهل الصيانة والديانة، فضلاً عن الكتب الإلهية.

مثل ما نسب إلى سيدنا لوط عليه السلام من أنه زنا بابنتيه وهو فى خمار الخمر وحملتا منه بالزنا -والعياذ بالله تعالى- ومثل ما نسب إلى سيدنا داود عليه السلام من أنه زنا بامرأة الغير وقتله بالحيلة. ومثل ما نسب إلى ابنه سليمان عليه السلام من أنه ارتد وعبد الأصنام -والعياذ بالله تعالى- ومثل ما نسب إلى أخيه أبشالوم من أنه زنا بجميع سرارى أبيه داود عليه السلام أمام جميع بنى إسرائيل وقدام الشمس، بأمر الرب وحكمه. ومثل

ما نسب إلى يهوذا بن سيدنا يعقوب عليه السلام من أنه زنا بكنَّته ثامار زوجة ابنه وحملت منه بالزنا وولدت توأمين أحدهما سمى فارص والثاني زَارح. وداود وسليمان والمسيح عليهم السلام كلهم من أولاد فارص المذكور. كما هو مُصرح به في الأصحاح الأول من إنجيل متى. فكل هذه القصص وأمثالها. لا نقول إنها منسوخة تبعًا للبعض المنسوخ، بل نقول: إنها باطلة كاذبة يقينا دسها، من لا يخشى الله تعالى في الكتب السماوية. ولاشتمالها على هذه الأمور نُهينا عن اقتنائها واستعمالها، وعن النظر فيها. وذلك لاختلاط الحق بالباطل والصدق بالكذب. ولا نقول يقيناً: إنها نُسخت تبعاً للبعض المنسوخ لأنه لا يلزم من وقوع النسخ لبعض الأحكام العملية في كتاب من الكتب الإلهية أن يرفض ذلك الكتاب ويهمل بالكلية. ولو لزم ذلك للزم هذا القسيس ومن يقول بقوله أن يرفض التوراة والإنجيل ويهملهما ولا يعمل بهما؛ لأنه كما وقع النسخ لبعض أحكام القرآن المجيد العملية؛ فكذلك وقع النسخ لبعض أحكام التوراة والإنجيل وإليك الدليل منهما بما يشفي الغليل ويروي الغليل:

فأقول إن الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا إبراهيم بذبح ابنه إسحاق عليه السلام ثم نَسَخَ هذا الحكم قبل العمل به، وأمر بذبح الكباش عوضاً عنه. كما هو مصرح به في الأصحاح الثاني من سفر التكوين من التوراة. ولقد جاء في العدد الثالث من الأصحاح السابع عشر من سفر الأحبار هكذا: "أيما رجل من بني إسرائيل ذبح ثوراً أو خروفاً أو عنزاً في

المحلة أو خارج المحلة ولا يأتي بقربانه إلى باب قبة الزمان؛ فيقربه قربانا للرب؛ فليحسب على ذلك الرجل سفك دم، من أجل أنه أراق دما، ويهلك ذلك الرجل من شعبه" وقد نُسخ هذا الحكم بما جاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر التثنية من التوراة ونصه هكذا: "فأما إن شئت أن تأكل ومستلذا بأكل اللحم فاذبح وكل بالبركة التي أعطاك الرب إلهك في قراك" ثم قال في العدد العشرين هكذا: "إذا وسع الرب إلهك تخومك كما كلمك و قلت أكل لحما لأن نفسك تشتهي أن تأكل لحما؛ فمن كل ما تشتهي نفسك تأكل لحما. إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه بعيدا عنك؛ فاذبح من بقرك و غنمك التي أعطاك الرب كما أوصيتك، وكل في أبوابك من كل ما اشتهدت نفسك كما يؤكل الطيب و الأيل هكذا تأكله، النجس والطاهر يأكلانه سواء، لكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس؛ فلا تأكل النفس مع اللحم" انتهى.

فهذا القول صريح في نسخ ما جاء في سفر الأخبار.

قال الفاضل هورن في الصفحة ٦١٩ من المجلد الأول من تفسيره بعد أن نقل هذه الأعداد هكذا: "في هذين الموضعين تناقض في الظاهر، لكن إذا لوحظ أن الشريعة الموسوية كانت تزداد وتنقص، في وفق أحوال بني إسرائيل، وما كانت بحيث لا يمكن تبديلها، فالتوجيه في غاية السهولة" انتهى. ثم قال: "نسخ موسى في السنة الأربعين من هجرته

قبل دخول فلسطين ذلك الحكم - أى حكم سفر الأحبار بحكم سفر التثنية - نسخا صريحا، وأمر أنه يجوز لهم بعد دخول فلسطين أن يذبخوا البقر والغنم فى أى موضع شاؤا ويأكلون" انتهى ملخصا.

فهذا المفسر الذى هو من مشاهير المفسرين قد اعترف بنسخ حكم سفر الأحبار، وأقر بأن الشريعة الموسوية كانت تزيد وتنقص على وفق حال بنى إسرائيل. ومثل هذا جاء فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الرابع من سفر الأحبار. من فداء جماعة بنى إسرائيل ثورا واحدا. وجاء فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الخامس عشر من سفر العدد أن فداء خطاهم ثورا واحدا مع لوازمه وجديا ماعزا أيضا. فنسخ الأول بالثانى. فارجع إليهما إن شئت. وقد جاء فى العدد الثالث والعشرين إلى العدد السادس والأربعين من الأصحاح الرابع من سفر العدد أن خدام قُبَّة الجماعة لا يجوز أن يكون عمر كل واحد منهم أنقص من ثلاثين وأزيد من خمسين سنة، بل يكون من ثلاثين فصاعدا إلى الخمسين. وجاء فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الثامن من السفر المذكور: أن خدام القبة المذكورة من خمسة وعشرين سنة فصاعدا إلى الخمسين. فنسخ الأول بالثانى أو أحدهما غلط. وجاء مثل هذا فى العدد الثلاثين من الأصحاح الثانى من سفر صموئيل الأول ونصه هكذا: "لذلك يقول الرب إله إسرائيل أنى قلت أن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب: حاشا لي فاني أكرم الذين يكرموني، والذين يحتقرونني يصغرون. هوذا تأتي أيام أقطع

فيها ذراعك و ذراع بيت أبيك حتى لا يكون شيخ في بيتك وترى ضيق المسكن في كل ما يحسن به إلى إسرائيل، ولا يكون شيخ في بيتك كل الأيام، ورجل لك لا أقطعه من أمام مذبحي؛ يكون لإكل عينيكَ وتذويب نفسك، وجميع ذرية بيتك يموتون شبانا. وهذه لك علامة: تأتي على ابنك حُفْنِي وفينحاس في يوم واحد. يموتان كلاهما. وأقيم لنفسك كاهنا أميناً يعمل حسب ما بقلبي ونفسي" انتهى. فهذا القول صريح في أن الله كان وعد أن منصب الكهانة يبقى في بيت عالي الكاهن وبيت أبيه، ثم أخلف وعده ونسخ ذلك الحكم وأقام كاهناً آخر، يعمل حسب ما بقلب الرب ونفسه. والعياذ بالله تعالى.

وقد نقل الفاضل ورجرد منيت في تفسيره قول الفاضل ياترك هكذا: "ينسخ الله ههنا حكماً كان وعد به وأقر به بأن رئيس الكهنة يكون منكم إلى الأبد. أعطى هذا المنصب ألعازار الولد الأكبر لهارون، ثم أعطى إيثامار الولد الأصغر لهارون، ثم انتقل الآن بسبب ذنب أولاد عالي الكاهن إلى أولاد ألعازار" انتهى. فهذا القول يدل على أن الخلف وقع في وعد الله مرتين في زمان الشريعة الموسوية. وأما الخلف الذي وقع في الأمر عند ظهور الشريعة المسيحية مرة ثالثة أنه لم يبق أثر ما لهذا المنصب، لا في أولاد ألعازار ولا في أولاد إيثامار، أما الوعد الذي كان لألعازار فهو مصرح به في الأصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد. ولا يتحير الناظر من خلف وعد الله -على مذاق أهل الكتاب- لأن كتب العهدين ناطقة به، وبأن الله يفعل أمراً ثم

يندم على فعله -تعالى الله على ذلك علواً كبيراً- فلقد جاء فى العدد التاسع والثلاثين من الأصحاح التاسع والثمانين من الزبور فى كلام سيدنا داود عليه السلام الله تعالى هكذا: "لكنك رفضت ورذلت وغضبت على مسيحك. نقضت عهد عبدك، نجست تاجه فى التراب" انتهى. فهذا قول داود عليه السلام صريح فى أن الله تعالى نقض عهده الذى كان وعده إياه. وجاء فى العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين هكذا: "فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم" انتهى. وفى الزبور السادس بعد المائة هكذا: "فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده وندم على كثرة رحمته" انتهى. وفى العدد الحادى عشر من الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول فى قول الرب هكذا: "ندمت على أنى صيرتُ شاول ملكاً أنه رجع من ورائى ولم يعمل بما أمرته" انتهى. فهذه الأقوال كلها صريحة فى نسبة الندم لله -تعالى- عن ذلك علواً كبيراً-

ومن الأحكام المنسوخة قبل العمل بها: ما جاء فى العدد العاشر من الأصحاح الرابع من كتاب حزقيال من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية ونصه هكذا: "وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن كل يوم عشرين شاقلاً، من وقت إلى وقت تأكله، وتشرب الماء بالكيل سدس الهين، من وقت إلى وقت تشربه، وتأكل كعكا من الشعير على

الخرء الذي يخرج من الإنسان، تخبزه أمام عيونهم. وقال الرب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم. فقلت: آه يا سيد الرب. ها نفسي لم تتنجس، ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس. فقال لي: انظر قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الإنسان؛ فتصنع خبزك عليه" انتهى.

فَنَسِخَ الأول بالثاني؛ لأن الرب أمره أولاً بأن يُلطخ خبزه بزبل يخرج من الإنسان، ثم لما استغاث حزقيال ^{الطاهر} للرب نسخ له هذا الحكم قبل العمل به وأعطاه زبل البقر عوضاً عن رجيع الإنسان. ومثل هذا قد ورد في العدد الأول من الأصحاح العشرين من سفر الملوك الثاني هكذا: "في تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء إليه إشعياء بن آموص النبي، وقال له: هكذا قال الرب: أوص بيتك لأنك تموت و لا تعيش. فوجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلاً: آه يا رب. اذكر كيف سرتُ أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك. وبكى حزقيا بكاء عظيماً ولم يخرج إشعياء إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي: هكذا قال الرب إله داود أبيك قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. هاأنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب، وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة" انتهى.

الحق - ولكن وقع في العدد الخامس عشر من الأصحاح السادس من

مَزُودًا لِلطَّرِيقِ وَلَا تَوْبَتَيْنِ وَلَا أَخَذِيَّةَ وَلَا عَصَاً، لَأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقُّ طَعَامِهِ. وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَافْخَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقُّ، وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا. وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَاتِ سَلَامُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلَامُكُمْ إِلَيْكُمْ. وَمَنْ لَا يَقْبَلْكُمْ وَلَا يَسْمَعُ كَلَامَكُمْ فَأَخْرَجُوا خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفَضُّوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لَأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ اخْتِمَالًا مِمَّا لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ. هَا أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ كَقَتَمٍ فِي وَسْطِ ذَنَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسْطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلَكِنْ احذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ سَيَسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَخَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَحْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلَاةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ لَهُمْ وَلِلْأَمَمِ. فَمَتَى اسْلَمْتُمُوكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لَأَنَّ لَسْتُمْ أَنتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. وَسَيَسْلِمُ الْأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالْأَبُ، وَلَدَهُ وَيَعُومُ الْأَوَّلَادُ عَلَى وَالِدَيْهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنْ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدْتُمُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرَبُوا إِلَى الْأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تُكْمَلُونَ مَدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ. لَيْسَ التَّلْمِيزُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنَ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التَّلْمِيزُ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ، وَالْعَبْدُ كَسَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ لَقِبُوا رَبَّ الْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَهْلُ بَيْتِهِ! فَلَا تَخَافُوهُمْ. لَأَنَّ لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلَا خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ. الَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي النُّورِ، وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الْأَذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ، وَلَا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ. أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يَبَاعَانِ بِفِلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُخَصَّاةٌ. فَلَا تَخَافُوا! أَنتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ! فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرَفُ أَنَا أَيْضًا بِقُدَّامِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَكِنْ مَنْ يَنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أَنْكَرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِلْأَلْفِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِلْأَلْفِي سَلَامًا بَلْ سَلَامًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْإِثْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حِمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. مَنْ أَحَبَّ أَبَا أَوْ أُمَّ أَوْ أَخًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ لِي أَجْلِي يَجِدْهَا. مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي. مَنْ يَقْبَلُ نَبِيًّا بِاسْمِ نَبِيٍّ فَاجْرُ نَبِيٍّ يَأْخُذْ، وَمَنْ يَقْبَلُ بَارًّا بِاسْمِ بَارٍّ فَاجْرُ بَارٍّ يَأْخُذْ، وَمَنْ سَقَى أَحَدًا هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطُّ بِاسْمِ تَلْمِيزٍ، فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَهُ."

إنجيل مرقس فى قول المسيح ﷺ خطاباً للحواريين هكذا: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها" انتهى. فهذا القول ناسخ للأول لكن قول المسيح ﷺ لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" خبر منه ﷺ والأخبار لا يجوز أن يطرأ عليها النسخ، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، فلا بد أن يكون أحدهما غلط. وهو الثانى يقيناً؛ لأن رسالة المسيح خاصة فى بنى إسرائيل كما يدل على ذلك القرآن المجيد ونقل متى فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله هكذا: " حِينَئِذٍ خَاطَبَ يَسُوعُ الْجُمُوعَ وَتَلَامِيذَهُ قَائِلاً: عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكُتُبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ " انتهى. فهذا القول يدل على أن المسيح ﷺ حكم على التلاميذ بأن كل ما يقوله الكتبة والفريسيون من التوراة أن يحفظوه ويفعلوه. ويعضد هذا القول: قوله ﷺ فى هذا الإنجيل: "ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأتمم" ولا شك أن الكتبة والفريسيين كانوا يقولون بحفظ جميع أحكام التوراة، سيما الأبدية. وقد علمت فيما تقدم: أن كلها منسوخة فى الشريعة المسيحية، أبدية كانت أو غير أبدية. ولذلك تراهم الآن لا يحافظون على السبت وبقية أعياد بنى إسرائيل ولا يختتنون ولا يحرمون أكل لحم الخنزير، ويأكلون المخبوق ويشربون أنواع المسكرات فى كل وقت من الأوقات، ولم يبق من أحكام التوراة إلا حرمة الزنا فقط كما علمت ذلك بما لا مزيد عليه. إذا علمت هذا ظهر لك أن قول المسيح ﷺ لتلاميذه أن يحفظوا ويفعلوا جميع ما يقوله

الكتبة والفريسيون من التوراة؛ منسوخ البتة. ومن هذه الأمثلة يتضح لك أيها اللبيب جليًا أن النسخ واقع في الشريعة الموسوية والمسيحية أيضًا. وليس هو مختص بالشريعة المحمدية. فما ادعاه هذا القسيس من امتناع النسخ للشرائع باطل قطعًا. لا ريب ولا شك فيه. كيف لا وأن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين. فبعض الأحكام يكون مقدورًا للمكلفين في بعض الأوقات ولا يكون مقدورًا في بعض آخر، ويكون البعض مناسبًا لبعض المكلفين دون البعض الآخر.

ألا ترى أيها اللبيب أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: "إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم لكن لا تستطيعون الآن أن تحتملوا. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به" كما صرح بذلك يوحنا في العدد الثاني عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله. وقال عيسى عليه السلام للأبرص الذي شفاه: "لا تخبر عن هذا الحال أحدًا" كما صرح بذلك متى في الأصحاح الثامن من إنجيله، وقال للأعميين الذي فتح أعينهما: "لا تخبرا أحدًا عن هذا الحال" كما هو مصرح به في الأصحاح التاسع من إنجيل متى، وقال عليه السلام لأبوى الصبية التي أحيها: "لا تخبرا أحدًا عن ما كان" كما صرح بذلك لوقا في الأصحاح الثامن من إنجيله، وقد أمر الذي أخرج الشياطين منه بأن "ارجع إلى بيتك وأخبر بما صنع الله بك" كما صرح بذلك لوقا أيضًا في الأصحاح الثامن من إنجيله، وقد علمت فيما تقدم أن حكم الطلاق نسخ مرتين، مرة في الشريعة

الموسوية ومرة في الشريعة المسيحية، وكذلك بنو إسرائيل ما أمروا
بالجهاد على الكفار، ما داموا في مصر وأمروا بعد ما خرجوا منها.

الطرق الثلاث فى نسخ الشريعة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " والحاصل: لا يسع المسلمين فى هذه القضية إلا سلوك إحدى هذه الطرق الثلاث إما أن يقولوا بأن النسخ قد وقع فى جميع آيات التوراة والإنجيل. وهو رأى لا يوافقهم عليه عالم من علمائهم. بل هو رأى الذين فى بحر الجهل يعمهون. وإما أن يقرروا بأن التوراة والإنجيل ليس جميع ما فيهما منسوخاً كما أبانه صاحب إظهار الحق والسيوطى وغيره، وعليهم عند ذلك تبين الآيات المنسوخة والتصديق والعمل بما بقى غير منسوخ، وإمسا أن يعدلوا^(١) عن الادعاء بنسخ التوراة والإنجيل. وهو الصواب "

أقول وبالله التوفيق: فلقد علمت أيها اللبيب أن ما عليه المسلمون فى قضية النسخ: هى الطريق الثانية. وهى أن التوراة والإنجيل ليس جميع ما فيهما منسوخاً. وإنما المنسوخ منهما بعض أحكامهما العملية المطلقة، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، لكن لا يلزمنا أيها القسيس العمل بما بقى غير منسوخ، لما قد علمت فيما سبق من أن التوراة والإنجيل بل وسائر كتب العهد العتيق والجديد قد تطرق إليها التحريف بالتغيير والتبديل والزيادة والنقصان، حتى أصبحت مملوءة

(١) لا يقدر المسلمون على أن يعدلوا عن الادعاء بنسخ التوراة والإنجيل؛ لما جاء فى القرآن الكريم من أن محمداً ﷺ مهيمناً على التوراة. والهيمنة هى التى تدل بصراحة على نسخ القرآن للتوراة.

من الأغلاط والاختلافات الغير محصورة. فاختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب؛ فصارت غير معتبرة في الحقيقة ونفس الأمر؛ لتعسر تمييز حقا من باطلها وصدقها من كذبها. ولأجل هذا جاعنا القرآن المجيد كافيًا وافيًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فما من أمر له أدنى تعلق وارتباط بالمنفعة العمومية أو المنفعة الخصوصية، إلا وقد أحاط به هذا الكتاب المبين، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَمِنْ خَلْفِهِ نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ والعجب كل العجب من المسيحيين أنهم ينكرون وقوع النسخ في الشرائع، ويقولون بعدم جوازه، مع أنه قد وقع فيها بالفعل.

ولقد علمت فيما تقدم: أن بعض أحكام التوراة العملية، وعلمت أن الحواريين؛ قد نسخوا جميع أحكامها بعد المشاورة التامة إلا أربعة أحكام منها فأبقوا حرمتها ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا، ثم جاء حضرة قديس أهل التثليث بولس ونسخ جميع أحكامها بل وجميع أحكام الإنجيل أيضًا، بل ما أبقى من أحكام سائر الكتب السماوية إلا حكم الإيمان بالمسيح عليه السلام فلقد قال في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية: "إن جميع ذوى أعمال الشريعة ملعونون. لا يتزكى أحد عند الله بالناموس؛ فإن الناموس لا يتعلق بالإيمان. وإن المسيح قد افتدانا من لعنة الناموس لما صار لأجلنا لعنة" انتهى ملخصًا.

ثم قال في العدد الثالث والعشرين من هذا الأصحاح المذكور هكذا: "ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقا

علينا إلى الايمان العتيد أن يعلن. إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح^(١) لكي نتبرر بالايمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعا أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع" انتهى. فصرح في هذا القول ههنا بأنه لا طاعة لأحكام توراة موسى وسائر كتب الأنبياء بعد الإيمان بالمسيح ﷺ ومن هذا: ما أتى في العدد الثامن عشر من الأصحاح السابع من رسالته العبرانية ونصها هكذا: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذا الناموس لم يكمل شيئاً " انتهى.

ففي هذا العدد تصريح بأن نسخ أحكام التوراة لأجل أنها ضعيفة بلا منفعة ولا فائدة -والعياذ بالله تعالى- فإذا قال المسلمون مثل قول هذا القديس؛ فلا يستغرب ذلك منهم لأن الشريعة المسيحية بالنسبة إلى الشريعة المحمدية عتيقة قريبة من الاضمحلال فلا استبعاد من نسخها. على رأى هذا القديس بل هو ضرورى.

وقال هذا القديس أيضاً في العدد الثانى عشر من الأصحاح المذكور هكذا: "فإنه لما تغيرت الكهانة؛ فبالضرورة يصير تغير

(١) المسيح بحسب لسان اليهود هو محمد ﷺ ويطلق عليه "المسيح الرئيس" والتوراة تؤدب الناس إلى مجيئه ليقبلوا شريعته. ولن يستكبر المسيح ولا أصحابه المقربون منه على العبودية والخضوع لله. وقد وصفت التوراة أصحاب محمد بالملائكة لشبههم بهم فى الطهر. ففي إنجيل متى: "ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة القديسين معه" [متى ٢٥ : ٣١] ولقب ابن الإنسان ولقب المسيح هما لواحدًا وهو النبى الآتى محمد ﷺ.

للناموس أيضاً" انتهى. فهذا القديس قد أثبت في هذا العدد التلازم بين تبدل الكهانة والإمامة وتبدل الشريعة. فبناءً على مثل هذا التلازم إذا قال المسلمون بنسخ الشريعة المسيحية أيضاً؛ فهم مصيبون لا مخطئون على رأى هذا القديس. وقال فى العدد السابع من الأصحاح الثامن من رسالته العبرانية أيضاً هكذا: "فإنه لو كان العهد الأول غير معترض عليه؛ لم يوجد للثانى موضع" انتهى ثم قال فى العدد الثالث عشر من هذا الأصحاح المذكور هكذا: "فبقوله عهداً جديداً صير الأول عتيقاً. والشئ العتيق والبالى قريب من الفناء" انتهى. فهذا القول صريح من هذا القديس بأن أحكام التوراة كانت معيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة وقريبة من الفناء والاضمحلال، وجاء فى تفسير دوالى ورجردمينت فى ذيل شرح العدد الثالث عشر هكذا: "هذا ظاهر جداً: أن الله تعالى يريد أن ينسخ العتيق ألا نقص بالرسالة الجديدة الحسنى؛ فلذلك يرفع المذهب الرسومى اليهودى ويقوم المذهب المسيحى مقامه" انتهى.

وفى العدد الرابع عشر من الأصحاح الثانى من رسالة بولس إلى أهل أفسس هكذا: "ونقض حائط السياج المتوسط. أى العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا" انتهى. وقال فى العدد التاسع من الأصحاح العاشر من رسالته العبرانية هكذا: "ينزع الأول لكى يثبت الثانى" وفى نسخ أخرى فينسخ الأول حيث يثبت الثانى" انتهى. قال فى تفسير دوالى ورجردمينت فى شرح هذا العدد والعدد الثامن قبله هكذا: "استدل الحوارى فى هاتين الآيتين وفيهما إشعار بكون نبايح اليهود غير كافية

ولذا تحمل المسيح على نفسه الموت ليجبر نقصانها؛ وينسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر" انتهى. وقال بولس في العدد العشرين من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: "مع المسيح صلبت وأنا الآن حي، لكني لست أنا بحي، بل إن المسيح هو الحي فيّ. وما نلت الآن من الحياة الجسمانية؛ فهو متعلق بالإيمان بابن الله الذي أحبني، وجعل نفسه فدية لأجلي، وأنا لا أبطل نعمة الله لأنه إن كانت العدالة بالناموس؛ فقد مات المسيح عبثاً" وفي نسخة أخرى: إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب" انتهى؛ قال داکتر همنز في شرح العدد العشرين من هذا الأصحاح هكذا: "خَلّصني ببذل روحه لأجلي عن شريعة موسى" ثم قال في العدد الحادي والعشرين هكذا: "أستعمل هذا العتيق لأجل ذلك، ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى، ولا أفهم أن أحكام موسى ضرورية؛ لأنه يجعل إنجيل المسيح كأنه بلا فائدة" انتهى.

وقال يابل في شرح العدد الحادي والعشرين المذكور هكذا: "لو كانت شريعة اليهود تعصمنا وتتجينا فأية ضرورة كانت لموت المسيح؟ ولو كانت الشريعة جزاءً لنجاتنا، فلا يكون موت المسيح لها كافياً" انتهى.

فكل هذه الأقوال ناطقة بجعل الفراغ من شريعة موسى ونسخها. فالصواب في شأن المسيحيين أن يعترفوا بهذه القضية وإلا فيصبحون كمن ينكر طلوع الشمس وهي في رابعة النهار، وليس دونها سحاب.

والمنكر ينظر إليها بعينه ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ﴾

والحاصل: لا يسع المسيحيين في إنكار هذه القضية إلا سلوك إحدى هذه الطرق الثلاثة التي على وفق عدد التثليث. إما أن يبقوا مصرين على عدم جواز النسخ لبعض الأحكام العملية من الكتب السماوية، ويلزمهم عند ذلك العمل بجميع أحكام التوراة، أبدية كانت أو غير أبدية. وأما أن يبقوا على عدم العمل لشيء من أحكامها، وعليهم عند ذلك الاعتراف بأن جميع أحكام التوراة التي ليس معمولاً بها عندهم من جملة الأغلاط الواقعة فيها، وإن ما ورد من أقوال الحواريين وبولس الدالة على نسخ أحكام التوراة صراحة من جملة الأغلاط الواقعة في الإنجيل أيضاً. وأما أن يعدلوا عن إنكارهم هذا ويقرّوا بجواز النسخ المصطلح عليه عندنا معاشر المسلمين، وهو الأسلم. وما أطربني من قول القائل: "كل يحصد ما زرع، ويجزى بما صنع"

إنكار التحريف في التوراة والأنجيل

ولما فرغ هذا القسيس من إنكاره لمسألة النسخ أخذ يتكلم في الإنكار على من قال بتحريف التوراة والإنجيل فقال هكذا: "وأما من قالوا بتحريف الكتابين المذكورين وتغييرهما وتبديلهما حتى أصبحا مملوئين من الغلطات^(١) والاختلافات؛ فلا سند لهم على ذلك من القرآن أيضاً. بل هو اختراع محدث من عندهم، لم يخطر على بال نبيهم فضلاً عن وجوده في القرآن، بل الذي يفهم منه عكس قولهم. أي عدم التغيير والتبديل"

أقول: إن إنكار وقوع التحريف بالتغيير في التوراة والإنجيل إنما هو مجرد عناد ومكابرة للمعلوم بالضرورة والبداهة، فلا يسمع كلامه وينبذ وراء الظهور فإن الأغلاط والاختلافات قد ثبت وقوعها فيهما بالحس والمشاهدة. وما ذلك إلا بسبب التغيير والتبديل بالزيادة، وأما قول القسيس فلا سند على ذلك من القرآن؛ غلط يقيناً. فإن القرآن المجيد دل على وقوع ذلك صراحةً، والآيات الواردة فيه الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل كثيرة جداً فمن ذلك: قوله تعالى في سورة المائدة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

(١) من أغلاط التوراة: "سبعين نفسا" في مخطوط عبري وجد في قمران وفي التوراة اليونانية تقرأ "خمسا وسبعين نفسا" [راجع أعمال الرسل ٧: ١٤]

فهذه الآية الشريفة صريحة في أن اليهود كانوا يحرقون كلام التوراة ويغيرونه عن مواضعه التي وضعها الله عليها، وجاء من قوله تعالى في السورة المذكورة بعد هذه الآية هكذا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي مما أخفوه أهل الكتاب في التوراة والإنجيل؛ فلا يبينه لهم. إذا لم تدع إليه داعية دينية ولم يكن في ذكره مصلحة صيانة لهم عن زيادة الإفصاح. كما يفصح عن ذلك التعبير عن عدم الإظهار والتبيين بالعفو، ترغيباً وترهيباً لهم. وأما ما تدعو إليه داعية دينية ويكون في ذكره مصلحة؛ فقد بينه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأوضح عبارة وأجلى بيان كما لا يخفى ذلك على نوي العقول والأذهان.

وقد جاء في سورة البقرة في حق أسلاف اليهود هكذا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ معناه لا تطمعوا أيها المؤمنون في هؤلاء اليهود أن يؤمنوا لكم، وقد كان فريق من علماء أسلافهم يسمعون كلام الله ثم يحرقونه ويبدّلونه من بعد ما عقلوه وفهموه وهم يعلمون أنهم مبطلون وعلى الله مفترون.

وجاء في سورة آل عمران هكذا: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؛ فقوله ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ معناه: لم تخلصون الحق الذي أنزله الله تعالى بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه بأيديكم حتى يشتبه أحدهما، بالآخر؟ فإن اللبس: هو الخلط يقال لبس الشيء بالشيء إذا خلط بعضهما في بعض بحيث يتعذر انفصال أحدهما عن الآخر، وقد توعد الله سبحانه وتعالى لهم على ذلك بشدة العذاب بقوله في سورة البقرة: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فكل هذه الآيات الشريفة صريحة الدلالة على ثبوت وقوع التغيير والتبديل في التوراة والإنجيل. وبهذا تعرف أن قول صاحب البرهان: "لم يخطر على بال نبيهم فضلاً عن وجوده في القرآن؛ غلط ومحض افتراء" كيف وأن نبينا محمداً ﷺ لم يترك صغيرة ولا كبيرة لها أدنى تعلق وارتباط بالمنفعة العمومية والمنفعة الخصوصية إلا وقد أخبرنا بها هذا النبي الكريم؟ فكيف أمر بالتحريف الذي هو من أهم الأمور الدينية؟

ولقد روى البخاري في صحيحه حديثاً عن ابن عباس ؓ في كتاب الاعتصام من كتابه بإسناده، ثم أورده في كتاب الرد على الجهمية بإسناد آخر؛ وأنا أنقله لك عن الكتاب الثاني مع بعض عبارة الإمام القسطلاني في الموضعين المذكورين: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب أي اليهود والنصارى عن شيء وكتابكم الذي

أنزله على نبيكم أحدث الأخبار بالله" أي أقرب الأخبار نزولاً من عند الله ﷻ "محضاً لم يشب" أي خالصاً لم يخلط فلم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، بخلاف التوراة والإنجيل وقد "حدثكم الله ﷻ في كتابه أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً" أي عوضاً يسيراً" أولاً ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. فلم تسألون أنتم منهم مع علمكم أن كتابهم محرف" انتهى.

فهذا الحديث صريح في أن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- كانوا يعلمون وقوع التحريف في التوراة والإنجيل فضلاً عن النبي ﷺ وبرهان الحس والمشاهدة شاهد على ذلك؛ فإنه قلما يخرج أصحاب أو عبارة من كتب العهد العتيق والجديد ويكون خالياً عن الغلط أو الاختلاف.

وها أنا أنقل لك ههنا شيئاً، وأكتفي في النقل على ثلاثين من الاختلافات، ومثلها من الأغلاط؛ خوف الإطالة، وأقدم لك ذكر الأغلاط على الاختلافات فأقول:

الغلط الأول:

في العدد الثالث من الأصحاح السادس من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية هكذا: "لن تسكن روعي في الإنسان إلى الأبد؛ لأنه لحم، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" وفي

نسخة أخرى هكذا: "لن تدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" فقلوه "وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" ليس من كلام الله سبحانه وتعالى - لأن هذا القول غلط؛ فإن أعمار الذين كانوا في الزمان السابق طويلة جداً. فنوح عليه السلام عاش تسعمائة وخمسين سنة، كما هو مصرح به في الأصحاح التاسع من سفر التكوين. وعاش سام بن نوح عليه السلام ستمائة سنة كما هو مصرح به في الأصحاح الحادي عشر من السفر المذكور. وعاش ابنه أرفكشاد أربعمائة وثمانية وثلاثين سنة، كما هو مصرح به في الأصحاح المذكور. وعاش سيدنا إبراهيم عليه السلام مائة وخمسة وسبعين سنة وهكذا أعمار هذا الزمان ما بين الستين إلى السبعين والبلوغ إلى الثمانين والتسعين؛ قليل جداً.

الغبط الثاني:

في العدد الثامن من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين في خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "وسأعطي لك ولنسلك أرض غربتك جميع أرض كنعان ملكاً إلى الدهر وأكون لهم إلهاً" انتهى؛ فهذا القول غلط لأن أرض كنعان لم تعط لإبراهيم عليه السلام قط، وكذا لم تعط لنسله ملكاً إلى الدهر، بل الانقلابات التي وقعت في تلك الأراضي لم يقع مثلها في غيرها، ومضت مدة طويلة جداً والحكومة الإسرائيلية زائلة عنها رأساً. كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع على تواريخ كتب العهد العتيق.

الغلط الثالث:

في العدد العاشر من الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني في وعد الرب لبني إسرائيل على لسان النبي ناتان هكذا: "وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه؛ فلا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذلونه كما في الأول، منذ يوم أقمت قضاة على شعبي إسرائيل الخ" فهذا القول يدل على أن الرب سبحانه وتعالى كان وعد إسرائيل أن يكونوا في هذا المكان المذكور بالهدوء والاطمئنان ولا يحصل لهم الإيذاء من أيدي الأشرار ذوي الإثم. والمراد بهذا المكان المذكور: مدينة أورشليم أي القدس الشريف ولقد أقام بنو إسرائيل في هذا المكان لكنهم لم يحصل لهم وفاء الوعد، وأوذوا في هذا المكان إيذاءً بليغاً وقتلهم وأسروهم وجلاهم عنها سبعين سنة. وهكذا آذاهم السلاطين الآخرون. فأذاهم طيطوس الرومي إيذاءً جاوز الحد حتى مات في حادثته ألف ألف ومائة ألف بالقتل والصلب والجوع وأسر منهم سبعة وتسعين ألفاً وجلاهم منها هم وأولادهم، وهم إلى الآن متفرقون في أقطار العالم في غاية الذل والنكال.

الغلط الرابع:

في العدد الثاني عشر من الأصحاح المذكور من السفر المذكور في وعد الرب لداود عليه السلام على لسان النبي ناتان هكذا: "متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيمُ بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت ملكه. هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد.

أكون له أباً وهو يكون لي ابناً إن تَعَوَّجَ أَدَبُهُ بِقَضِيْبٍ وَبِضْرَبَاتِ بَنِي
آدَمَ، وَلَكِنْ رَحْمَتِي لَا تَنْزِعُ مِنْهُ كَمَا نَزَعْتُهَا مِنْ شَاوُلَ، الَّذِي أَرْزَلْتَهُ مِنْ
أَمَامِكَ، وَيَأْمَنُ بَيْتَكَ وَمَمْلَكَتَكَ إِلَى الْأَبَدِ أَمَامَكَ. كَرْسِيكَ يَكُونُ ثَابِتاً إِلَى
الْأَبَدِ" انتهى.

وجاء هذا الوعد في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار
الأيام الأول وهو هكذا. "هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة،
وأريحه من جميع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل
سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون
لي ابناً، وأنا له أباً وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد" انتهى.

فعلم من هذين القولين: أن الله تعالى وعد أن السلطنة لا تزول من
بيت داود عليه السلام إلى الأبد. وهو غلط. وفيه شيء آخر يجب التنبيه عليه
وهو أن مقدس أهل التثليث بولس نقل هذا القول في العدد السادس من
الأصحاح الأول من رسالته العبرانية في فضل المسيح على الملائكة
هكذا: "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" انتهى. وعلماء أهل التثليث
يصرحون في كتبهم أن هذا العدد إشارة إلى العدد الرابع عشر من
الأصحاح السابع من سفر صموئيل نقلة. قال الشيخ رحمة الله: وهذا
الزعم غير صحيح لوجوه:

الأول: أنه صرح في سفر أخبار الأيام المذكور أن اسمه يكون
سليمان.

الثاني: أنه صرح في السفرين المذكورين أنه يبني لاسمي بيتاً؛ فلا بد أن يكون هذا الابن باني البيت، وهو ليس إلا سليمان عليه السلام وقد ولد المسيح عليه السلام بعد ألف وثلاث سنين من بناء البيت، وهو كان يخبر بخرابه، كما هو مصرح به في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى.

الثالث: أنه صرح في السفرين المرقومين أنه يكون سلطاناً والمسيح عليه السلام ما كان سلطاناً على إسرائيل بل كان فقيراً حتى نقل عنه أنه قال في حق نفسه هكذا: "للتعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه" كما هو مصرح بذلك في العدد العشرين من الأصحاح الثامن من إنجيل متى.

الرابع: أنه صرح في سفر أخبار الأيام المذكور أنه يكون صاحب راحة وهدوء، وأن الرب يريحه من جميع أعدائه، والمسيح عليه السلام ما حصل له الهدوء والراحة من أعدائه من أيام الصبا إلى أن قُتل وصلب -على زعمهم- بل كان خائفاً من اليهود ليلاً ونهاراً، فاراً في أكثر أوقاته من موضع إلى آخر، حتى أسروه وأهانوه وضربوه وصلبوه، بخلاف سليمان عليه السلام فإن هذا الوصف كان ثابتاً في حقه على الوجه الأكمل.

الخامس: أنه صرح في السفر المذكور هكذا: "فأجعل سلامةً وسكينةً على إسرائيل في أيامه" مع أن اليهود كانوا في عهد المسيح عليه السلام مطيعين للروم وعاجزين عنهم.

السادس: أن سليمان عليه السلام ادعى بنفسه أن هذا الخبر في حقه كما هو مصرح به في الأصحاح السادس من السفر الثاني من أخبار الأيام. فإن قالوا: إن هذا الخبر وإن كان بحسب الظاهر في حق سليمان عليه السلام لكنه في الحقيقة في حق المسيح عليه السلام لأنه من أولاد سليمان، قلت: هذا غير صحيح لأن الموعود به لابد أن يكون موصوفاً بالصفات المذكورة، والمسيح عليه السلام بخلاف ذلك. وإن قطعنا النظر عن الصفات المذكورة فلا يصح أن يراد بهذا الخبر؛ المسيح -على زعم الجمهور من متأخريهم- لأنهم يقولون لأجل رفع الاختلاف الواقع بين كلام متى ولوقا في بيان نسب المسيح عليه السلام أن متى بيّن نسب يوسف النجار ولوقا بين نسب مريم عليها السلام وهو مختار القسيس فندر صاحب ميزان الحق. والظاهر أن المسيح عليه السلام ليس ولداً ليوسف النجار ونسبته إليه من قبيل أضغاث الأحلام، بل هو ولد مريم عليها السلام وبهذا الاعتبار لا يكون من أولاد سليمان عندهم، بل من أولاد ناثان بن داود عليه السلام فلا يكون الخبر الوارد في حق الحقيقة، وإنما هو من أبناء أخيه ناثان. انتهى

الغلط الخامس:

في العدد الثاني من الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني هكذا: "وكان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك" وهذا غلط كيف لا وأن أباه يهورام حين مات كان ابن أربعين سنة وابنه أخزيا جلس على سرير السلطنة بعد موته متصلاً، كما يعلم ذلك من

الأصحاح الذي قبل هذا الأصحاح المذكور فلو لم يكن غلطاً؛ يلزم أن يكون أكبر من أبيه بسنتين. ولقد جاء في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني أن أخزيا حين ملك كان ابن اثنتين وعشرين سنة، وهو الصحيح. والأول غلط يقيناً.

الغلط السادس:

في العدد الثامن من الأصحاح الأول من إنجيل متى فى بيان نسب المسيح عليه السلام هكذا: "ويورام ولد عزّيا" وهذا القول غلط فإن الذى يُعلم من العدد الحادى عشر من الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول أن يورام ابنه أخزيا وأخزيا ابنه يوأش ويوأش ابنه أمصيا، وأمصيا ابنه عزّيا فعزّيا هو ابن أمصيا لا بن يورام. وهؤلاء الثلاثة أجيال ساقطة من إنجيل متى. وهم كانوا من السلاطين المشهورين وأحوالهم مندرجة فى سفر الملوك وأخبار الأيام الثانى من التوراة، ولا يعلم وجه وجيه لإسقاط هذه الأجيال الثلاثة فى الإنجيل سوى أنه غلط من متى الإنجيلى.

الغلط السابع:

فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الأول من إنجيل متى أيضاً: أن زَرْبَابَل بن شَالْتَيْثِيل. وهو غلط أيضاً لأن زَرْبَابَل بن فدايا لا بن شَالْتَيْثِيل عمه، كما هو مصرح به فى الأصحاح الثالث من أخبار الأيام.

الغلط الثامن:

فى العدد الثالث عشر من الأصاح الأول من إنجيل متى أيضاً:
أن أبهىود بن زروبابل وهو غلط أيضاً لأن زروبابل كان له خمسة
أولاد من الذكور ولم يوجد فىهم أبهىود، كما يعلم ذلك من العدد التاسع
عشر من الأصاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول. فهذه ثلاثة
أغلاط صدرت عن متى الإنجلى فى نسب المسيح عليه السلام وصاحب
إظهار الحق ذكر فى كتابه إحدى عشر غلطاً صدرت عن متى فى هذا
الأصاح فقط. فراجعه إن شئت.

الغلاط التاسع:

فى العدد الثانى والعشرين من الأصاح الأول من إنجيل متى
أيضاً هكذا. "وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَي يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ : هُوَذَا الْعَذْرَاءُ
تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا ، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّاوُئِيلَ الَّذِى تَفْسِيرُهُ: أَلَلَّهُ مَعَنَا" انتهى. والمراد
بالنبي عند علماء أهل التثليث: إشعياء عليه السلام حيث قال فى العدد الرابع
عشر من الأصاح السابع من كتابه هكذا: "اجل يعطىكم الرب عينه
علامة: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" انتهى. فما
نقله متى غلط لوجوه:

الأول: أن المسيح عليه السلام ما دعاه أحد بعمانوئيل أصلاً، لا أمه ولا
أبوه ولا أحد من الناس، وإنما اسمه يسوع. وكان الملك قال لأبيه فى
يوسف النجار فى الرؤيا: "وتدعو اسمه يسوع" كما صرح بذلك متى
فى العدد الثانى والعشرين من الأصاح الأول من إنجيله، وكان
جبريل عليه السلام قال لأمه مريم عليها السلام هكذا: "ستحبلين وتلدن ابناً

وتسمينه يسوع" كما صرح بذلك لوقا فى العدد الحادى والثلاثين من
الأصحاح الأول من إنجيله. والمسيح عليه السلام لم يُدع ولا فى حين من
الأحيان بعمانوئيل.

الوجه الثانى: إن القضية التى وقع فيها هذا القول التى من كلام
إشعيا عليه السلام تأبى أن يكون مصداق هذا القول المسيح عليه السلام فإن من
رجع إلى ذلك الأصحاح وتأمله وجده فى رصين ومملكة الملك فقح أن
امرأة عذراء تلد ابنا وتدعوا اسمه عمانوئيل وتصير أرض هذين
الملكين خربة قبل أن يميز هذا الولد الخير عن الشر. وقد ثبت أن
أرض الملك فقح قد خربت فى مدة إحدى عشر سنة من هذا الخبر؛ فلا
بد أن يتولد هذا الولد قبل هذه المدة وتخرّب قبل تميزه. وأما المسيح
عليه السلام فقد تولّد بعد سبعمائة وإحدى وعشرين سنة من خرابها. وقد
اختلف علماء اليهود من أهل الكتاب فى مصداق هذا الخبر فاختر
البعض أن إشعيا عليه السلام يريد بالمرأة؛ زوجته. وهذا القول هو الحرى
بالقبول وقريب من القياس.

الوجه الثالث: أن اللفظ الذى ترجمه متى الإنجيلى ومترجم كتاب
إشعيا بالعذراء هو لفظ علّمه ومعناه فى العربية عند علماء اليهود:
المرأة الشابة. سواء كانت عذراء أو غيرها. ويقولون: إن هذا اللفظ
وقع أيضا فى الأصحاح الثلاثين من سفر الأمثال ومعناه أيضا: أنه
المرأة الشابة التى زوجت. وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى التراجم
اليونانية الثلاثة يعنى ترجمة أيكوثلا وترجمة تهيوودوش وترجمة

سميكس. وهذه التراجم عندهم قديمة يقولون إن الأولى ترجمت في سنة
مائة وتسعة وعشرين من الميلاد وكانت هذه الثلاثة معتبرة عند القدماء
من المسيحيين سيما ترجمة تهيودوش. فعلى تفسير هذه التراجم القديمة
وتفسير علماء اليهود يكون كلام متى الإنجيلي ظاهر الفساد. وقال
فرى في كتابه الذى صنفه فى بيان اللغات العبرانية، وهو كتاب معتبر
مشهور بين علماء بروستنت إن هذا اللفظ مشترك بين العذراء والمرأة
الشابة. فعلى قول هذا الفاضل يكون هذا اللفظ مشتركاً بين هذين
اللفظين. والحجة متى تطرق إليها الاحتمال سقط منها الاستدلال فحمله
على العذراء خاصة، على خلاف تفاسير اليهود الذين هم أهل النسان
العبرانى، وعلى خلاف تفاسير التراجم القديمة؛ يحتاج إلى دليل
يخصه بذلك. ويعلم من هذا أيضاً: أن ما قاله صاحب ميزان الحق
فى كتابه المسمى بحل الأشكال من أنه ليس معنى هذا اللفظ إلا العذراء
فقط؛ غلط يقيناً.

الغلط العاشر: فى العدد الثالث والعشرين من الأصحاح الثانى
من إنجيل متى أيضاً فى حال المسيح عليه السلام هكذا: "وأتى وسكن فى
مدينة يقال لها ناصرة^(١) لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً"
انتهى. وهذا القول غلط أيضاً فإنه لا يوجد فى كتاب من كتب الأنبياء
أنه سيدعى ناصرياً. واليهود ينكرون هذا الخبر أشد الإنكار، وعندهم

(١) مدينة الناصرة: من نصيب اليهود السامريين والعداء كان شديداً بين اليهود
العبرانيين الذين منهم المسيح بحسب أمه؛ فكيف يعيش المسيح وأمه فى الناصرة؟

هذا زور وبهتان. بل يعتقدون أنه لم يقم نبي من الجليل المشتمل على مدينة الناصرة، فضلاً عن أن يقيم من الناصرة. كما صرح بذلك يوحنا الإنجيلي في العدد الثاني والخمسين من الأصحاح السابع من إنجيله. فهذه خمسة أغلاط صدرت من متى في الأصحاحين الأولين من إنجيله. وصاحب إظهار الحق ذكر في كتابه سبعة عشر غلطاً عن هذين الأصحاحين فقط. فارجع إليه إن شئت.

الغلط الحادى عشر: فى العدد التاسع من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى أيضاً هكذا: "حَيْثُذِئَمْ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ : وَأَخَذُوا الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ ، ثُمَّنَ الْمُثْمَنَ الَّذِي ثَمَنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " انتهى فلفظ إرمياء غلط وهو من الأغلاط المشهورة الواقعة فى إنجيل متى. فإن هذا القول لا وجود له فى كتاب إرمياء أصلاً، بل لا يوجد هذا المضمون فى كتاب آخر من سائر كتب العهد القديم بهذه الألفاظ. نعم يوجد فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من كتاب زكريا عليه السلام عبارة تناسب هذه العبارة لكن بين العبارتين فرق جلى. ومع قطع النظر عن هذا الفرق لا علاقة لعبارة كتاب زكريا عليه السلام بعبارة متى. ومن رجع إلى هاتين العبارتين وتأملهما؛ يعلم حقيقة الأمر، وأن ما نقله متى غلط يقيناً.

الغلط الثانى عشر: فى العدد التاسع والثلاثين من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل متى هكذا " فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: جِيلٌ شَرِيرٌ وَقَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً ، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

وَتَلَاثَ لَيَالٍ ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ " انتهى. وهذا القول غلط صريح وليس هو من كلام السيد المسيح؛ فإن المصلوب صلب قريباً من نصف النهار من يوم الجمعة المبارك كما يظهر ذلك من الأوصاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا ومات في الساعة التاسعة وطلب يوسف جسده من بيلاطس وقت المساء؛ فكفنه ودفنه. كما صرح بذلك مرقس في الأوصاح الخامس عشر من إنجيله. فكان دفنه في ليلة السبت ومكث هذا الجسد في القبر إلى قبيل الفجر من نهار الأحد، كما صرح بذلك في الأوصاح العشرين من إنجيل يوحنا. إذا علمت هذا تعلم أن قوله "يمكث في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلث ليالٍ" غلط يقيناً فإنه ما مكث إلا يوماً واحداً وليلتين على ما شهد به هذا الإنجيل.

الغلط الثالث عشر: في العدد السابع والعشرين من الأوصاح السادس عشر من إنجيل متى أيضاً في قول المسيح هكذا: " فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ " انتهى وهذا غلط أيضاً وليس من كلام السيد المسيح عليه السلام فإن جميع الذين كانوا قائمين هناك ذاقوا الموت وصاروا عظاماً بالية وتراباً، ومضى على ذوقهم الموت أزيد من ألف وثمانمائة سنة، وما أرى أحد منهم ولا غيرهم ابن الإنسان آتياً في ملكوته.

الغبط الرابع عشر: في العدد الثالث من الأصحاح الرابع
والعشرين من إنجيل متى أيضاً. وحاصل ما فيه: أن المسيح عليه السلام كان
جالساً على جبل الزيتون فتقدم إليه تلاميذه وسألوه عن علامة الزمان
الذي يصير فيه بيت المقدس خراباً، وعلامة الوقت الذي ينزل ^(١) فيه

(١) علامات نهاية الزمان: المقصود بها نهاية زمان الملك في اليهود، وبدء زمان الملك
في العرب من مبعث محمد صلى الله عليه وسلم. وقد فهم المؤلف أن نهاية الزمان هي قيام يوم القيامة.
ويدل على ما قلنا: أن المسيح بعدما تكلم عن العلامات قال فإذا تمت العلامات يظهر
ابن الإنسان ويؤسس ملكوت السموات والملكوت هو لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول لوقا: "وَتَطَّلَعَ نَرَأَى
الْأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْحَرَابَةِ، وَرَأَى أَيْضاً أَرْمَلَةً مَسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلَسْتَيْنِ. فَقَالَ: بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ:
إِنَّ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ لِأَنَّهُ هُوَ لَا مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقُوا فِي قَرَابِينِ اللَّهِ، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ
إِعْزَازِهَا، أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا. وَإِذَا كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ إِنَّهُ مَزِينٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتُحَفِّ
، قَالَ: هَذِهِ الَّتِي تَرْوَتُهَا، سَتَأْتِي أَيَّامٌ لَا يَتْرَكَ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ. فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ،
مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ الْعَلَامَةُ عِنْدَمَا يَصِيرُ هَذَا؟ فَقَالَ: انْظُرُوا! لَا تَضِلُّوا. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي
قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ! وَالزَّمَانُ قَدْ قَرُبَ! فَلَا تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَقَلَاقِلٍ فَلَا تَخْزَعُوا، لِأَنَّهُ
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَوَّلًا، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ الْمُنتَهَى سَرِيعًا. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى
مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ زَلَزَلٌ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ، وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبَةُ. وَتَكُونُ مَخَافٌ وَعَلَامَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ
السَّمَاءِ. وَقِيلَ هَذَا كُلُّهُ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، وَيَسْلُمُونَكُمْ إِلَى مَحَامِيعٍ وَسُحُونٍ، وَيَسَاقُونَ
أَمَامَ مُلُوكٍ وَرُلَاةٍ لِأَجْلِ اسْمِي. فَيُؤُولُ ذَلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً. فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لَا تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلِ لِكْنِي
تَحْتَجُّوا، لِأَنِّي أَنَا أَعْطِيكُمْ قَمًا وَحِكْمَةً لَا يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يَقَابِلُوهَا أَوْ يَنْقَاضُوهَا. وَسَوْفَ
تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالْإِخْوَةِ وَالْأَقْرَبَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ. وَتَكُونُونَ مُتَعَذِّبِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ
اسْمِي. وَلَكِنْ شَجَرَةٌ مِنْ رُؤُوسِكُمْ لَا تَهْلِكُ. بِصَبْرِكُمْ أَقْتَنُوا أَنْفُسَكُمْ. وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ
، فَحِينَئِذٍ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ خَرَابُهَا. حِينَئِذٍ لِيَهْرَبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا
فَلْيَهْرَبُوا خَارِجًا، وَالَّذِينَ فِي الْكُورِ فَلَا يَدْخُلُوهَا، لِأَنَّ هَذِهِ أَيَّامَ انْتِقَامٍ، لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ. وَنُصِّلَ
لِلْحَبَالَى وَالْمَرْضَعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لِأَنَّهُ يَكُونُ ضَيْقٌ عَظِيمٌ عَلَى الْأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ.
وَيَقْعُونَ فِي السَّيْفِ، وَيُسَبَّحُونَ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الْأُمَمِ حَتَّى تُكْمَلَ أَرْمَتُهُ

من السماء، وعلامة قيام القيامة. فبين ~~التي~~ علامات الكل وبين أولا زمان خراب بيت المقدس، ثم قال: وبعد هذه الحادثة في تلك بلا مهلة يكون نزولي ومجيئ القيامة. فمن العدد الخامس إلى العدد الثامن والعشرين يتعلق بخراب بيت المقدس، ومن العدد التاسع والعشرين يتعلق بخراب بيت المقدس، ومن العدد التاسع والعشرين إلى آخر الأصحاح يتعلق بنزول المسيح ~~عليه~~ ومجيئ القيامة. وبعض أعداد هذا الأصحاح هكذا " وَلَوْ قَتِ بَعْدَ ضَيْقِ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلَمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالتَّحُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَوَاتُ السَّمَاوَاتِ تَزْغَرُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابٍ سَمَاءٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يُبْزِقُ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَّاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. فَمِنْ شَجَرَةٍ التِّينِ تَعْلَمُوا الْمَثَلُ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ

الْأَمَمِ. وَتَكُونُ عَلَامَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالتَّحُومِ، وَعَلَى الْأَرْضِ كَرْبُ أَمَمٍ بِخَيْرَةٍ. الْبَحْرُ وَالْأَمْوَاجُ تَصِيحُ وَالنَّاسُ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ خَوْفٍ وَانْتِظَارٍ مَا يَأْتِي عَلَى الْمَسْكُونَةِ، لِأَنَّ قَوَاتِ السَّمَاوَاتِ تَزْغَرُ. وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هَذِهِ تَكُونُ، فَانْقَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لِأَنَّ نَجَاتَكُمْ تَقْتَرِبُ. وَقَالَ لَهُمْ مَثَلًا: انْظُرُوا إِلَى شَجَرَةِ التِّينِ وَكُلِّ الْأَشْجَارِ. مَتَى أَفْرَحَتْ تَنْظُرُونَ وَتَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنَّ الصَّيْفَ قَدْ قَرُبَ. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ قَرِيبٌ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يَمُضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنْ كَلَامِي لَا يَزُولُ. فَاحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ لِفَلَا تَنْقَلِ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرِ وَمُتَمُومِ الْحَيَاةِ، فَيَصَادَفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَغْتَةً. لِأَنَّهُ كَالْفَخِّ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ. اسْمُوهَا إِذَا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ، لِكَيْ تَحْسِبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْمَزْمِعِ أَنْ يَكُونَ، وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ. وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلِ الزُّيْتُونِ. وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يَكْرُمُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ."

قَرِيبٌ. هَكَذَا أَنتُمْ أَيْضًا ، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمُضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ. السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلَكِنْ كَلَامِي لَا يَزُولُ " انتهى.

أقول: وهذا غلط أيضًا وليس من كلام السيد المسيح عليه السلام فإنه لا بد أن يكون نزول المسيح عليه السلام من السماء ومجيئ القيامة في الأيام التي صار فيها خراب بيت المقدس بلا مهلة، كما يعلم ذلك من الأصحاح المذكور، وأنه لا بد أن ينظر ذلك الجيل المخاطب هذه الأمور الثلاثة، ويكون نزول المسيح عليه السلام من السماء في عصرهم، كما كان ذلك ظن الحواريين والمسيحيين الذين كانوا في الطبقة الأولى؛ لئلا يزول كلام المسيح قبل أن تزول السماء والأرض ويصر الحق باطلاً. والعياذ بالله تعالى. وقد جاء هذا الخبر في الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس، ووقع في الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل لوقا أيضًا. وبهذا الاعتبار بعد هذا الخبر ثلاثة أغلاط في الإنجيل.

الغلط الخامس عشر: في العدد الثامن والعشرين من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى أيضًا في قول المسيح عليه السلام للحواريين هكذا: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبْعَثُونِي ، فِي التَّحْدِيدِ ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا " انتهى. وهذا القول أيضًا غلط وليس من كلام المسيح عليه السلام فإن يهوذا الأسخريوطى أحد هؤلاء الاثنى عشر المخاطبين قد ارتد ومات مرتدًا

جهنمياً^(١). والعياذ بالله تعالى. فلا يمكن أن يجلس علي الكرسي الثاني عشر إلا أن تكون تلك الكراسي والمجد في جهنم. والعياذ بالله تعالى.

الغلط السادس عشر: في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا هكذا: "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" انتهى. وهذا الخبر أيضاً غلط صريح؛ فإن أخنوخ وإيلياء عليهما السلام صعدا إلى السماء. كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس من سفر التكوين والأصحاح الثاني من سفر الملوك الثاني.

الغلط السابع عشر: في العدد الثالث والعشرين من الأصحاح الحادي عشر من إنجيل مرقس هكذا: "لَأَنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ: اثْقَلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ، وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ" انتهى. وهذا أيضاً غلط صريح. وقد جاء مثل هذا في العدد السابع عشر من الأصحاح السادس عشر من الإنجيل المذكور أيضاً هكذا: "وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَةِ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ" وجاء في العدد الثاني عشر من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَا عَمَالَ الْيَسَى أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا" انتهى. فقولُه: "من يؤمن بي" عام لا يختص بشخص دون شخص آخر، بل يتناول جميع الذين

(١) بحسب قول النصارى.

يؤمنون بالمسيح عليه السلام وكذا قوله: "من يقول لهذا الجبل انتقل" عام لا يختص به أحد دون آخر، وزمان دون زمان. ولا يختص بمن يؤمن بالمسيح عليه السلام بل يعم جميع العالم الذين لا يشكّون في انتقال الجبل إذا قالوا له انتقل. وكذا قوله "هذه الآيات تتبع المؤمنين" عام لا يختص بالحواريين ولا بالطبقة الأولى من المسيحيين، وتخصيص هذه الأمور بالطبقة الأولى لا دليل عليه سوى الادعاء البحت، على أنه ما سمعنا أن أحداً من المسيحيين فعل أفعالاً أعظم من أفعال المسيح عليه السلام بل ولا مثلاً ولا أقل منها. لا في الطبقة الأولى ولا بعدها. فقوله "ويعمل أعظم منها" غلط يقيناً. وليس من كلام المسيح عليه السلام فإنه لا مصداق لهذا القول في طبقة من طبقات المسيحيين. والأعمال التي صدرت عن الحواريين ليست هي أعظم مما صدر عن المسيح عليه السلام وقد اعترف علماء بروتستانت بأن صدور خوارق العادات بعد الطبقة الأولى لم يثبت بدليل قوى. والحق أن المسيحيين المعاصرين لنا ليسوا بمؤمنين بالمسيح عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإخراج الشياطين من المجانين وحمل الحيّات، وما عملوا من ذلك شيئاً فليسوا بمؤمنين.

الغلط الثامن عشر: في العدد السابع والعشرين من الأصحاح

الثالث من إنجيل لوقا في بيان نسب المسيح عليه السلام هكذا: "بن يوحنا، بن ريسا، بن زربابل، بن شالصيل، بن نيري" ففي هذا العدد ثلاثة أغلاط. الأول: أن أولاد زربابل خمسة مصرح بهم في الأصحاح الثالث من أخبار

الأيام الأول، ولم يوجد فيهم ريسا، وهو مخالف لما كتب متى أيضا. الثاني: أن زربابل ابن فدايا وليس بن شالتيئيل، وإنما شالتيئيل عمه، كما علمت ذلك في الغلط السابع. الثالث: أن شالتيئيل بن يكنيا وليس ابن نيرى. كما يعلم ذلك من الأصحاح الثالث من أخبار الأيام الأول. وهو مخالف لما كتب متى أيضا. فهذا العدد فيه ثلاثة أغلاط واختلافات فتأمل.

الغلط التاسع عشر: في العدد الحادى عشر من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل لوقا نقلاً عن قول المسيح عليه السلام هكذا: "وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْكُمُونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لَأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ" انتهى. فهذا القول يفيد أن المسيح عليه السلام كان وعد تلاميذه أن الشئ الذى يقولونه أمام الحكام والسلطين يكون بإلهام روح القدس، ولا يكون من قولهم. وهو غلط صريح وليس من كلام السيد المسيح عليه السلام ويدل على ذلك: ما جاء فى أول الأصحاح الثالث والعشرين من كتاب الأعمال فى قصة تقديم بولس فى المجمع أمام حنانيا رئيس الكهنة، وهو هكذا: "فتفرس بولس فى المجمع وقال: أيها الرجال الإخوة إني بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم. فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه. حينئذ قال له بولس: سيضربك الله أيها الحائط المبيض. أفأنت جالس تحكم عليّ حسب الناموس وأنت تأمر بضربي مخالفًا للناموس؟ فقال الواقفون: أتستهم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس: لم أكن

أعرف أيها الإخوة انه رئيس كهنة؛ لأنه مكتوب: "رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً" انتهى. فلو كان القول الذى نقله لوقا صادقاً، ومن كلام المسيح؛ لما غلط حضرة بولس مقدس أهل التثليث الذى هو من أكابر الحواريين فى زعم أهل التثليث. وهو يدعى أيضاً المساواة بينه وبين أعظم الحواريين بطرس ولا ترجيح لحضرة بطرس عليه عند فرقة بروتستنت؛ فغلط هذا المقدس الذى عليه اعتماد فرقة بروتستنت؛ دليل واضح على عدم صدق القول الذى نقله لوقا فإنه لو كان صادقاً لاستحال أن يغلط حضرة القديس بولس؛ لأن روح القدس يستحيل عليه الغلط، وحيث كان هذا القول مذكوراً فى الأصحاح العاشر من إنجيل متى والأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس؛ يُعد هذا الاعتبار ثلاثة أغلاط فى الإنجيل، على وفق عدد التثليث.

الغلط العشرون: فى العدد الخامس من الأصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس فى حال ظهور المصلوب بعد قيامه من القبر هكذا: "وأنه ظهر لصفاً ثم للاتنى عشر" انتهى. وهذا غلط صريح أيضاً لأن يهوذا الإسخريوطى الذى هو أحد هؤلاء الاتنى عشر كان قد مات قبل حدوث هذه الواقعة، فما كان الحواريون إلا إحدى عشر. ولهذا كتب مرقس فى العدد الرابع عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله أنه ظهر للإحدى عشر. فارجع إليه إن شئت، بل الذى يظهر من كلام يوحنا فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح العشرين من إنجيله أن الحواريين الذين ظهر لهم المسيح ما كانوا إلا

عشرة؛ فإنه نص على أن توما الذى هو واحد من الاثنى عشر؛ لم يكن مع الحواريين حين ظهور المصلوب. فعلى هذا لم يكن حاضراً فى ذاك الوقت سوى عشرة من الحواريين وبهذا الاعتبار يُعدّ هذا الغلط غلطين. وفيه اختلافان.

الغلط الحادى والعشرون: فى العدد الثانى والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل لوقا فى قول جبريل لمريم عليهما السلام هكذا: "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ إِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ" انتهى . وهذا النقل غلط يقيناً من وجهين.

الوجه الأول: أن المسيح عليه السلام من أولاد يواقيم على حسب النسب المندرج فى الأصحاح الأول من إنجيل متى. ولا يصحّ أن يجلس أحد من أولاد يواقيم على كرسى داود البتة، كما يعلم ذلك من العدد الثلاثين من الأصحاح الثانى والعشرين والعدد الثلاثين من الأصحاح السادس والثلاثين من كتاب إرمياء.

الوجه الثانى: أن المسيح عليه السلام ما جلس على كرسى داود عليه السلام أصلاً بل ولا ساعة واحدة ولم يحصل له حكومة على آل يعقوب عليه السلام البتة، بل قام آل يعقوب عليه وأحضره أمام كرسى بيلاطس، وحكم عليه بالضرب والإهانة والقتل وسلّمه إلى اليهود فصلبوه -على زعمهم- ويعلم من الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا: أن المسيح عليه السلام كان يهرب خوفاً من أن يصير ملكاً، ولا يتصور الهرب من أمر

بعثه الله لأجله، على ما بشرت به مريم من جبريل قبل ولادته. ومن
المعلوم البين: أن كرسي داود عليه السلام كان في الأرض لا في السماء؛
فتأمل.

الغلط الثاني والعشرون: في العدد الرابع والستين من الأصحاح
السادس والعشرين من إنجيل متى في خطاب المسيح عليه السلام لليهود هكذا
"مِنَ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ"
انتهى وهذا غلط أيضاً لأن اليهود ما رأته جالساً عن يمين القوة أصلاً
ولم تبصره آتياً على سحب السماء لا قبل موت المصلوب ولا بعده
إلى هذا الحين.

الغلط الثالث والعشرون: في العدد التاسع والعشرين من
الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس نقلاً عن المسيح عليه السلام هكذا "الْحَقُّ
أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ
حُقُولًا، لِأَجْلِي وَلِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ، إِلَّا وَيَأْخُذْ مَعَهُ ضِعْفٌ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، يُبَوِّتُ
وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلَادًا وَحُقُولًا، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ^(١) الْآتِي الْحَيَاةَ
الْأَبَدِيَّةَ" انتهى. وجاء هذا الخبر في الأصحاح الثامن عشر من إنجيل
لوقا أيضاً، وكذا في الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى. وهو غلط
يقيناً؛ لأن الإنسان إذا ترك امرأة لأجل الإنجيل أو لأجل المسيح؛ لا

(١) لأن المؤلف لم يفهم معنى الدهر الآتى قال ما قال. والحق: أن الدهر الآتى هو دهر
شريعة القرآن. والدهر السابق عليه هو دهر شريعة التوراة.

يحصل له مائة امرأة في هذا الدنيا يقيناً. لأن المسيحيين لا يُجَوِّزون التزوج في هذا الزمان بأزيد من امرأة واحدة، وإذا كان المراد بهن في هذا القول المؤمنات بالمسيح عليه السلام بدون عقد النكاح؛ يكون الأمر أفحش وأفسد -والعياذ بالله تعالى- وقوله "حقولاً مع اضطهادات" لا معنى له فإن الكلام هنا في حسن المكافئة والمجازاة، فما دخل الشدائد والاضطهادات ههنا؟ وحيث كان هذا القول مندرجاً في متى ولوقا ومرقس يُعدّ بهذا الاعتبار ثلاثة أغلاط في الإنجيل.

الغلط الرابع والعشرون: في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل لوقا نقلاً عن كلام المسيح عليه السلام هكذا: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يَبْغِضْ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأُمَّرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيزاً. وَمَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيزاً " انتهى.

وهذا الأدب عجيب، وليس من كلام ^(١) السيد المسيح عليه السلام فإنه قد قال موبخاً لليهود هكذا: "فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَائِلاً: أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتُمُ أَباً أَوْ أُمًّا، فَلَيَمُتْ مَوْتاً" كما صرح بذلك متى في العدد الرابع من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله. فبغض الوالدين ليس من إكرامهما، فكيف يعلم ببغضهما؟ حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك.

(١) هو من كلام المسيح يحثهم به على الجهاد في سبيل الله. والجهاد المطلوب ههنا: هو الدعوة إلى ملكوت السموات.

الغظ الخامس والعشرون: في العدد الثاني مع والأربعين من

الأصحاح الحادي عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلَا تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا. وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَبَيَّنَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمَعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الْأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" انتهى

وهذا القول غلط لوجوه:

الأول: أن هذا القول يدل علي أن قيافا رئيس كهنة اليهود؛ كان نبيا من الانبياء الصادقين. وهو باطل قطعاً.

الثاني: أن قوله أن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة، يدل علي أن موته كان كفارة عن أمته لليهود فقط، لا عن العالم كله. وهو مخالف لما هو مزعوم أهل التثليث. ويلزم علي هذا القول أيضا أن يكون قول يوحنا الانجيلي "وليس عن الأمة فقط" مخالف لنبوة قيافا رئيس الكهنة.

الثالث: أن هذا النبي الصادق الذي ثبتت نبوته عند يوحنا الإنجيلي، وهو الذي كان رئيسا للكهنة حين صلب المصلوب، هو الذي أقتي بقتله وكنبه ونسبه إلى التجديف والكفر ورضي بإهاناته وضربه، كما يعلم ذلك من العدد السابع والخمسين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متي. وعبارته فيه هكذا "والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلي قيافا رئيس الكهنة الخ"

ثم قال في العدد الثالث والستين: "وأما يسوع فكان ساكتا فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: أنت قلت. وأيضا أقول لكم: إنكم من الآن تبصرون ابن الانسان^(١) جالسا عن يمين القوة وآتيا علي سحاب السماء. فمزق حينئذ رئيس الكهنة ثيابه قائلا: قد جدف ما حاجتنا بعد إلي شهود.

ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت. حينئذ بصقوا في وجهه، ولكموه، وآخرون لطموه" انتهى.

وقد أورد هذا الخبر يوحنا أيضا في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثامن عشر من إنجيله. وعبارته في حقه هكذا: "ومضوا به الي حنَّان أولا لأنه كان حمي قيافا الذي كان رئيسا للكهنة في تلك السنه. وكان قيافا هو الذي أشار علي اليهود أنه خير ان يموت إنسان واحد عن الشعب" انتهى.

فإذا كان كلام قيافا رئيس الكهنة بالنبوة والإلهام، فكيف ساغ له أن يفتي بقتل المسيح؟ وكيف كذبه وكفره ورضي بضربه وإهانته؟ أيفتي النبي بقتل إلهه ويكفر به في ألوهيته ويكفره ويهينه؟ فإذا كانت النبوة حاويه لأمثال هذه الشنائع؛ فنحن برآء عن هذه النبوة وعن صاحبها. والحق أن يوحنا الحواري بريء عن أمثال هذه الأقوال

(١) ابن الإنسان لقب محمد ﷺ وهذا يدل على أن المسيح في آخر عمره كان يبشر به.

الواهية، كما أن المسيح عليه السلام بريء عن ادعاء الألوهية والبنوة الحقيقية، وإنما هذه وامثالها من خرافات المثليين يقينا.

الغلط السادس والعشرون: في العدد الخمسين من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متي هكذا: "فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلي اثنين من فوق إلي أسفل والأرض ترلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت و قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين " انتهى.

أقول إن هذه الحكاية لا سبيل إلي تصديقها^(١) لوجوه:

الأول: إن هذه الحوادث العظيمة حيث كانت ظاهرة ومشهودة؛ يستبعد العقل ألا يكتبها أحد من المؤرخين الذين كانوا في ذاك الزمان، غير متي الإنجيلي. ولو فرضنا أن المخالفين امتنعوا عن كتابتها لأجل سوء ديانتهم أو عنادهم فلا بد أن يكتبها الموافقون، سيما لوقا الإنجيلي الذي كان أحرص الناس في تحرير العجائب التي تصدر عن المسيح عليه السلام وكان متتبعا لجميع الأمور التي كان يفعلها المسيح عليه السلام كما يعلم ذلك من مقدمة إنجيله. وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون الحالات التي ليست بعجائب ولا يكتبون الأمور العجيبة؟

(١) الغرض من كتابتها: هو تجميع نبوءات من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ واللغو فيها بهذه الحيلة.

وكيف كتب مرقس ولوقا انشقاق الحجاب وترك لأُمُور الباقية التي اعظم منه؟ فإن تشقق الصخور وقيام الأموات من القبور أعظم من انشقاق حجاب الهيكل.

الثاني: إن متي كتب في هذا الأصحاح "أن اليهود ذهبوا إلي بيلاطس في اليوم الثاني من صلب المصلوب قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال في حياته: إني أقوم بعد ثلاثة أيام فمر بضبط القبر إلي اليوم الثالث لنلا يأتي تلاميذه ليلا و يسرقوه، فتكون الضلالة الأخرى أشر من الأولى"

وذكر متي في هذا الأصحاح أيضا: "أن بيلاطس وامراته كانا غير راضين بقتله وصلبه. فلو وقعت هذه الأمور؛ ماكان يمكنهم أن يذهبوا إلى بيلاطس" والحال أن حجاب الهيكل منشق، والصخور مشققة والقبور مفتوحة والأموات حية قائمة من قبورها. فكيف يتصور أن تذهب اليهود إلي بيلاطس وهم مشاهدون لهذه العجائب التي كانت بعد موته، ويقولون له عنه: إنه كان مضلا مع أن بيلاطس ماكان راضيا بقتله من أول الأمر كما علمت؟ فلو كانت هذه الأمور واقعة ورآها بيلاطس؛ لكان كذبهم في قولهم عنه إنه كان مضلا -العياذ بالله تعالى- لأن هذه العجائب لا تصدر لأجل موت رجل مضل.

الثالث: إن هذه الأمور آيات عظيمة. فلو وقعت لكان آمن كثير من الروم و اليهود في ذلك الوقت، علي ما جرت به العادة ألا تري أنه لما نزل روح القدس علي الحواريين وصاروا يتكلمون باللسنة

مختلفة تعجب الناس وآمن منهم نحو ثلاثة آلاف رجل علي ما هو مصرح به في الأصحاح الثاني من كتاب أعمال الرسل. وهذه الأمور التي صدرت عند صلب المصلوب أعظم من القدرة علي التكلم بالسنة مختلفة. قال الفاضل نورتن في كتابه بعد أن نقل عبارة متي هكذا: "هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعد ما صارت أورشليم خرابا. فعمل أحدا كتبها في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متي، وأدخلها الكتاب في المتن، ثم وقع هذا المتن في يد المترجم فترجمها علي حسبه" انتهى.

قلت: وهذا القول هو عين الحق و الانصاف، وعليه المعول، ولا يلتفت إلي غيره.

الغظ السابع والعشرون: في العدد السادس و الثلاثين من الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا أن شالحي بن قينان بن أرفكشاد. وهذا غلط يقينا لأن شالحي بن أرفكشاد لا ابن ابنه. كما يعلم ذلك من الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ومن الأصحاح الأول من سفر أخبار الأيام الأول، بل لا يوجد لهذا الاسم ذكر في كتب العهد القديم في الأصل العبراني، ولا ترجيح لغيره عليه لأنه الأصل. قال شارح الأنجيل القس سمعان كلهون في الصفحة السبعين، من كتابه المسمي اتفاق البشير ودليل المسترشدين، المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٦ من الميلاد هكذا: "ان قينان المذكور بعد أرفكشاد ليس له ذكر في العهد القديم في الأصل العبراني. فالظاهر أنه قد دخل في إنجيل

لوقا من غفلة أحد النساخ" انتهى. قلت: ولقد أنصف هذا القسيس باعترافه أن هذا الجيل دخل زائدا في الإنجيل، وهذا من التحريف بالزيادة. فتأمل.

الغلط الثامن والعشرون: في العدد الخامس والعشرين من الأصحاح الثاني من إنجيل مرقس نقلا عن كلام المسيح عليه السلام هكذا: "فقال لهم: أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله في أيام أبياثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا" انتهى.

ففي هذين العديدين ثلاثة اغلاط:

الأول: أن داود عليه السلام حين جاع ودخل بيت الله، كان منفردا وما كان معه أحد فقوله: "والذين كانوا معه" غلط.
الثاني: قوله: "وأعطى الذين كانوا معه" غلط أيضا؛ لأنه لم يكن معه أحد.

الثالث: أن رئيس الكهنة الذي كان في تلك الأيام الذي أعطى داود عليه السلام خبز التقدمة والموجود؛ هو أخيمالك لا أبياثار وأما أبياثار فهو ابن أخيمالك. كما يعلم ذلك كله من الأصحاح الحادي والعشرين والثاني والعشرين من سفر صموئيل الأول. وعلماء بروتستنت قد اعترفوا بالغلط الثالث إلا شارح الاناجيل القس سمعان كلهون فإنه أجاب عنه بجواب بارد لا يلتفت إليه.

الغلط التاسع والعشرون: في العدد التاسع عشر من الأصحاح التاسع من الرسالة العبرانية لبولس هكذا: "لأن موسى بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والثيران مع ماء وصوفا قرمزيا وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً هذا هو دم العهد^(١) الذي اوصاكم الله به والمسكن أيضاً وجميع آنية خدمته رشها كذلك بالدم، وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم" انتهى.

وهذا القول غلط أيضاً لوجوه:

الأول: أنه ما كان دم العجول والثيران، وإنما الذي كان دم الثيران فقط. والثيران جمع ثور وهو الواحد من البقر.

الثاني: أن الدم ما كان في هذه المرة مع ماء وصوف قرمزي وزوف وإنما الذي كان هو الدم فقط.

الثالث: أن موسى عليه السلام ما رش علي الكتاب نفسه ولا علي جميع آنية الخدمة بل رش نصف الدم علي المذبح ونصفه الآخر علي

(١) في التوراة أن بنى إسرائيل لما خرجوا من مصر مع موسى ﷺ اتجهوا إلى جبل الطور. وقال الله لهم: هل توافقون على أن أنزل عليكم شريعة تجاهدون بها الأمم وتمحون بها عبادة الأصنام؟ وردوا بقولهم: "كل ما تكلم به الرب فإياه نفعل" عندئذ جعل لموسى ميقاتاً أربعين ليلة هو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل ليعمل معهم عهداً. فأخذ موسى الشيوخ وصعد إلى الجبل ونزل فعمل مراسيم وشعائر العهد الذي هو أيضاً الميثاق - ورش الدم... إلخ. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أى أنهم لما قالوا سمعنا وإياه نفعل؛ وانقهم.

الشعب كما يعلم ذلك صراحةً من العدد الثالث إلي العدد التاسع من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج وعبارته فيه هكذا: "فجاء موسي وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسي جميع أقوال الرب وبكر في الصباح وبني مذبحة في أسفل الجبل واثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثني عشر، وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسي نصف الدم ووضع في الطسوس ونصف الدم رشه علي المذبح وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا: كل ماتكلم به الرب نفعل و نسمع له، وأخذ موسي الدم ورش علي الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم علي جميع هذه الاقوال" انتهى.

الغبط الثلاثون: في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني من إنجيل متي هكذا: "وكان هناك إلي وفات هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: من مصر دعوت ابني" انتهى.

والمراد بالنبي القائل: هوشع عليه السلام وأشار متي الإنجيلي إلي العدد الأول من الأصحاح الحادي عشر من كتاب هوشع المذكور، وهذه الإشارة غلط. ولا علاقة لهذا العدد بالمسيح عليه السلام فإن ذلك العدد في ذاك الكتاب نصه هكذا: "إن إسرائيل منذ كان غلاماً أنا احببته ومن مصر دعوت أولاده" على ما في النسخة العربية المطبوعة سنة

١٨١١ من الميلاد. فالإنجيلي حرف صيغة الجمع بالفرد، وضمير الغائب بالمتكلم. فقال ما قال وكذلك اصحاب التراجم المطبوعة بعد تلك الترجمة قد حرفوا أيضا صيغة الجمع وضمير الغائب بالمتكلم في كتاب هوشع؛ لتوافق عبارته عبارة الإنجيل لكن لا تخفى خيانتهم على من طالع الأصحاح المذكور في الكتاب المرقوم فإنه وقع في حق المدعويين من مصر بعد ذلك العدد هكذا: "كلما دعوا ولوا وجوههم وذبخوا للبعاليم وقربوا للأصنام"

وهذه الأمور لا تصدق على المسيح عليه السلام فإنه ما ذبح للبعاليم ولا قرب للأصنام. والحق أن هذه العبارة قيلت في حق بنى إسرائيل الذين كانوا في مصر تحت طاعة فرعون.

ومما يستحق الذكر ها هنا ما يعلم من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام ما ذهب إلى مصر مدة حياته حتى يدعى منها؛ فإنه صريح كلامه أن بعد ما تمت مدة نفاس السيدة مريم ذهبت به مع يوسف النجار إلى أورشليم وبعد تقديم الذبيحة رجعا به إلى ناصرة الجليل وأقاما فيها وكان يذهبان إلى أورشليم في أيام العيد من كل سنة، ولما بلغ عمره اثني عشر سنة صعد إلى أورشليم وأقام فيها ثلاثة أيام بغير اطلاع أبويه جاء إلى أورشليم وأخذاه ونزلا به إلى الناصرة وأقام هناك خاضعا لهما إلى أن عمّد بماء الأردن ونزل عليه روح القدس. كما يعلم ذلك من الأصحاح الثاني والثالث من إنجيل لوقا.

فعلى كلامه هذا: لا سبيل لذهابه الى مصر وإقامته فيها حتى يُدعى منها؛ فإن صريح هذا الكلام أن المسيح عليه السلام لم يسافر قط من أرض اليهود لا إلى مصر ولا إلى غيرها. فما في متى غلط يقينا. وحيث وصلتُ في النقل إلى الثلاثين غلطا التي أردت ذكرها؛ أكتفى عليها خوف الإطالة. والآن أسرع في ذكر الاختلافات الثلاثين التي وعدتُ في نقلها. فأقول:

الاختلاف الأول: يعلم من العدد الثالث عشر، من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن جادا أتى الى داود وأخبره قائلا: أن يكون علي أرضك سبع سنين جوعا. ويعلم من العدد الثاني عشر من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول أن الجوع يكون ثلاثة سنين. ففي الأول سبع سنين وفي الثاني ثلاثة سنين. ومفسرو المسيحيين قد اعترفوا بأن الأول غلط. وفي هاتين العبارتين اختلاف آخر في الوباء. ففي الأولي يكون الوباء في أرض داود ثلاثة سنين وفي الثانية ثلاثة اشهر. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف الثاني: يعلم من العدد الثامن من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني أن يهوياكين حين ملك كان ابن ثمانى عشرة سنة ويعلم من العدد التاسع من الأصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني أنه ابن ثمانى سنين فقط حين ملك. فبينهما اختلاف صريح والثاني غلط يقيناً كما اعترف بذلك مفسروهم. قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره في شرح هذه العبارة هكذا: "وهذه

العبارة غلط البتة لأن سلطنته كانت الي ثلاثة أشهر ثم ذهب الي بابل أسيراً وكان في الحبس وأزواجه معه. والغالب أنه لا يكون لابن ثمانين سنين أزواجا. ويشكل أيضاً أن يقال لمثل هذا الصغير أنه فعل ما كان قبيحاً عند الله. كما صرح بذلك في أصحاب أخبار الأيام المذكور. فهذا الموضوع من هذا السفر محرف البتة" انتهى.

قلت: وهذا القول هو عين الحق والانصاف.

الاختلاف الثالث: في العدد الرابع من الأصحاح العشرين من سفر الخروج في خطاب موسى عليه السلام وقومه هكذا: "لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض" وهذا مخالف لما جاء في العدد الثامن عشر من الأصحاح الخامس والعشرين من السفر المذكور في خطاب موسى عليه السلام أيضاً هكذا: "فاصنع كروبيين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما علي طرفي الغطاء وتصنع كروباً واحداً علي الطرف من هنا وكروباً آخر علي الطرف من هناك. من الغطاء تصنعون الكروبيين علي طرفيه، ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلي فوق مظللين بأجنحتهما الغطاء ووجهاهما كل واحد إلي الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبيين" انتهى. فبينهما اختلاف صريح أحدهما غلط والأقرب أنه الثاني؛ فتأمل.

الاختلاف الرابع: يعلم من العدد الأول من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن الرب ألقي في قلب داود عليه

السلام أن يحصي بني إسرائيل ويعدّهم، ويعلم من العدد الأول، من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني أن الذي ألقى ذلك في قلب داود عليه السلام إنما هو الشيطان. والعياذ بالله تعالى. وحيث كان عندهم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الشر؛ لزم الاختلاف القوي بين هاتين العبارتين.

الاختلاف الخامس: في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الرابع من سفر الملوك الأول هكذا: "وكان لسليمان أربعون ألف مزود لخيول مركباته واثنان عشر ألف فارس" وفي العدد الخامس والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الثاني هكذا: "وكان لسليمان أربعة آلاف مزود خيل ومركبات واثنان عشر ألف فارس" انتهى. فبينهما اختلاف صريح. وصاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ من الميلاد قد حرف عبارة سفر أخبار الأيام فبدل أربعة آلاف بأربعين ليوفق بين العبارتين. وهذه سجية فيهم لا يرجي تركها منهم. كما قال تعالى في سورة المائدة في حق أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ والفاضل آدم كلارك قد نقل في تفسيره اختلاف التراجم ذيل عبارة سفر الملوك، ثم قال: الأحسن أن نعترف بوقوع التحريف في هذه الأعداد نظراً إلى هذه الاختلافات. انتهى.

الاختلاف السادس إلى الاختلاف العاشر: من قابل بيان نسب المسيح عليه السلام المدروج في الأصحاح الأول من إنجيل متي ببيان النسب المدروج في الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا وجد فيهما خمس

اختلافات: الأول: يُعلم من متي أن يوسف النجار ابن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي. الثاني: يعلم من متي أن السيد المسيح عليه السلام من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام ويعلم من لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود عليه السلام. الثالث: يعلم من متي أن شالتييل بن يكتنيا، ومن لوقا أنه ابن نيري. الرابع: يعلم من متي ان اسم ابن زربابل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريسا. وقد عرفت أن أسماء أولاد زربابل مصرح بها في الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول ولم يوجد فيهم أحد اسمه أبيهود ولا ريسا. كما قد علمت ذلك في الغلط السابع. والحق أن كليهما غلط. الخامس: يعلم من متي أن من داود إلي المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً، ويعلم من لوقا أنهم إحدى وأربعون جيلاً. ولما كانت هذه الاختلافات ظاهرة البيان تحير فيها علماء المسيحيين من زمان اشتهار هذين الإنجيلين إلي هذا اليوم، الذي نحن فيه. غير أن بعضهم وجه بعضها بتوجيهات ضعيفة لا يلتفت إليها. ولذلك اعترف بعض محققهم بأن هذين الإنجيلين مختلفان اختلافاً معنوياً. وهذا هو عين الحق والإنصاف.

الاختلاف الحادي عشر: في العدد التاسع عشر من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا: "أن اليهود أرسلت من أورشليم كهنة ولاويين إلي يوحنا المعمدان ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر أنني لست أنا المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ أييليا أنت؟ فقال: لست أنا النبي أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن

نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية. قَوْمُوا طريق الرب كما قال
إشعيا النبي. وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له: فما بالك
تعتمد إن كنت لست المسيح ولا إيلياء ولا النبي؟" انتهى. قلت: والمراد
بيوحنا المعمدان سيدنا يحيى عليه السلام و قوله لست أنا إيلياء مخالف
لقول المسيح عليه السلام الذي نقله متي في العدد الرابع عشر من
الأصحاح الحادي عشر من إنجيله في خطاب التلاميذ "وإن أردتم أن
تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي" ونقل أيضاً في العدد العاشر من
الأصحاح السابع عشر من إنجيله هكذا: "وسأله تلاميذه قائلين: فلماذا
يقول الكتبة إن إيلياء ينبغي أن يأتي أولاً فأجاب يسوع وقال لهم: إن
إيليا يأتي أولاً و يرد كل شيء، ولكن أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم
يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم
منهم. حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" انتهى.

فعلم من هذين القولين أن يوحنا المعمدان هو إيليا المزمع أن
يأتي. فلزم هذا التناقض الصريح بين قول يوحنا و قول المسيح عليهما
السلام فإن يوحنا قال عن نفسه لما سأله: لست أنا إيلياء والمسيح. قال
هو إيلياء. وههنا شيء آخر يجب التنبيه عليه. وهو أن عبارة يوحنا
الإنجيلي تدل صراحةً علي أن بني إسرائيل كانوا في عهد يحيى
والمسيح عليهما السلام ينتظرون ثلاثة أشخاص مرسلين: المسيح وإيليا
والنبي عليهم الصلاة والسلام فإن صريح هذه العبارة أن اليهود أرسلوا

جماعة من علماءهم حين ظهر سيدنا يحيى عليه السلام بمظهر النبوة والرسالة ليسألوه هل أنت المسيح أو إيلياء أو النبي؟

وقد ثبت عند غير اليهود من أهل الكتاب أن عيسى عليه السلام قد جاء وهو الموعود^(١) به في التوراة، وعرفت أن المسيح قد شهد ليحيى عليه السلام أنه هو إيلياء الموعود به. بقي حينئذ الثالث من المنتظرين وهو النبي أي المعهود الذي ذكره الله سبحانه لموسي عليه السلام في التوراة بقوله: "وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بني إخوتهم وأجعل كلامي في فمه" الخ. وقد أنجز الله سبحانه وتعالى الوعد وبعثه -و لله الحمد- نبياً أمياً خاتم الانبياء وأول الاصفياء. فما ادعاه أهل الكتاب من أنهم ما كانوا ينتظرون نبياً آخر غير المسيح وإيلياء عليهم السلام ادعاء باطل لا أصل له بشهادة الإنجيل ولا يلتفت إلي من قال إن النبي المسؤول عنه هو عين المسيح لأنه قول الذين في بحر الجهل يعمهون. ولقد جاء في العدد الأربعين من الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا أيضاً حين تعجب اليهود من تعاليم المسيح عليه السلام هكذا: "فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا: بالحقيقة هو النبي. آخرون قالوا: هذا هو المسيح، وآخرون قالوا: أ لعل المسيح من الجليل يأتي؟" انتهى.

(١) عيسى ليس هو النبي الموعود به في التوراة فإن المسيح والنبي في هذه الشهادة هما لقبان لواحد هو محمد ﷺ وإيلياء بحساب الجمل: هو اسمه المبارك؛ فإنه عدد إيلياء ٥٣ وعدد أحمد ٥٣.

وهذا القول أيضاً صريح في أن النبي عند أهل الكتاب غير المسيح. ولذلك قابلوه به، وأقاموا الدليل عليه بأن المسيح من الجليل يأتي؛ وهو من الجليل حقاً كما لا يخفي. فقد ثبت من هذا أيضاً أن المسيح غير النبي الموعود به في التوراة، و عرفت فيما تقدم آنفاً أن إيلياء هو سيدنا يحيى بشهادة المسيح عليه السلام فلا مجال حينئذ لإنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ وبعثته. ومن أنكرها كمن أراد أن يلقي غطاءً ليستر ضوء النهار. وهذا الدليل وحده كافٍ شافي بالنسبة إليهم فما بالك إذا كان غالب أصحابات كتبهم المقدسه تشير إلي نبوته تصريحاً وتلويحاً. ولولا ضيق المقام لذكرت لك شيئاً من ذلك بهذه المناسبة، لكن لما كان هذا الأمر مفروغاً منه ولا يحتاج الى زيادة بيان لثبوت نبوته كطلوع الشمس وهى فى رابعة النهار؛ نكتفى على هذا القدر، ونرجع الى ما كنا فيه فنقول:

الاختلاف الثانى عشر: كتب متى فى العدد الأول من الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيله أن المسيح عليه السلام " لما ذهب إلى اورشليم وقرب من بيت فاجى أرسل اثنين من تلاميذه إلى القرية المذكورة ليأتيا له بأتان كانت مربوطه هناك وجحشاً معها فأتيا له بهما وركب عليهما وكتب بقية الإنجيليين ليأتيا له بالجحش فقط فأتيا به وركب عليه"

فبين القولين اختلاف صريح فراجعهما إن شئت.

الاختلاف الثالث عشر: نقل متى فى العدد الثامن عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام لما كان راجعاً من بيت عنيا إلى أورشليم؛ جاع. فنظر على الطريق شجرة تين فجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها: لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد. فيبست التينة فى الحال" انتهى. وكتب مرقس فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر، وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا؛ جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد، وكان تلاميذه يسمعون. وجاء إلى أورشليم. ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول. فتذكر بطرس وقال له: يا سيدى انظر إلى التينة التى لعنتها قد يبست" انتهى ملخصاً.

فى هاتين العبارتين اختلاف صريح. وفيه أمور أخرى راجعها فى كتاب إظهار الحق إن شئت.

الاختلاف الرابع عشر: كتب متى فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام جاء إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه بماء الأردن التى لتكفير الخطايا ولكن منعه يوحنا قائلاً: إني محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى؟ فأجاب يسوع وقال: اسمح

الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل برّ. حينئذٍ سمح له. فلما تعمّد يسوع صعد للوقت من الماء، فنزل عليه روح القدس شبه حمامة. وفي اليوم الثاني والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا نقلاً عن كلام يوحنا المعمدان عليه السلام هكذا: "وشهد يوحنا قائلاً: إني قد رأيت الروح عليه نازلاً مثل حمامة في السماء فاستقر عليه وأنا لم اكن أعرفه. لكن الذي ارسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي تري الروح نازلاً و مستقراً عليه. فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" انتهى. وجاء في العدد الثاني من الأصحاح الحادي عشر من إنجيل متي هكذا: "يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه. وقال له: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟" انتهى. فبين هذه العبارات الثلاثة اختلاف صريح. فإنه يُعلم من العبارة الاولى أن يوحنا المعمدان كان يعرف المسيح عليهما السلام قبل نزول الروح عليه. ولذلك امتنع أولاً من تعميده، ويعلم من العبارة الثانية، أنه ما كان يعرفه إلا بعد نزول الروح عليه، ويعلم من الثالثة أنه لم يكن يعرفه لا قبل نزول الروح عليه ولا بعدها. ولذلك أرسل إليه في آخر حياته اثنين من تلاميذه، وسأله "هل أنت هو الآتي الموعود به أم ننتظر آخر سواك؟" فبين العبارات الثلاث تناقض و اختلاف واضح؛ فتأمل.

الاختلاف الخامس عشر: كتب متي في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح العشرين من إنجيله أن المسيح عليه السلام لما خرج من أريحا وجد أعميين جالسين في الطريق؛ فلمس أعينهما فلوقت أبصرت

أعينهما. وكتب مرقس في العدد السادس والاربعين من الأصحاح العاشر من إنجيله ولوقا في العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الثاني عشر من إنجيله أن الذي وجده المسيح جالساً علي الطريق أعمي واحداً فقط. فشفاه من العمي. وبين لوقا ومرقس اختلاف آخر في هذه الحادثة فإن لوقا ينص علي أن شفاء هذا الأعمي كان لما اقترب المسيح عليه السلام من أريحا. ومرقس يقول: إنه كان لما خرج منها. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف السادس عشر: يعلم من متي في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثامن من إنجيله أن المسيح عليه السلام لما جاء إلي العبر كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما. ويعلم من مرقس في العدد الثاني من الأصحاح الخامس من إنجيله، ومن لوقا في العدد السابع والعشرين من الأصحاح الثامن من إنجيله أن الذي استقبله وقتئذ مجنون واحد فقط من القبور. فبين هؤلاء الثلاثة اختلاف صريح. فراجعهم ان شئت.

الاختلاف السابع عشر: يعلم من العدد العاشر من الأصحاح العاشر من إنجيل متي، ومن العدد الثالث من الأصحاح التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام أوصي تلاميذه حين أرسلهم إلي خراف بيت إسرائيل الضالة أن لا يحملوا شيئاً للطريق حتي العصي لا يحملوها. ويعلم من العدد الثامن من الأصحاح السادس من إنجيل مرقس أنه كان

منعهم عن حمل كل شيء إلا العصا فقط. فإنه أجازهم أن يحملوها.
فبين القولين تناقض واختلاف صريح.

الاختلاف الثامن عشر: في العدد الحادي و الثلاثين من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا هكذا: "ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً" انتهى. وفي العدد الرابع عشر من الأصحاح الثامن من هذا الإنجيل أيضاً هكذا: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق" انتهى. فبين هذين القولين اختلاف عظيم نفيًا وإثباتًا.

الاختلاف التاسع عشر: في العدد الثامن من الأصحاح العاشر من رسالة بولس الأولي إلي أهل كورنثوس هكذا: "ولا تزن كما زنا أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً" و هذا الخبر مخالف لما في العدد التاسع من الأصحاح الخامس و العشرين من سفر العدد؛ فإن نصه هكذا "وكان من مات أربعة و عشرين ألفاً من البشر" انتهى. ففيهما اختلاف بمقدار ألف. وأحدهما غلط. وهو الثاني يقيناً.

الاختلاف العشرون: كتب متي في العدد السابع عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله قول المسيح عليه السلام في حق بطرس الحواري -الذي هو أعظم الحواريين- هكذا: "فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سِمعان بن يونا إن لحماً و دماً لم يُعلن لك. لكن أبي الذي في السموات، وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس. وعلي هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوي عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات؛ فكل ما تربطه علي الأرض يكون مربوطاً في السموات،

وكل ماتحملة علي الأرض يكون محلولاً في السموات" انتهى. ثم كتب في العدد الثالث و العشرين من هذا الأصحاح المذكور قول المسيح عليه السلام في حق بطرس أيضاً هكذا: "فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" انتهى. ففي هذين القولين اختلاف عظيم. وقد نقل علماء بروتستانت في رسائلهم أقوال القدماء من المسيحيين في ذم بطرس الحواري. فمن ذلك قولهم: إن يوحنا فم الذهب صرح في تفسيره الذي علي إنجيل متي هكذا: "إن بطرس كان به داء التجبر والمخالفة الشديدة وكان ضعيف العقل" انتهى. وقالوا: "إن إكستائين كان يقول: "إن بطرس كان غير ثابت لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً" انتهى. قلت فإذا كان بطرس متصفاً بهذه الصفات. أيجوز أن يكون مالكاً لمفاتيح السموات، وأن ما ربطه علي الأرض يكون مربوطاً في السموات، وما حله علي الأرض يكون محلولاً في السموات؟ وكيف يكون هذا هو الصخرة والأساس لكنيسة المسيح عليه السلام؟ وكيف أن لا تقدر أبواب النيران علي إدخال الموصوف بكونه شيطاناً الذي كان للمسيح عليه السلام، معثرة ويهتم بما للناس، ولا يهتم بما لله؟ أيكون مثل هذا أعظم الحواريين وإذا كان حال الأعلي هكذا، فكيف كان حال الأنبي منهم؟ وإذا كان كلهم هكذا أيؤخذ بما يخبرون، ويعول علي ما يقولون؟ حاشا. وما قلت هذا إلا لأجل الإلزام فقط. وأما اعتقادي فينزه جميع الحواريين عن هذه الأوصاف وأمثالها. فتنبه ولا تكن من القوم الغافلين.

الاختلاف الحادي والعشرين: في العدد الأربعين من الأصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متي بعد بيان مثل الكرم هكذا "فمتي جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأرباب يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلي كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها " انتهى. وفي العدد الخامس عشر من الأصحاح العشرين من إنجيل لوقا بعد بيان المثل المذكور هكذا: "فماذا يفعل بهم صاحب الكرم يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين و يعطي الكرم لآخرين؟ فلما سمعوا قالوا حاشاً" انتهى. فبين العبارتين اختلاف عظيم في هذا المثل الواحد. فإن متي يصرح أنهم قالوا إنه يهلكهم شر هلاك ولوقا يصرح أنهم أنكروا ذلك بقولهم حاشاً. وكلام لوقا يدل علي ان الكلام المذكور من كلام المسيح عليه السلام. وكلام متي يدل علي أنه من كلام اليهود الذين كانوا مخاطبين بهذا المثل. وفي هذا المثل اختلاف آخريين لوقا ومتي ومرقس. فإن متي يذكر أن رب البيت أرسل إلي الكرامين عبيداً "بصيغة الجمع" وأنهم ضربوا بعضاً منهم، وقتلوا بعضاً، و رجموا بعضاً. وأما مرقس ولوقا فلا يذكران إلا عبداً واحداً. وقد اعترف القس سمعان. كلهون شارح الأناجيل في نيل شرح هذا المثل بأن متي كان يدقق بذلك أكثر من لوقا ومرقس. فتأمل.

الاختلاف الثاني والعشرين: في العدد الثاني من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متي هكذا: "أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب" ثم قال في العدد السادس هكذا: "وفيما كان

يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن. فسكبته علي رأسه وهو متكئ. فلما رأي تلاميذه ذلك اغتاضوا قائلين: لماذا هذا الإلتلاف لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطي للفقراء؟ فعلم يسوع وقال: لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بي عملاً حسناً لأن الفقراء معكم في كل حين؟ الخ.

ووقعت هذه العبارة في العدد الأول من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل مرقس هكذا: "وكان عيد الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه، ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب. وفيما هو في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص وهو متكئ جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته علي رأسه. وكان قوم مغتاضين في أنفسهم فقالوا: لماذا كان تلف الطيب هذا؟ لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاث مائة دينار، ويعطي الفقراء. و كانوا يؤنبونها. أما يسوع فقال: اتركوها. لماذا تزعجونها؟ لقد عملت بي عملاً حسناً لأن الفقراء معكم في كل حين. ومتي زاد؛ تقدرون أن تعملوا بهم خيراً وأما أنا فلست معكم في كل حين" انتهى.

وفي العدد الأول من الأصحاح الثاني عشر من إنجيل يوحنا هكذا " ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلي بيت عنيا حيث كان "لَعَازَر" الميت الذي أقامه من الأموات؛ فصنعوا له هناك عشاء. وكانت

مرثا تخدم. وأما لعازر فكان من المتكئين معه. فأخذت مريم منّا من طيب ناردين خالص كثير الثمن، و دهنت قدمي يسوع، ومسحت قدميه بشعرها؛ فامتلاً البيت من رائحة الطيب. فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الأسخريوطي المزمع أن يسلمه: لماذا لم يبيع هذا الطيب بثلاث مائة دينار ويعط للفقراء؟ قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده و كان يحمل ما يلقي فيه. فقال يسوع: اتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته؛ لأن الفقراء معكم في كل حين، وأما أنا فلست معكم في كل حين" انتهى.

وفي هذه الأقوال اختلاف عظيم من خمسة أوجه :

الأول: أن مرقس ومتي يصرحان بأن إفراغ الطيب كان علي المسيح كان قبل الفصح بيومين، ويوحنا يصرح بأن هذا كان قبل عيد الفصح بستة أيام.

الثاني: أن متي ومرقس أخبرا بأن إفراغ الطيب كان علي رأس المسيح ويوحنا أخبر بأنه كان علي رجله حتي أن مريم مسحتهما بشعرها.

الثالث: أن مرقس يخبر بأن المعترضين كانوا أناساً من الحاضرين ومتي يفيد أنهم كانوا التلاميذ ويوحنا يشهد أن المعترض كان يهوذا الاسخريوطي أحد الحواريين الاثني عشر الذي كان أمين صندوق الجمعية و كان يسرق ما يلقي فيها بشهادة يوحنا الإنجيلي.

الرابع: أن يوحنا بين مقدار ثمن الطيب ثلاث مائة دينار، ومرقس بالغ فيه فقال أكثر من ثلاث مائة دينار، ومتي أبهم الثمن. فقال: بثمان كثير.

الخامس: أنهم اختلفوا في نقل قول المسيح للمعترضين علي مريم التي أفرغت هذا الطيب؛ فتأمل وكن من المنصفين.

الاختلاف الثالث والعشرون: كتب متى في العدد السابع والأربعين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيله في بيان كيفية قبض اليهود على مسيح النصارى للصلب هكذا: "وفيما هو يتكلم إذ يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً: الذي أقبله هو هو. أمسكوه. فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدى وقبّله فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه " انتهى. وفي العدد الثالث من الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفرّيسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح؛ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه. وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصرى. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم. فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم ايضاً من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصرى. اجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو. فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء

يذهبون. فقبضوا عليه وأمسكوه" انتهى. فانظروا أيها العقلاء الى هذا الاختلاف الصريح فى كيفية مسك المسيح. أكون مثل هذا بوحى وإلهام؟

الاختلاف الرابع والعشرون: كتب متى فى العدد الثالث من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيله قصة موت يهوذا الأسخريوطى الذى أسلم المصلوب لليهود هكذا: "حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين؛ ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلّمت دماً برياً. فقالوا: ماذا علينا؟ أنت ابصر. فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقها فى الخزانة؛ لأنها ثمن دم؛ فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء. لهذا سُمّي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم " انتهى.

ونقل لوقا هذه القصة من قول بطرس الحواري فى العدد السادس عشر من الأصحاح الأول من كتاب الأعمال ببيان آخر مخالف لما ذكره متى من وجهين:

الأول: إن متى يفيد أن يهوذا الأسخريوطى خنق نفسه ومات، بخلاف كتاب الأعمال فإنه يفيد أنه سقط علي وجهه، وانشق بطنه من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها، ومات.

الثاني: إن متى يفيد أن رؤساء الكهنة أخذوا ثلاثين درهماً من الفضة التي ألقاها يهوذا فى الهيكل، واشتروا بها حقل الدم بخلاف

كتاب الأعمال فإنه يفيد أن يهوذا هو الذي اشترى الحقل لنفسه فبين
الكلامين اختلاف صريح أحدهما غلط لكن وقع في كتاب الأعمال بعد
نقل هذه القضية هكذا: " وهذا معلوم لجميع سكان أورشليم. فالذي
يظهر من هذا: أن الصحيح قوله. وما نقله متي غلط. قال صاحب
إظهار الحق:

ويدل علي كونه غلط وجوه أخرى أيضاً:

الأول: إنه صرح في عبارته بأن يهوذا رد الثلاثين من الفضة إلي
رؤساء الكهنة والشيوخ في الهيكل. وهو غلط لأن الكهنة والشيوخ
كانوا في هذا الوقت عند بيلاطس البنطي، و كانوا يشتكون إليه في أمر
مسيح النصاري المزمع أن يصلب، وما كانوا في الهيكل. كما يدل
علي ذلك العدد الثاني من هذا الأصحاح نفسه.

الثاني: سياق عبارة هذا الأصحاح تدل علي أن قصة موت يهوذا
أجنبية محضة بين العدد الثاني والعدد الخامس عشر من هذا
الأصحاح.

الثالث: إن موت يهوذا كان في صباح الليل الذي أسر فيه مسيح
النصاري للصلب، وبعيد جداً أن يندم علي فعله هذا في هذه المدة
القليلة ويخنق نفسه لأنه كان عالماً قبل تسليمه أن اليهود إذا قبضوا
عليه يقتلونه، بل ما سلمه إلا لهذا الأمر " انتهى بتصرف. وهو ما
يستحق الاعتبار. والذي يقال إن كلا العبارتين غلط، والذي صلب إنما
هو الذي دل عليه يقيناً. كما قال تعالي في حق المسيح عليه السلام:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَتَيْنَا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾

واختلاف عبارة متي وعبارة كتاب أعمال الرسل في كيفية موت يهوذا الأسخريوطي الذي دل عليه؛ دليل واضح على ذلك.

الاختلاف الخامس والعشرون: كتب مرقس في العدد الخامس والعشرين من الأوصاح الخامس عشر من إنجيله في بيان الوقت الذي صلب فيه المصلوب هكذا: "و كانت الساعة الثالثة فصلبوه" وصرح يوحنا في العدد الرابع عشر من الأوصاح التاسع عشر من إنجيله أن المصلوب كان إلى الساعة السادسة عند بيلاطس البنطي. فبينهما اختلاف عظيم في وقت صلب المصلوب. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف السادس والعشرون: كتب متي في الأوصاح السابع والعشرين من إنجيله و مرقس في الأوصاح الخامس عشر من إنجيله ان اللصين الذين صلبا مع المصلوب كانا يُعَيَّرَانِه وكتب لوقا في العدد التاسع والثلاثين من الأوصاح الثالث والعشرين من إنجيله أن أحدهما هو الذي عير المصلوب، والآخر زجره، وقال للمصلوب: "اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك. فقال له المصلوب: إنك اليوم تكون معي في الفردوس" فبينهما تناقض و اختلاف صريح.

وقوله "اليوم تكون معي في الفردوس" غلط من وجهين:

الأول: إن المصرح به في عقائد المسيحيين أن المسيح ماصعد إلى الفردوس إلا بعد أن دخل الجحيم، ومكث فيه ثلاثة أيام، ثم صعد. فقوله "اليوم تكون معي في الفردوس" غلط على أصولهم.

الثاني: إن هذا اللص المخاطب كان مصلوباً و معلقاً علي خشبة ولا يصح للمعلق علي خشبة ان يدخل جنة الفردوس -علي حكم كتبهم المقدسة- فلقد جاء في العدد الثالث و العشرين من الأصحاح الحادي و العشرين من سفر التثنية هكذا: "وإذا كان علي إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلق علي خشبة؛ فلا تبت جثته علي الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله" انتهى. ومعني الملعون من الله المطرود من رحمة الله. فإذا كان هذا مطروداً من رحمة الله، فكيف يدخله جنته؟ وجاء في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من رسالة قديس المسيحيين بولس إلي أهل غلاطيه هكذا: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من علق علي خشبة" انتهى. قلت: ولما كان هذا القول بيناً واضحاً لم يحتج إلي زيادة بيان. فتأمل.

الاختلاف السابع والعشرون: كتب متي في العدد السادس والأربعين من إنجيله هكذا: "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وكتب مرقس في العدد الرابع والثلاثين من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله هكذا: "وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوي إلوي لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وكتب لوقا في العدد السادس والأربعين من الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله هكذا: "ونادي يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك

أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح" انتهى. فبين هؤلاء الإنجيليين الثلاثة اختلاف صريح في نقل كلام المصلوب حين أسلم روحه؛ فتأمل.

الاختلاف الثامن والعشرون: كتب مرقس في العدد العشرين من الأصحاح السادس عشر من إنجيله أن النساء أتين إلى قبر المصلوب إذ طلعت الشمس، وكتب يوحنا في العدد الأول من الأصحاح العشرين من إنجيله أن الظلام كان باقياً، والتي جاءت امرأة واحدة. وهي مريم المجدلية أحد النساء المذكورات في مرقس. فبينهما اختلاف من وجهين فراجعهما إن شئت.

الاختلاف التاسع والعشرين: يعلم من كلام متي في الأصحاح الثامن والعشرين من إنجيله أن مريم المجدلية ومريم الأخري التي كانت معها لما ذهبتا إلى قبر المصلوب في وقت الفجر؛ وجدتا مَلَكاً عند القبر. فأخبرهما أن المصلوب قد قام من الأموات فرجعتا. وفيما هما راجعتان لاقاهما المصلوب في الطريق وسلّم عليهما وقال لهما: اذهبا وقولا لإخوتي أن يذهبوا إلي الجليل وهناك يرونني. ولما وصلتا إذ قوم من الحراس جاءوا إلي المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان؛ فاجتمعوا مع الشيوخ وتشااوروا، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم؛ فشاع هذا القول عند اليهود الي هذا اليوم" انتهى ملخصاً.

وكتب لوقا في الأصحاح الرابع و العشرين من إنجيله في بيان هذا الظهور: "أن مريم المجدلية ومريم الأخري ونساءً غيرهما كثيرات ذهبن إلي قبر المصلوب ولما وصلن إلي القبر دخلنه فلم يجدن فيه جسد المصلوب، وفيما هم مجتازون في ذلك رأين رجلين يعني مَكْنَيْن واقفين بثياب براقّة، فأخبراهن بقيام المصلوب من الأموات. ولما سمعن كلام الرجلين رجعن من عند القبر، وأتين إلي الأحد عشر، وبقيّة التلاميذ، وأخبرنهم بهذا كله. فترآي كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن" وكتب يوحنا في الأصحاح العشرين من إنجيله في بيان هذا الظهور أن مريم المجدلية وحدها جاءت إلي قبر المصلوب عند الفجر و الظلام باقٍ؛ فوقفت عند القبر تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلي القبر فنظرت ملكين بثياب بيض جالسين، واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين فقالا لها يا امرأة: لماذا تبكين؟ قالت لهما: إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا الكلام التفتت إلي الورااء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع فقال لها يسوع: اذهبي إلي إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلي أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا" انتهى ملخصاً فبين الثلاثة اختلاف عظيم. ومن رجع إلي هذه الأناجيل وطالع فيها هذه القضية، يري فيها العجب العجائب.

الاختلاف الثلاثون: في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع من إنجيل متي هكذا: "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلي

الحياة" وفي العدد الثامن والعشرين من الأصحاح الحادي عشر من هذا الإنجيل هكذا: "تعالوا يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأن نيري هين وحملتي خفيف" انتهى. فإذا صار ضم هذين القولين يحصل منهما أن الاقتداء بمسيح النصاري ليس طريقاً يؤدي إلي الحياة لأن الطريق التي تؤدي إلي الحياة ضيقة وحملها ثقيل وليس بخفيف علي حكم القول الأول.

ولما وصلت في النقل إلي الثلاثين اختلافاً التي اردت ذكرها؛ اكتفيت عليها خوفاً من التطويل. ومن أراد أزيد من ذلك فليتصفح الكتب المطولة في هذا الفن، يجد فيها اختلافات وأغلاط أخرى، كادت أن لا تحصي من كثرتها. والفاضل صاحب إظهار الحق ذكر ما ينوف عن مائة غلط وأكثر من مائة اختلاف، بينها بيانات واضحة تشفي العليل و تروي الغليل. إذا علمت ما قررناه يتضح لك جلياً أن ما سلكه صاحب البرهان في مقالته السالفة من إنكاره علي من قال بتحريف التوراة والإنجيل غلط يقيناً. فإنه قد ثبت لك وقوع ذلك فيهما بشهادة برهان الحسن والمشاهدة. وقد جاءنا الكتاب والسنة شاهدان علي ذلك أيضاً. وكفانا ذلك شاهداً ودليلاً.

تسليم المسلم بصحة التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: " فإذا ثبت أن القرآن نفسه يسلّم بصحة التوراة والإنجيل، وأنه لا يشير إلي وقوع التغيير والتبديل فيهما، وأن محمداً كان يذكر الكتابين المذكورين بغاية الوقار من غير إشارة إلي تغيير ونحوه؛ فلا يسع المسلم المجادل إن كان مسلماً إلا أن يُسلّم هو أيضاً بصحة هذين الكتابين، وأنهما سالمان من التبديل والتغيير والزيادة والنقص، وإلا فيكون قد كذّب نبيه، وكفر بالقرآن. ومتي كان كذلك؛ لا يكون مسلماً"

أقول: إن من يحدد التأمل ويمعن النظر فيما أسلفناه؛ يعلم بالبداهة واليقين أن ماسلكه صاحب البرهان هنا قد أخطأ فيه طريق الحق والصواب. فإن صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يشهد بتحريف هذه التوراة وهذا الإنجيل وتغييرهما، وذنم أهلها علي تحريفهما من غير توقير ولا تبجيل.

فقول صاحب البرهان إن القرآن لا يشير الي وقوع ذلك فيهما؛ غلط ومحض افتراء. وأي دليل أيها العاقل اللبيب أصرح من قوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ؟ وقوله تعالى: ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ إلي غير ذلك من الآيات. وكلها تدل علي أن أهل الكتاب قد حرقوا كلام الله وغيره وبدّلوه وكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله ثم قالوا إنه من عند الله حتي خلطوا الحق بالباطل

والصدق بالكذب. و تأمل قوله عليه الصلاة والسلام في خطاب المؤمنين: "لم تسألون أنتم منهم" أي من أهل الكتاب مع علمكم أن كتابهم محرف "فإن هذا الحديث الشريف صريح أيضاً في تحريف كتب أهل الكتاب وأن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- كانوا يعلمون ذلك وبمقتضى هذه النصوص الشريفة يجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله أن يرفض هذه الكتب وينكرها أشد الإنكار، وكل من يصدقها ويؤمن بجميع ما احتوت عليه ولم يعتقد وقوع التحريف والتغيير والتبديل فيها؛ يكون قد كذب نبيه و كفر بالقرآن. كيف لا وأن هذه الكتب التي عناها صياحب البرهان تصرح بتفسيق الأنبياء الكرام وتقصصهم وإهانتهم ونسبة الزنا والكفر إليهم والقرآن أنكرهم قد كسح جميع هذه الأباطيل و نزه ساحتهم عن ذلك كله ومدحهم وأثنى عليهم بالعصمة والزهادة والعفة وأخبر أنهم كانوا من الصالحين الطائعين الأخيار والصدّيقين الأبرار. ومعلوم للعاقل من الصبيان أن للفاسق فضلاً عن الكافر و الملعون لا يكون من الصديقين ولا من الصالحين الطائعين. نسأله تعالى أن يجعلنا من القوم المهتدين و نستعِذ به أن نكون من القوم الضالين الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، ويقولون علي الله ما لا يعلمون ﴿وَلَكِ يَلْعَنَهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعُنُونَ﴾

تفسير الآيات القرآنية في تحريف التوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل:

نعم ورد في بعض آيات القرآن ذكر تحريف أهل الكتاب التوراة والإجيل بتبديل الألفاظ أو إدخال الزيادة والنقص فيهما، ولكننا إن راجعنا الآيات المذكور فيها أمر التحريف بالتأمل والإصاف دون تعصب واعتساف نجد معناها لا يفيد تغيير الألفاظ بل يفيد تغيير أهل الكتاب كلام الله علي غير مقتضاه. ولكي يتضح لك الأمر أتم اتضاح ويفصح عما في ضمير تلك الآيات أتم إفصاح؛ أوردنا لك الآيات التي يستند عليها أهل الإسلام في دعواهم هذه. أما الآية الأولى: فهي قوله في سورة البقرة ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وأما الآية الثانية: ففي سورة النساء ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وأما الآية الثالثة: ففي سورة المائدة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرَ بِهِ﴾ وأما الآية الرابعة: ففيها أيضا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ فالتحريف لم يذكر الا في هذه ^(١) الآيات. ولنرجع

(١) القسيس يغالط. فإن من بعد مواضعه: تحريف لفظي. وعن مواضعه: تحريف معنوي. وتعتمد ترك الآية ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ وهذا تحريف لفظي بوضع كلام بجانب الكلام الصحيح مثل وضع إسحق بجانب الوحيد.

إلى معنى التحريف في اللغة فنقول: التحريف في اللغة صرف وإمالة الشيء عن أصله كما ذكر. في تاج العروس. وقال في تفسير ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ إنه تغيير الكلم عن مواضعه. إنه تغيير الكلم عن معانيه الحقيقية. إذا علمت هذا تعلم أن التحريف ليس محصوراً في التبديل والإفساد والتغيير اللفظي كما تزعم العوام، بل كما يحتمل المعاني كذلك يحتمل الإمالة والصرف عن المقصود إلى معنى آخر من دون تغيير الألفاظ وتبديل الأحرف. ومتى دخل في الحجة الاحتمال سقط منها الاستدلال"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية الي أقرب طريق إن هذا القسيس صاحب البرهان بعد أن أنكر في مقالته السالفة وجود آية في القرآن المجيد تشير إلى تحريف التوراة والإنجيل قد اعترف في مقالته هذه بوجود آيات تدل صراحةً علي ذلك لكنه أنكر كون ذلك التحريف بتبديل الألفاظ وتغييرها وإدخال الزيادة والنقص فيها لأن الآيات التي أوردها هنا بلفظ التحريف.

والتحريف في اللغة كما يحتمل التحريف اللفظي الذي هو تبديل الألفاظ من الكتاب وتغييرها أو إدخال الزيادة فيه أو النقص منه؛ فكذلك يحتمل التحريف المعنوي الذي هو تفسير الآيات علي غير مقتضاها وتأويلها بما يشتهون. ثم قال: ومتى دخل في الحجة الاحتمال سقط منها الاستدلال. وهذا القول غلط منه أو تغليط. لأن الحجة، إذا دخلها

الاحتمال لا يسقط منها الاستدلال إلا إذا لم تقم قرينة علي تعيين المراد من أحد المعنيين.

ويوجد معنا قرائن علي أن التحريف اللفظي والتحريف المعنوي كلاهما مراد. فإن الآيات الواردة في ذلك قد تنوعت بحسب مسالك المحرفين المتنوعة فإنهم حرفوا بعض الآيات تحريفاً لفظياً وبعضها تحريفاً معنوياً. لكن لا نزاع بيننا وبين المسيحيين في وقوع التحريف المعنوي؛ لأنهم يسلمون صدوره عن اليهود في كتب العهد العتيق في تفسير العبارات التي هي إشارة في زعمهم إلي بعثة المسيح عليه السلام وألوهيته، وكذلك علماء بروتستنت يعترفون أنه وقع في العهد الجديد أيضاً من معتقدي البابا. كما أن معتقدي البابا يرمونهم بذلك رمية شديداً. فإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة لنا لإثبات التحريف المعنوي لعدم النزاع في صدوره عنهم، وإنما النزاع في التحريف اللفظي. وهذا الذي أنكر وقوعه صاحب البرهان وجعل الآيات القرآنية التي أوردناها بلفظ التحريف لا تدل عليه لاحتمالها المعنيين. كما عرفت.

وأنا أورد هنا أدلة تدل علي وقوع التحريف اللفظي في كتبهم وأنه مراد من الآيات القرآنية التي أوردناها فاقول:

الدليل الأول: أنه وردت أحاديث نبوية وآيات قرآنية أخرى تدل صراحة علي أن التحريف اللفظي مراد من آيات التحريف أيضاً. ومنه: قوله تعالى: **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**

﴿وقوله تعالى في سورة البقرة في حق أهل الكتاب أيضاً: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فهاتان الآيتان الشريفتان صريحتان في وقوع التحريف اللفظي و التبديل و الزيادة و النقصان وقال عليه الصلاة و السلام في خطاب المؤمنين: "لم تسألون أنتم منهم؟" أي من أهل الكتاب مع علمكم ان كتابهم محرف" وهذا الحديث الشريف أورده الامام البخاري^(١) في صحيحه عن ابن عباس حَبْر هذه الامة؛ فيجب المصير إليه. وهو نص صريح في التحريف اللفظي، يدل عليه منطوقه و مفهومه. فإن الكتاب لا يوصف بالتحريف المعنوي، وإنما يوصف به الشخص المحرف. وأما التحريف اللفظي فيوصف به الكتاب. فيقال: كتاب محرف. ولا يقال: شخص محرف. وكذلك قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ نص صريح في التحريف اللفظي. كما ذكره الإمام فخر الدين الرازي في نيل تفسير سورة النساء. و فرق هناك بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ وبين قوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ فالأول يدل علي أنهم كانوا يخرجون اللفظ من الكتاب أو يدخلونه فيه أو يبدلونه بما يشتهون. والثاني يدل علي أنهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص الشريفة. وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا حدثكم

(١) الإمام البخارى لا يثبت أن التوراة محرفة بتبديل اللفظ وإنما بالتأويل الفاسد.

أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم. ولكن قولوا آمنا بالذي أنزل علينا وعليكم وإلهنا وإلهكم واحد. ونحن له مسلمون" وقد غضب ﷺ حين رأى مع عمر قطعة من التوراة وقال: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟" فكل هذه الأخبار الشريفة صريحة في التحريف اللفظي بالتبديل والتغيير والزيادة والنقصان.

الدليل الثاني: أن آيات هذا القرآن المجيد تخالف غالب مضامين هذه التوراة وهذا الإنجيل. مثلاً: إنه ورد في الأصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول نسبة الكفر والعياذ بالله تعالى لسيدنا سليمان عليه السلام والقرآن المجيد قد نفاه. عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾^(١) كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ ۖ وكذا قد ورد في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج أن هارون عليه السلام صنع العجل وعبداه وأمر بني إسرائيل بعبادته والقرآن المجيد قد نزه ساحته عن ذلك وأخبر أن الذي فعل هذا إنما هو السامري. وكذلك ما نسب إلي بقية الأنبياء الكرام من الكذب والزنا وغير ذلك من الأمور التي لا تليق بهم قد نفاه القرآن الكريم عنهم ونزه ساحتهم عن ذلك كله، ومدحهم علي العصمة والزهادة والعفة. وجاء في العدد السابع عشر من الأصحاح الحادي والثلاثين من سفر الخروج من التوراة "أن الرب صنع السماء والأرض في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح وتنفس" وفي نسخة

(١) المراد بالشياطين علماء بني إسرائيل.

أخري قديمة: "واستلقي علي قفاه" والله سبحانه وتعالى قد نزه نفسه عن ذلك بقوله في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي تعب. فهذه الآية رد علي من زعم أن لله عز وجل لما خلق السموات والأرض في ستة أيام؛ استرح. وجاء هذا في الإنجيل المتداول أن المسيح عليه السلام قُتل وصلب وأهين وتآلم حتي استعاث بقوله: "إلهي إلهي لماذا تركتني" والقرآن المجيد نزه ساحته عن ذلك كله، وأخبرنا أن المسيح رفعه الله حياً إلي السماء طاهراً مطهراً من كل دنس وسوء، لم يمسه صلب ولا قتل ولا إهانة. قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وكذلك يزعمون أن في هذا الإنجيل التصريح بأن المسيح عليه السلام إله معبود، والقرآن المجيد يكفر من يقول ذلك بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وفي هذا القدر كفاية لذوي الألباب.

الدليل الثالث: قد علمت فيما تقدم بما لا مزيد عليه أن هذه التوراة وهذا الإنجيل مملوآن من الأغلاط والاختلافات. وما ذلك إلا بسبب وقوع التحريف اللفظي فيهما بالتغيير و التبديل و الزيادة والنقصان.

الدليل الرابع: قد عرفت فيما أسلفناه لك أن محققي المسيحيين ومفسريهم قد اعترفوا بوقوع التحريف اللفظي في كتبهم المقدسة. ولقد

صرح بذلك المتأخرون من الوثنيين والماديين والطبيعيين، وانهقد عليه إجماع أئمة المسلمين.

الدليل الخامس: أن التوراة التي أنزلها الله ﷻ علي موسى عليه السلام كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه. والموجود الآن عند أهل الكتاب ثلاثة. العبرانية وهي المعتمدة عند أهل اليهود وجمهور بروتستانت من المسيحيين. والسامرية وهي المعتمدة عند السامريين. واليونانية وهي التي كانت معتمدة عند سائر المسيحيين إلي القرن الخامس عشر من القرون المسيحية وكانوا إلي هذه المدة يعتقدون تحريف النسخة العبرانية وصحتها. وهي إلي هذا الزمان معتمدة عند الكنيسة اليونانية وعند كنائس المشرق أيضاً. وكل طائفة من هذه الطوائف الثلاثة تزعم أن النسخة التي عندها هي الصحيحة والغلط والاختلاف في الأخرى، وبين اليهود والسامرة نزاع طويل في ذلك وكل فرقة منها تدعي أن الأخرى هي التي حرقت التوراة تحريفاً لفظياً. وهذا الأمر مسلم عند التأمل، سيما في الجبل الذي أمر الرب ببناء الهيكل عليه؛ فإنه جاء في العدد الرابع من الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية من النسخة العبرانية هكذا: "فاذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً" وفي النسخة السامرية هكذا: "فاذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم اليوم في جبل جرزيم وشيدوها بالجص تشييداً" انتهى. فجرزيم وعيبال جبلان متقابلان. فالأول من جهة الجنوب، والثاني من جهة

الشمال. بينهما وطني، ومحل إقامتي مدينة نابلس. وهي محل إقامة فرقة السامريين أيضا ويزعمون أنها هي القدس الشريف. وهم لا يزيدون عن أربعين رجلاً أو خمسين. ورجالهم أكثر من نسائهم في كل حين. وهذا الاختلاف الذي بين النسخة العبرانية و النسخة السامرية صريح في وقوع التحريف اللفظي في التوراة. وكذلك اختلفت النسخ الثلاثة المذكورة في مدة الزمان الذي من خلق آدم عليه السلام إلي طوفان نوح عليه السلام. فعلي وفق النسخة العبرانية هي ألف وستمئة سنة وست وخمسون سنة، وعلي وفق اليونانية ألف ومئتان واثنان وستون سنة، وعلي وفق السامرية ألف وثلاثمئة وسبع سنين. فهذا اختلاف فاحش بين النسخ الثلاثة. لا يمكن التطبيق بينها وحيث كان نوح عليه السلام في زمن الطوفان ابن ستمئة سنة علي تصريح النسخ الثلاثة، وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وخمسون سنة؛ يلزم علي وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة. وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية. إذ ولادة نوح عليه السلام علي وفق العبرانية بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة، وعلي وفق اليونانية بعد موته بسبعمئة واثنين و ثلاثين سنة. ولأجل هذا الاختلاف الفاحش ما اعتمد يوسف المؤرخ المشهور على نسخة من هذه النسخ الثلاثة، واختار أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم. وكذلك اختلفت النسخ الثلاثة

فى مقدار الزمان الذى من طوفان نوح عليه السلام إلى وقت ميلاد إبراهيم عليه السلام. فعلى وفق العبرانية مائتان واثنان وتسعون سنة، وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنان وأربعون سنة، وعلى وفق اليونانية ألف سنة واثنان وسبعون سنة. وهذا اختلاف فاحش بينها لا يمكن تطبيقه. ولما كان ميلاد إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنين وتسعين سنة على وفق النسخة العبرانية، وعاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة على ما هو مصرح به فى العدد الثامن والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر التكوين؛ فيلزم على هذا ان يكون سيدنا إبراهيم حين مات سيدنا نوح عليهما السلام ابن ثمان وخمسين سنة.

وهو باطل باتفاق المؤرخين، وتكذبة النسخة اليونانية والسامرية؛ فإن ميلاد إبراهيم عليه السلام باعتبار النسخة الأولى بعد موت سيدنا نوح عليه السلام بسبعمائة واثنين وعشرين سنة، وباعتبار النسخة الثانية بعد موته بخسمائة واثنين وتسعين سنة. وقد زيد فى النسخة اليونانية بين أرفكشاد وشالح بطن واحد وهو قَيْنان، ولا يوجد هذا البطن فى العبرانية، ولا فى السامرية ولا فى السفر الأول من أخبار الأيام ولا فى تاريخ يُوسيفس اليهودى. غير أن لوقا الإنجيلى اعتمد على اليونانية؛ فزاد قَيْنان فى بيان نسب المسيح عليه السلام فيجب على ملة بروتستنت أن يعتقدوا صحة اليونانية ولا يرفضوها ويعتقدون صحة غيرها؛ لئلا يلزم عليه كذب انجيلهم أو يكونون ممن يؤمنوا

ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ولأجل اختلاف هذه النسخ الثلاثة فى مقدار الزمان المذكور؛ اختلف المؤرخون فيما بينهم، ونبذوا النسخ الثلاثة وراء ظهورهم وقالوا: إن الزمن المذكور ثلاثمائة واثنان وخمسون سنة، غير أن يوسيفس قال فى تاريخه: إن هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة. كما هو منقول عنه فى تفسير هنرى واسكات، واكستين أيضاً الذى كان من أعلم علماء المسيحيين فى القرن الرابع من الميلاد. وكذا اختلفت النسخ الثلاثة فى المدة التى من خلق سيدنا آدم عليه السلام إلى ميلاد سيدنا المسيح عليه السلام فعلى وفق العبرانية أربعة آلاف سنة وأربعة سنين، وعلى وفق السامرية أربعة آلاف وسبعمائة سنة، وعلى وفق اليونانية خمسة آلاف وثمانمائة واثنان وسبعون سنة.

ونقل هنرى واسكات فى المجلد الأول من تفسيره عن المحقق هيلز: إن هذه المدة خمسة آلاف سنة وأربعمائة وإحدى عشر سنة. وجارلس روحير نقل فى كتابه خمسة وعشرين قولاً من أقوال المؤرخين فى بيان هذه المدة. وقد نقل ترجمتها عن صاحب إظهار الحق، وقال إنه اعترف أنه لا يطابق قول منها الآخر، وإن تميز الصحيح منها عن الغلط؛ محال. وهذا البحث يكفى اللبيب شاهداً على تحريف جميع نسخ التوراة تحريفاً لفظياً.

وكذلك الإنجيل الطاهر الذى أنزله الله على المسيح عليه السلام كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه، والموجود الآن عند المسيحيين

أربعة أناجيل، ورسائل أخرى مجموعة في مجلد واحد. أحدهما إنجيل متى والثاني إنجيل مرقس والثالث إنجيل لوقا والرابع إنجيل يوحنا والرسائل الأخرى. بعضها ينسب لرجل اسمه بولس ظهر في أواخر القرن الأول من القرون المسيحية، وبعضها ينسب إلى رجال آخرين. بعضهم من غير الحواريين، وبعضهم من الحواريين قد ألف كل من هؤلاء إنجيلاً على حسب دعوته. وهى مختلفة اختلافات كثيرة فى مواضع غير محصورة حتى أنهم يختلفون فى صفات المسيح عليه السلام وتعاليمه وأفعاله وأقواله وأيام دعوته ووقت الصلب. وفى نسبه أيضاً.

وهذا الاختلاف لا يحتمل وقوع مثله من غيرهم، بل لا يحتمل وقوعه من الصبيان أولاد المكاتب. ومع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ولأصحاب مانى كيز إنجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله إلى آخره ويدعون أنه هو الصحيح وما عداه باطل. ولهم إنجيل يسمى إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس والنصارى من غيرهم ينكرونه ويعدونه من الأناجيل الكاذبة. وقد نقل المفسر لاردنر فى المجلد الثالث من تفسيره فى ذيل بيان فرقة مانى كيز المذكورة عن الفاضل اكستائين، الناقل قول فاستس الذى كان من أعظم علماء هذه الفرقة فى القرن الرابع من الميلاد وعبارته فيه هكذا: "قال فاستس: أنا أنكر الأشياء التى ألحقها فى العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعبثوا

صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الامر محقق وهو: أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها وأذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التي توجد فيها الأغلاط والتناقضات" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى هذا الفاضل المسيحي كيف كان يصيح وينادى بأعلى صوته بأن أهل التثليث كانوا ألحقوا الأشياء في العهد الجديد، وأن هذا العهد ليس من تصنيف المسيح ولا من تصنيف الحواريين ورفقائهم، وإنما هو من تصنيف رجل مجهول الاسم أوقع فيه الأغلاط والمناقضات.

ومن الفرق المسيحية الفرقة الابيونية التي كانت معاصرة لبولس ومنكرة عليه أشد الإنكار وكانت تقول إنه مرتد وكانت تسلم من الأنجيل إنجيل متى فقط، لكن هذا الإنجيل كان مخالفاً للإنجيل المنسوب إلى متى، الموجود عند معتقدي بولس الآن في كثير من المواضع، ولم يكن فيه الأصحاحان الأولان قال "بل" في تاريخه في بيان حال هذه الفرقة هكذا: "هذه الفرقة كان عندها من العهد الجديد إنجيل متى فقط، لكنها كانت حرفته في كثير من المواضع وأخرجت البابين الأولين منه" انتهى. وقال في بيان حال فرقة المارسيونية هكذا: "كانت هذه الفرقة تتكرر كون كتب العهد العتيق إلهامية، وكانت تسلم من

العهد الجديد إنجيل لوقا فقط، لكن ما كانت تسلم الأصحاحين الأولين منه وتسلم من رسائل بولس عشر رسائل لكن كانت تردّ منها ما كان مخالفاً لخيالها" انتهى.

وقال بولس مقدم المسيحيين في العدد السادس من الأصحاح الأول من رسالته إلي أهل غلاطية هكذا: "ثم إني أعجب من أنكم أسرعتُم بالانتقال عن استدعائكم بنعمة المسيح إلي إنجيل آخر وهو ليس بإنجيل بل إن معكم نفراً من الذين يزعمونكم ويريدون أن يحرفوا إنجيل المسيح" انتهى. وهذا القول يدل صراحةً علي أنه كان في زمان بولس إنجيل يسمى إنجيل المسيح، وأن المحرفين كانوا في صدد تحريف إنجيل المسيح في ذلك الزمان فضلاً عن غيره من الأزمان. وهو الآن ما باقي منه إلا اسمه، كالعنقاء. قال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره في شرح هذا المقام هكذا: "هذا الأمر محقق: وهو أن الأنجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة هيئت لوقا علي تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأنجيل الكاذبة. والأجزاء الكثيرة من هذه الأنجيل باقية. وكان الفاضل فابري سيوس جمع هذه الأنجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات" انتهى.

فظهر من كلام هذا الفاضل أن الأنجيل الكاذبة كانت موجودة قبل إنجيل لوقا، وقبل أن يحرر بولس رسالته إلي أهل غلاطية. وما فهم من كلام بولس أنه كان في عهده إنجيل يسمى بإنجيل المسيح هو

الحق. وهو مختار الفاضل اكهارن والكثير من المتأخرين من علماء
الجرمن وإليه مال المحقق لكليك، وكوب. وغيرهما من المؤرخين
المحققين. وقد علمت فيما تقدم أن سَلَسُوس المشرِك الذي كان في
القرن الثاني من القرون المسيحية كان ينادي بأن المسيحيين بدلوا
أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلاً كأن
مضامينها بدلت. وكفتنا هذه النقول دليلاً علي أن أهل الكتاب حرفوا
كتبهم تحريفاً لفظياً. فتنبه لهذا ولا تكن من القوم الغافلين.

تفسير المسلمين للتحريف

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فإن رأينا بعض آيات قرآنية فيها ذكر التحريف؛ فلا ينبغي لنا أن نفهم من أول الأمر أن المقصود بها التحريف اللفظي أو التحريف المعنوي بالتأويل، بل لابد من مراجعة الآية، والتأمل في سياق الكلام مع توفيق معاني الآيات بعضها مع بعض. ولعدم حصر التحريف فيما ذكرناه سابقاً؛ نري علماء المسلمين ولا سيما مفسري القرآن لم يتجاسروا علي أن يخصصوا بأن المقصود من التحريف المذكور في القرآن إنما هو التحريف اللفظي فقط، بل التحريف المعنوي أيضاً. كما بين ذلك الشيخ محمد الزرقاني في شرحه علي المواهب اللدنية بقوله: "إن الفقهاء اختلفوا هل تحريف التوراة والانجيل بالزيادة والنقص أو بتأويلهما وتفسيرهما بغير المراد منهما؟" وكذلك فسر البيضاوي التحريف بالمعنيين المذكورين. فقال في تفسير الآية الأولى إن طائفة من أسلافهم أي من أسلاف اليهود يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد ﷺ وآية الرجم أو يؤولونه ويفسرونه بما يشتهون. وقال في تفسير الآية الثانية من ﴿مَنْ الذِّينَ هَادُوا﴾ قوم ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها، وإثبات غيره فيها. أو يؤولونه بما يشتهون فيميلونه عن ما أنزل الله فيه" انتهى كلام البيضاوي. والأرجح أن

هذه الآية لا إشارة فيها إلى تحريف اليهود للتوراة أصلاً بل إلى تحريف كلمات ليست منزلة من عند الله، بل هي من عندهم استعملوها في مفاوضاتهم^(١) مع النبي فاتهم كانوا يمكرون عند مكالمته فيستعملون بعض الألفاظ يكون معناها في العربية بليغاً حسناً و في لغتهم شتماً وسباً فالإشارة في هذه الآية إلى هذا التحريف لا إلى تحريف الكتاب. والذي يوضح لك ذلك تمام الآية وهو ﴿وَيَقُولُونَ

(١) يغالط القسيسُ المسلمين في تحريف التوراة بقوله: إن اليهود الذين كانوا يتكلمون مع محمد في موضوع الرجم؛ هو الذين حرفوا أثناء المفاوضة. وهؤلاء ماتوا. وهم الذين بقصدتهم القرآن بأن اليهود حرفوا التوراة، أما غيرهم فلم يحرفها. وما تزال التوراة خالية من التحريف. هذا هو كلام القسيس.

وكلام القسيس قد أخذه من الرواة الذين خُدعوا من اليهود والحق في هذا الموضوع: هو أن المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود لم يفاوضوا ولم يحرفوا حتى نقول بالخصوص في التحريف من أجل رجم يهوديين قد زنيا. وذلك لأن القرآن لم يذكر هذا الخصوص. وغرض القرآن من حكاية هذا الموضع: هو أن اليهود حرفوا التوراة عمداً من قبله بزمان طويل. وأن هذا التحريف موجود في جميع النسخ الموجودة في بلاد العالم في زمانه، وسيظل على حاله مدة طويلة. فإن جاءوك أيها المسلم النائب عن رسول الله في أي بلد من البلاد، وطلبوا منك الحكم عليهم بالقرآن؛ فاحكم عليهم بالقرآن. وإذا لم يأتوا وحكموا على أنفسهم بالتوراة فليحكموا على أنفسهم بالتوراة. إذ ليس لنا منهم إلا الجزية. هذا هو الغرض من نزول الآيات.

وقول القسيس بأن التحريف كان في حادثة خاصة في زمان محمد ﷺ هو قول يهدف من ورائه إلى أن التوراة الموجودة في بلاد العالم غير محرفة. وهذا ضد الحقيقة. فإن نسخ التوراة في العالم هي كنسخة واحدة، ولكنها محرفة في مدينة بابل. ومنها ينقلون ويطبعون ويعدلون وينقحون.

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرُ سَمْعٍ ، وَرَاعِنَا لَيْكَا بِالْأَسْتِثَمِ^(١) وَطَلَعْنَا فِي الدِّينِ وَفَسَرَهَا
البيضاوي بقوله إنما قالوه أي هذا القول نفاقاً وصرفاً للكلام إلى ما
يشبه السَّبَّ حيث وضعوا «رَاعِنَا» المشابه لما يتسابقون به موضع

(١) إن قولهم: «رَاعِنَا لَيْكَا بِالْأَسْتِثَمِ» معناه:

أن اللى: هو قراءة كتاب الزبور، الذى فيه النص على راعنا بالموسيقى والحن الغناء. حتى يظهروا للسامعين أن ما يتلونه هو كتاب الله حقاً.
وأما راعنا: فإنهم كتبوا فى سفر الزبور: أن النبى الآتى سوف يرعاهم بشريعته.
فلذلك يقرأون نبوءة راعنا التى تدل على محمد ﷺ مع أنه قد جاء فإن كانوا يريدون أن
يرعاهم فليدخلوا فى دينه. وإذ هو جاء؛ فما هى الفائدة من قولهم «رَاعِنَا» ولذلك نهامهم
عن قول راعنا لأن محمداً قد جاء. وهذا هو النص: "لإمام المغنين على السوسن شهادة
لاساف مزمو ر يا راعي إسرائيل أصغ يا قائد يوسف كالضان يا جالسا على الكروبيم
أشرق قدام افرايم و بنيامين ومنسى أيقظ جبروتك وهلم لخلصنا يا الله أرجعنا وأنر
بوجهك فنخلص يا رب اله الجنود إلى متى تدخن على صلاة شعبك قد أطعمتهم خبز
الدموع وسقيتهم الدموع بالكيل جعلتنا نزاعاً عند جيراننا وأعداؤنا يستهزئون بين
أنفسهم يا اله الجنود أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص كرمة من مصر نقلت طردت أمما
وغرستها هيات قدامها فاصلت أصولها فملأت الأرض غطى الجبال ظلها وأغصانها
أرز الله مدت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل
عابري الطريق يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية يا اله الجنود أرجعن
اطلع من السماء وانظر وتعد هذه الكرمة والغرس الذى غرسته يمينك والابن الذى
اخترته لنفسك هي محروقة بنار مقطوعة من انتهار وجهك يبيدون لتكن يدك على رجل
يمينك وعلى ابن ادم الذى اخترته لنفسك فلا ترتد عنك أحيانا فندعو باسمك يا رب اله
الجنود أرجعنا أنر بوجهك فنخلص"

(انظُرْنَا) و(غَيْرُ مُسْمَعٍ) موضع لا أسمعت مكروهاً أو قتلًا بهما وضماً لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير استهزاءً وسخريةً. وفسر الآية الثالثة بالمعنى الذي فسر به الثانية. وقال في تفسير الآية الرابعة: إنهم أي اليهود يميلونه أي الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها إما لفظاً بإهماله وتغيير وضعه، وأما معنى بحمله علي غير المراد وإجرائه في غير مورد.

روي: أن شريفاً من يهود خيبر زنا بشريفة و كانا محصنين فكرها رجمهما. فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عنه فقالوا: إن أمركم بالجلد والتحميم؛ فاقبلوه وإن أمركم بالرجم فأبوا. فجعل ابن سوريا حكماً بينه وبينهم. وقال أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسي ورفع فوقكم للطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم علي من أحصن؟ قال: نعم. فوثبوا عليه. فقال: خفت إن كذبتة أن ينزل علينا العذاب. فأمر رسول الله ﷺ بالزنايين فرجما عند باب المسجد. انتهى كلام البيضاوي. وروي ابن إسحاق في كتاب سيرة الرسول لما حكموا رسول الله ﷺ فيهما دعاهم بالتوراة، و جلس حبر منهم يتلوها، وقد وضع يده علي آية الرجم. قال فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم يأبي أن يتلوها عليك؟ فقال لهم رسول الله ﷺ ويحكم يا معشر اليهود ما دعاكم إلي ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال فقال رسول الله

﴿ أنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به. ثم أمر بهما فرجما عند باب المسجد. انتهى. ﴾

ففي هذا دليل أيضاً علي أن اليهود لم يتجاسروا علي أن يفسدوا التوراة أو يحرفوها تحريفاً لفظياً لأنهم لو جرت عادتهم بتحريف التوراة؛ لرفعوا آية الرجم التي كان العمل بها عندهم من أكره الأمور

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلي أقوم طريق: قد علمت أيها العاقل اللبيب فيما تقدم من قريب غير بعيد؛ أن أهل الكتاب قد تنوعت قبائحهم بالنسبة إلي تحريفهم كلام الله تعالى وآياته، فكتموا بعضها وأخفوا بعضها ونسوا بعضها، وأحرقوا بعضها ومزقوا بعضها وحرفوا بعضها تحريفاً معنوياً، والبعض الآخر تحريفاً لفظياً. وبهذا اعترف المحققون من مفسريهم ومؤرخيهم ونادي به المؤرخون، من الماديين و الوثنيين حتي سَمِعَ بذلك أهل الثقلين، وشهد علي صدق هذه الدعوي برهان الحس والمشاهدة، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه. وقد علمت هناك: أن التحريف المعنوي والتحريف اللفظي كلاهما واقعان في كتبهم المقدسة بنص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعرفت أن الفخر الرازي قد فرق بين قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ وقوله ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ فالأول يدل علي التحريف المعنوي، والثاني يدل علي التحريف اللفظي. وكذلك كلام

البيضاوي الذي نقله هذا القسيس يدل علي وقوعهما حتماً. ولهذا مثل للتحريف اللفظي بقوله كنعت محمد ﷺ وآية الرجم، لكن لم تحذف آية الرجم^(١) من النسخة التي تلاها الحبر بين يدي النبي ﷺ كما تدل عليه

(١) قوله إن النبي ﷺ رجمهما. إن صح يكون رجمه لهما بحسب التوراة؛ لأنهم هم الذين جاءوه. ولا يكون رجمه لهما بحسب القرآن. فإن القرآن قد نسخ الرجم وأثبت الجلد بدله لعموم الزناة. ففي كتابنا الأحكام الشرعية في التوراة النص والتفسير ما نصه: "يقول الله تعالى في سورة النور: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾"

لم يفرق بين الزاني المحصن بالزواج وبين الزاني غير المحصن. وجعل للجميع جدا واحدا هو الجلد مائة جلده. وجعل للأمة النصف. والرجم لا ينتصف. وجعل لامرأة النبي ﷺ الضعف والرجم لا يضعف. ونساء النبي كلهن عفيفات شريفات. ولكن الله جعل لهن حكما خاصا. به ينتفى الرجم. الذي كان حكما في التوراة.

وفى الأحاديث النبوية في باب رجم الحبلى عند البخاري رحمه الله أن النبي ﷺ رجم ماعزا والغامدية. ومن المحتمل أنه رجم كلا منهما قبل نزول آية الجلد. لأن التوراة فيه أحكم الرجم. وقد كان العرب عليها. ومن المحتمل أنه رجم بعد نزول آية الجلد؛ فهذا يكون منه اجتهاد كاجتهاده في أخذ الفداء من أسرى بدر. ولما نزل القرآن؛ ترك الفداء وأخذ بما في القرآن، وترك اجتهاده. وإن كان قد رجم بعد نزول آية الجلد. فإنه يكون مخالفا للقرآن، وهو منهي عن مخالفته.

ثم إن الله تعالى ذكر حد القذف في القرآن. وهو ثمانون جلدة. ولو كان الرجم مشروعا؛ لكان أولى بالذكر في القرآن من حد القذف. وفي الأحاديث النبوية عن النبي ﷺ: "لا ينكح الزاني المحدود إلا مثله" وروى: أن محدودا تزوج غير محدودة؛

ففرق على ﷺ بينهما. ومعنى هذا: إن المحدودة لم ترحم، وإلا فكيف تتزوج؟
 وفي القرآن الكريم: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأُصِيبْنَ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾
 قوله ﴿فَأُصِيبْنَ فِي الْبُيُوتِ﴾ ينفي الرجم؛ لأنه من بعده؛ إمساك في القبور لا في البيوت.

ذلك من حجج النافقين للرجم في الشريعة الإسلامية. وأما المثبتون للرجم فلهم أدلة من السنة وليس لهم أدلة من القرآن. فإن الألف واللام في ﴿الرَّائِبَةُ وَالزَّانِي﴾ للعموم. وأدلتهم من السنة: أن النبي رجم ماعزا والغامدية، وأن الصحابة من بعده رجموا. ولذلك الإشكال يقول الأئمة: إن صح الحديث فهو مذهبي.
 يقول الإمام فخر الدين الرازي ﷺ في تفسيره الكبير:
 "الخوارج أنكروا الرجم واحتجوا فيه بوجوه":

أحدهما: قوله تعالى: ﴿فَمَلَيْنِ نَصْفًا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ فلو وجب الرجم على المحصن؛ لوجب نصف الرجم على الرقيق، لكن الرجم لا نصف له.
 وثانيهما: أن الله سبحانه ذكر في القرآن أنواع المعاصي من الكفر والقتل والسرقة، ولم يستقص في أحكامها كما استقصى في بيان أحكام الزنا.
 ألا ترى أنه تعالى نهى عن الزنا بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِي﴾
 ثم توعده عليه ثانيا بالنار كما في كل المعاصي.
 ثم ذكر الجلد. ثالثا.

ثم خص الجلد بوجوب إحضار المؤمنين. رابعا.
 ثم خصه بالنهي عن الرأفة عليه بقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ خامسا.
 ثم أوجب على من رمى مسلما بالزنا ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ سادسا. ولم يجعل ذلك على من رماه بالقتل والكفر، وهما أعظم منه.

ثم قال سابعا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا

رواية ابن إسحاق وإنما حذفها كان من النسخة التي كانت عند يهود
خير، الذين أرسلوا الزانيين مع رهط منهم لبني قريظة ليسألوا النبي
ﷺ عن حكم الرجم، كما يدل عليه قوله تعالى في وصفهم: ﴿يَقُولُونَ إِنَّا
أُوتِينَا هَذَا﴾ يعني الحكم المحرف المزال عن موضعه ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقبلوه ﴿وَإِنْ لَّمْ تُوْتُوهُ﴾ بأن أفتاكم محمد بخلافه ﴿فَاخْذَرُوا﴾ أي أن تقبلوه. فهذه الآية

تَقَبَّلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأَوَّلِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

ثم ذكر ثامنا: من رمى زوجته بما يوجب التلاعن، واستحقاق غضب الله تعالى.

ثم ذكر تاسعا: أن ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾

ثم ذكر عاشرا: أن ثبوت الزنا مخصوص بالشهود الأربعة.

فمع المبالغة في استقصاء أحكام الزنا قليلا وكثيرا؛ لا يجوز إهمال ما هو أجل
أحكامها وأعظم آثارها. ومعلوم أن الرجم لو كان مشروعا لكان أعظم الآثار. فحيث لم
يذكره الله تعالى في كتابه؛ دل على أنه غير واجب.

وثالثهما: قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة.

وإيجاب الرجم على البعض بخبر الواحد يقتضى تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد
وهو غير جائز. لأن الكتاب قاطع في مثته، وخبر الواحد غير قاطع في مثته،
والمقطوع راجح على المظنون.

واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن: بما ثبت بالتواتر أنه
عليه الصلاة والسلام فعل ذلك. قال أبو بكر الرازي: روى الرجم أبو بكر وعمر وعلى
وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وبريدة الأسلمى وزيد بن خالد في
آخرين من الصحابة. وبعض هؤلاء الرواة روى خبر رجم ماعز وبعضهم خبر اللخمية
والغامدية. وقال عمر رضي الله عنه: "لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لأثبتته في
المصحف"

الشريفة نص صريح علي أن يهود خبير حرفوا آية الرجم من توراتهم تحريفاً لفظياً.

وأما قول القسيس في ذيل تفسير الآية الثانية: "والأرجح أن هذه الآية لا إشارة فيها إلي تحريف اليهود للتوراة" الخ. فغلط يقيناً. واستدلالة بتمام الآية علي صحة ما زعمه؛ يدل علي شدة جهله؛ فإن جملة قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ معطوفة بالواو التي بالجمع المطلق علي جملة قوله تعالى ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ فأمر التحريف خلاف قولهم ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ الخ لأن العطف يقتضي المغايرة، كما لا يخفي علي من له أدني إلمام بفن العربية. فهم جمعوا بين تحريف كلام الله تعالى وبين قولهم في خطاب النبي ﷺ ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرُ مُسْمِعٍ﴾ الخ ومن راجع هاتين الآيتين بالتأمل والإنصاف من غير تعصب ولا إجحاف يعلم أن ما أبداه هذا القس غلط محض، يدل علي قلة علمه وسوء فهمه. وهذا حاله في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وعلي هذه الأفهام السقيمة يرجو أن ترجح عباراته و تفسيره الركيك علي عبارات و تفسير علماء هذا الدين المبين. وما هذا إلا عين الجهل والحماقة.

وكيف ينكر هذا القسيس تحريف اليهود للتوراة مع أن المحققين من مؤرخيهم ومفسريهم قد اعترفوا بوقوعه في مواضع متعددة من كتبهم. بل كتابهم الإنجيل يفيد ذلك أيضاً فلقد نقل يوحنا الإنجيلي في

العدد التاسع عشر من الأصحاح الرابع من إنجيله قصة المكالمة التي وقعت بين المرأة السامرية وبين المسيح عليه السلام وبعض عبارته فيها هكذا: "إني أرى أنك ياربُ نبي. وكان آبائنا يسجدون في هذا الجبل (يعني جرزيم) وأنتم. أي اليهود. تقولون المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه هو أورشليم. قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لافي هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للرب" انتهى.

فهذه المكالمة صريحة في وقوع الاختلاف بين النسخة السامرية وبين النسخة اليهودية في الموضع الذي ينبغي السجود فيه لله ﷻ. وهذا الاختلاف من أعظم الأمور المتنازع فيها بين الفرقتين، وكل منهما تدعي أن الأخرى هي التي حرقت توراتها تحريفاً لفظياً بتبديل الألفاظ و تغيير المعاني، لكن سكوت المسيح عليه السلام عن البيان في جواب المرأة السامرية يدل علي أن الحق ما عليه السامريون في هذا الموضع، ولو كانوا هم المحرفون للتوراة في هذا الموضع؛ لكان للمسيح عليه السلام أن يبين هذا الأمر؛ لكنه ما بينه بل سكت عنه. فسكوته هذا دليل واضح علي أن المحرفين للتوراة في هذا الأمر هم اليهود يقيناً. قال المحقق هورن في المجلد الثاني من تفسيره في بيان آداب السامريين بالنسبة إلي التوراة هكذا: "إن كينكات يقول: لو لاحظنا أدب السامريين بالنسبة إلي التوراة، ولاحظنا عباراتهم، ولاحظنا سكوت المسيح حين المكالمة المشهورة التي وقعت بينه وبين المرأة السامرية، ولاحظنا أموراً أخرى؛ لاقتضي الكل أن اليهود حرفوا

التوراة قصداً. قال: وإن ماقاله محققو كتب العهد العتيق والجديد وهو
أن السامريين حرفوها قصداً؛ لا أصل له" انتهى. قلت: وهذا يكفيننا
لاقتناع المنصفين من عقلاء المسيحيين.

شهادة القرآن بعدم تحريف الإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فتحصل بما تقدم؛ نتائج: الأولى: أنه إن سلم أن التحريف واقع؛ فإنما يكون مخصوصاً في التوراة، ولا دخل له في الإنجيل؛ لأن آيات القرآن التي ذكر فيها التحريف نزلت علي قوم من اليهود، ولا إشارة فيها قط. إلى أن النصاري حرفوا كتابهم. وعلي هذا يكون التحريف إنما وقع في التوراة وحدها، وأما الإنجيل فتري كل آية من القرآن ورد ذكره فيها تصفه بأكمل التعظيم والتوقير. فهذا برهان علي عدم تحريفه البتة"

أقول وبالله التوفيق، وبه الهداية إلي أقوم طريق: إن ما أورده صاحب البرهان في هذه النتيجة من أن الآيات القرآنية التي وردت بلفظ التحريف إنما تشير إلي تحريف التوراة فقط، ولا دخل لها في الإنجيل؛ أمر مسلم عندنا معشر المسلمين، وإنا لا نقول: إن الإنجيل الذي جاء ذكره في القرآن هو محرف، كما حرفت التوراة، وإنما نقول ونعتقد: أنه ضاع وفُقد بالكلية حتي لم يبق له إلا الاسم. كالعنقاء. كما علمت ذلك فيما مرّ.

وهذه الأنجيل المتداولة الآن وإن كان يوجد فيها بعض أمثال شريفة وبعض أقوال صحيحة منقولة عن لسان السيد المسيح عليه السلام لكنها ليست هي الإنجيل المذكور في القرآن، لما قد علمت فيما

تقدم: أن الإنجيل الطاهر في اصطلاح القرآن هو ما أوحى إلي عيسى عليه السلام. قال تعالى في سورة المائدة في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وهو كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه. والموجود الآن أربعة مجلدة، في مصحف واحد مع رسائل أخرى تحكي أخبار المسيح وحكاياته وانتقالاته وتعاليمه الدينية وما جري له مع اليهود علي صور مختلفة باختلاف الرواة متي ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس ويعقوب وغيرهم من أشياخ النصاري حتي أنهم يختلفون في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته وفي نسبه الشريف ووقت صلبه علي زعمهم وفي كونه رباً أو رسولاً بل لا يخرج أصحاب من أصحاباتها ولا سطر من أسطرها ويكون خالياً من الغلط والاختلاف. فكل هذه الأناجيل التي هي علي هذه الصفة ليست هي الإنجيل الطاهر الذي جاء ذكره في القرآن. قال صاحب تخجيل من حرف الإنجيل في الباب الثاني من كتابه في حق هذه الأناجيل هكذا: "إنها ليست هي الإنجيل الحق المبعوث به الرسول المنزل من عند الله ﷻ" ثم قال والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح عليه السلام" انتهى. وقال صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون في بيان الإنجيل هكذا: "إنه كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى علي عيسى بن مريم عليه السلام" ثم قال: "وهذه الأناجيل الأربعة ليست هي الإنجيل الأصلي المنزل علي عيسى عليه السلام" وقال الامام القرطبي في تصنيفه المسمي بكتاب "الاعلام بما في دين النصاري من الفساد والاهام" في الباب الثالث

من كتابه هكذا: "إن الكتاب الذي بيد النصارى الذي يسمونه بالإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه علي لسان رسوله ﷺ (التوراة والإنجيل من قبل هُدَى النَّاسِ) انتهى.

ثم أورد الدليل علي هذه الدعوي وأثبت أن الحواريين ما كانوا أنبياء ولا معصومين من الغلط، وأن ما ادعوه من كراماتهم لم ينقل شيء منها علي التواتر، بل هي أخبار آحاد غير صحيحة. ولو سلمنا صحتها لما دلت علي صدقهم في كل الأحوال وعلي نبوتهم لأنهم لم يدعوا النبوة لأنفسهم وإنما ادعوا التبليغ عن عيسى ابن مريم. ثم قال: "ظهر من هذا البحث أن الإنجيل المدعي به لم ينقل تواتراً ولم يقم دليل علي عصمة ناقله. فإذا يجوز الغلط و السهو علي ناقله؛ فلا يحصل العلم بشيء منه ولا غلبة الظن. فلا يلتفت إليه ولا يعول في الاحتجاج عليه" قال: "وهذا كاف في رده وبيان قبول تحريفه وعدم الثقة بمضمونه، ولكننا مع ذلك نعمد منه علي مواضع يتبين فيها تهافت نقلته، ووقوع الغلط في نقله" انتهى. ثم نقل المواضع المذكورة، وبعد أن نقلها قال: "فقد حصل من هذا البحث الصحيح أن التوراة والإنجيل لا يحصل الثقة بهما؛ فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير. وقد دلت على بعض ما وقع فيهما من ذلك. وإذا جاز مثل ذلك من هذين الكتابين مع كونهما أشهر ما عندهم وأعظم عمدتهم و مستند ديانتهن؛ فما ظنك بغير دينك من سائر كتبهم التي يستدلون بها

مما ليس مشهوراً مثلهما ولا منسوباً إلي الله نسبتهما. هذا هو أولي
بعد التواتر، وبقبول التحريف منهما" انتهى. كلامه الشريف بلفظه.
وقال الإمام الهمام فخر الدين الرازي في كتابه المسمى بالمطالب
العالية في الفصل الرابع من القسم الثاني من كتاب النبوات هكذا:
"وأما دعوة عيسى عليه السلام فكأنه لم يظهر لها تأثير إلا في
القليل، وذلك لأنه ما دعي إلي الدين الذي يقول به هؤلاء النصاري؛
لأن القول بالآب والابن والتثليث أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل
ومثل هذا لا يليق بأجهل الناس فضلاً عن الرسول المعظم المعصوم.
فعلما أنه ما كانت دعوته البتة إلي هذا الدين الخبيث، وإنما كانت
دعوته إلي التوحيد والتنزيه. ثم إن تلك الدعوي ما ظهرت البتة بل
بقيت مطوية غير مروية. فثبت أنه لم يظهر لدعوته إلي الحق أثر
البتة" انتهى.

قلت: وهذا القول يفيد أن هذه الأناجيل المحتوية علي القول
بالتثليث ليست هي إنجيل المسيح الذي جاء ذكره في القرآن.
وذكر صاحب إظهار الحق رحمه الله "أن بعض فضلاء الهند
استفتي في هذا الباب من علماء مدينة "دهلي" فأفتاه جميعهم وكتبوا أن
هذا المجموع المشتهر الآن بالعهد الجديد؛ ليس بمسلم عندنا، وليس هذا
هو الإنجيل الذي جاء ذكره في القرآن، بل هو عندنا عبارة عن الكلام
الذي أنزل علي عيسى عليه السلام" قال: وجميع علماء الهند شرقاً
وغرباً فتواهم كفتوي علماء دهلي. ومن رد منهم علي رسائل القسيسين

سواء كان من أهل السنة والجماعة أو من أهل التشيع صرح في هذا الباب تصريحاً عظيماً، وأنكر هذا المجموع أشد الإنكار " انتهى.

قلت وهذه الأقوال كافية في بيان أن هذه الأنجيل ليست هي إنجيل المسيح عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن كيف يكون هذا الإنجيل هو إنجيل المسيح عليه السلام وفيه أخبار صلبه وتألمه واستغاثته عند الصلب بقوله: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" والقرآن الكريم ينزهه ساحته عن ذلك كله، ويخبر أنه رفع إلى السماء حياً^(١) طاهراً برياً من كل ما نسب إليه، لم يقع عليه صلب ولا إهانة، وإنما وقعا علي من نفاق من أتباعه ودل عليه. قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وقال تعالى في السورة المذكورة ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ

فهذه المخالفة الواقعة بين القرآن وهذا الإنجيل كافية شافية في الدلالة على تحريفه بل على تكذيبه. ولقد علمت فيما تقدم اختلاف الإنجيليين في كيفية موت يهوذا الأسخريوطي الذي دل عليه. وذلك

(١) المؤلف يثبت رفع المسيح إلى السماء بجسده وروحه. وقد قال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر: إن رفعة المسيح رفعة درجة كرفعة إدريس عليه السلام أما الجسد فلا. ونعم ما قال. ومعنى "ولكن شبه لهم" أن موسى عليه السلام قال: "إن نبيا مثلى سيقم لكم الرب إليهم..." [تث ١٨] وهذا النبي هو محمد ﷺ فخدع اليهود جماعة الروم بقولهم إن عيسى هو الآتى مثل موسى في مجيئه الثانى. أى شبهوا لهم عيسى بموسى. وذلك لإنكار نبوة رسول الله محمد من قبل مجيئه.

الاختلاف يدلنا يقيناً على أنه هو المصلوب البتة. وكذلك ورد في هذا الإنجيل أن المسيح عليه السلام صار ملعوناً والعياذ بالله تعالى لكونه صلب وعلق على خشبة؛ ليكون فدية وكفارة عن العالم كما صرح بذلك قديس المسيحيين بولس في الأصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية بقوله: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" لأنه مكتوب في الناموس: ملعون كل من علق على خشبة" والقرآن المجيد نزه ساحته الشريفة عن ذلك كله في مواضع متعددة وكذلك يزعمون أن في هذا الإنجيل الأمر بالقول بالتثليث وألوهية المسيح عليه السلام والقرآن المجيد يخبر بكفر من يقول ذلك. قال تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَشْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقال في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وفي آخر سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ^(١) أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿ وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: يَا أَهْلَ الْإِنْجِيلِ ﴿ لَا تَقْلُوا
فِي دِينِكُمْ ﴾ أَي لَا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي دِينِكُمْ ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ مَنْ
تَنَزَّيَّهَ عَنْ اتِّخَاذِ الشَّرِيكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
رَسُولُ اللَّهِ ﴾ يَعْنِي أَنَّ الْمَسِيحَ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لَا يَتَخَطَّاهَا إِلَى
الْوَهْمَةِ. بِدَلِيلٍ لَفْظَةٍ ﴿ إِنَّمَا ﴾ فَانْهَاجُهَا تَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ بِمَقْتَضِي الْقَوَاعِدِ
الْعَرَبِيَّةِ. أَي مَا الْمَسِيحُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﴿ وَكَلِمَةُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أَوْصَلَهَا إِلَيْهَا
وَحَصَلَتْ فِيهَا بِوِاسِطَةِ جَبْرِيلَ الْمَلَكِ. وَسُمِّيَ الْمَسِيحَ كَلِمَةً لِلَّهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ
بِكَلِمَةٍ كُنَّ مِنْ دُونِ وَاسِطَةٍ أَب. كَمَا قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ، وَلَيْسَ هُوَ
نَفْسُ الْكَلِمَةِ. كَمَا تَزْعُمُ النَّصَارِيُّ. وَإِنَّمَا هُوَ أَثَرُهَا فَإِنَّ الْكَلِمَةَ مَعْنَى مِنَ
الْمَعْنَى بِخِلَافِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَاتٌ مِنَ الذَّوَاتِ. وَقَوْلُهُ ﴿ وَرُوحٌ
مِّنْهُ ﴾ أَي أَنَّ الْمَسِيحَ ذُو رُوحٍ صَدَرَ مِنَ اللَّهِ بِدُونِ تَوْسِطٍ مَا يَجْرِي
مَجْرَى الْأَصْلِ وَالْمَادَّةِ لَهُ. وَلَيْسَ هُوَ جُزْءٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا
تَزْعُمُ النَّصَارِيُّ. وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

(١) المراد بالمسيح: المسيح الرئيس المكتوب عنه في الأصحاح التاسع من سفر دانيال وهو محمد ﷺ. والمراد بالملائكة المقربون: أصحاب محمد المقربون منه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴿ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ فعلي قولهم يلزم أن تكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه سبحانه و تعالي عن ذلك علواً كبيراً- قيل: سمي المسيح روحاً لأنه كان يحيي الأموات والقلوب من موت الكفر والضلال فكانه روح لأولئك المؤمنين ﴿ فَاٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ﴾ أي ثلاثة آلهة. ﴿ اَتَهْوٰٓءُ ﴾ عن ذلك التثليث خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أي تنزه عن أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق إليه فناء ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكاً و خلقاً لا يماثله شيء من ذلك؛ فيتخذه ولداً أو شريكاً ﴿ وَكُنِيَ بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴾ أي مستقلاً بحفظ الأشياء وتدبير خلقه، ولا حاجة له إلي ولد يخلقه أو شريك يعينه وهذا القول صريح في مخالفة ما زعمته النصاري من أن في الإنجيل القول بأن المسيح إله معبود، وأن الله اسم لثلاثة. ممتازة بامتياز حقيقي؛ فهو واحد ثلاثة وهو ثلاثة واحد.

وإذا علمت هذه المخالفة الواقعة بين القرآن المجيد و هذا الإنجيل تعلم أن ما سلكه صاحب "البرهان" غلط أو تغليط منشأه سوء الفهم من شدة التعصب وعدم الإنصاف. وأي دليل يطلب من القرآن الكريم علي تحريف هذا الإنجيل أعظم من هذه المخالفة الواقعة بينهما في أصول ذلك الدين. فإن مسألة الصلب والتثليث أساسا الدين المسيحي، وعليهما مبناه. فإذا انتفيتا انهدم ذلك الدين من أصله، وبطل الإنجيل بشهادة القرآن. ومع هذا فلقد ورد في سورة المائدة: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى

أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٠٠﴾ أَيُّ مِمَّا يَخْفَوْنَهُ. لا يخبر به إذ لا يضطر إليه في أمر ديني ككون المسيح ركب وهو ذاهب إلي القدس الشريف أتانةً وجحشاً ابن أتانة، علي ما أخبر متي أو ركب جحشاً ابن أتانة فقط علي ما أخبر غيره من الإنجيليين. فمثل هذه الأخبار لا ينظر إليها في أمر ديني حتي يبينها القرآن. وأما ما ينظر إليه في أمر ديني فقد بين القرآن حقيقته بأوضح بيان، وأجلي إشارة. وقد علمت بعض ذلك.

وجاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال من حديث طويل في خطاب المؤمنين: "فلم تسألون انتم منهم" أي من أهل اليهود والنصارى "مع علمكم بأن كتابهم محرف"

وهذا الحديث كافٍ في الدلالة علي تحريف الإنجيل؛ فكيف إذا اجتمع مع الآيات القرآنية والأخبار التاريخية؟ فإنه يكفي لمن في قلبه أدنى إصغاء للحق وإذعان للصدق؛ فلا يحتاج بعد ذلك إلي زيادة بسط إلا لمزيد التأكيد والايضاح. فتأمل أيها القسيس هداك الله ما احتوي عليه هذا الإنجيل من الأغلاط والاختلافات والعبارات الغير لاثقة بالكتب السماوية، وانظر وفقك الله إلي ما حكته المؤرخون من المسيحيين و غيرهم في شأن هذا الإنجيل حتي تقف علي حقيقة ماهو عليه، وترجع عما تقول؛ فتفطن لذلك إن اردت سلامة جسدك من

العذاب الأليم الدائم في نار الجحيم. والله الهادي إلى سواء السبيل. وهو
حسبي و نعم الوكيل.

قول القسيس

إن شهادة القرآن بتحريف التوراة
هى لليهود المعاصرين له والمجاورين له
فى زمنه

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "الثانية: إن القرآن لا يوبخ جميع أفراد طائفة اليهود علي تحريف التوراة، بل التوبيخ إنما وقع علي بعض قوم صدر منهم ذلك. وعلي ذلك لو فرضنا أن المراد بالتحريف هو التحريف اللفظي لبقى أكثر نسخ التوراة عند أكثر اليهود صحيحاً من دون تحريف لأنها لم تحرف عند الجميع، بل عند بعض أناس قليلين وبخوا علي ذلك، كما أنه لو فرض أن فرقة من المسلمين غيروا نسخ القرآن التي في أيديهم فلا يجوز أن يقال: إن جميع طائفة المسلمين قد غيروا القرآن، وأن القرآن أصبح مغيراً ومبدلاً"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية الي أقوم طريق: إن من يمعن النظر ويدقق الفكر في هذه النتيجة يظهر له جهالة هذا القسيس في إقامة الدليل والحجة فإنه لا يوجد في العقلاء من يقول إن تحريف التوراة وقع من جميع أفراد طائفة اليهود لعدم امكان ذلك، وإنما وقوعه بالزيادة والنقصان كان من كهانهم وأحبارهم. وهؤلاء هم الواقع عليهم توبيخ القرآن المجيد، ولا يمكن صدور التحريف من عوامهم. فإذا صدر ذلك من علمائهم يتلقاه العوام بالقبول، وذلك لعدم حفظهم إياها

في الصدور. بخلاف القرآن المجيد فإنه مسطور في السطور ومحفوظ في صدور الملايين من المسلمين ولا فرق في ذلك بين العلماء منهم والعوام. وبرهان ذلك: الحس والمشاهدة. وكذلك لا يوجد من يقول إن سائر فرق اليهود اتفقت على تحريف التوراة. حاشا للاختلاف والعداوة الواقعين فيما بينهم، وإنما نقول: إن كل فرقة من اليهود كانت تحرف التوراة على حسب أهوائها وأغراضها. ولهذا ترى كل نسخة من نسخ التوراة بخلاف الأخرى؛ فإنك قد علمت فيما مر غير مرة أن نسخ التوراة المشهورة ثلاثة: السامرية وهي التي عليها السامرة، واليونانية وهي التي عليها بعض اليهود والأرثوذكس والكاثوليك النصارى، والعبرانية وهي التي عليها اليهود والنصارى البروتستنت وبين هؤلاء النسخ الثلاثة اختلاف لا يخفى على اللبيب أمره، حتى النسخ التي توجد من التوراة عند طائفة النصارى بعضها مخالف للبعض الآخر. فإن النسخة التي عند طائفة الروم الكاثوليك تخالف التي عند طائفة بروتستنت، والتي عند طائفة بروتستنت تخالف التي عند طائفة أرثوذكس وهكذا. وكل نسخة من نسخ التوراة توجد عند فرقة من فرق أهل الكتاب تخالف التي عند الفرقة الأخرى، بل النسخ التي توجد عند فرقة واحدة من تلك الفرق يخالف بعضها البعض الآخر في مواضع متعددة تكاد أن لا تحصى، سيما إذا أضفنا ذلك إلى فرقة بروتستنت؛ فإن التغيير والتبديل عندهم بمنزلة الأمر الطبيعي. ولذلك تراهم إذا طبعوا كتابًا من كتبهم مرة أخرى يوقعوا فيه غالبًا التغيير والتبديل

بالنسبة إلى المرة الأولى إما بتبديل الألفاظ أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم العبارات أو تأخيرها ويوجد في خزانة كتبي من كتبهم المقدسة نسختان عربيتان بينهما اختلاف كثير وقد حصل لك أيها الليب الاطلاع على بعض منها فيما تقدم.

والأنسب أن أبين لك هاهنا أيضًا بعضًا منها ولا أخشى من التطويل اليسير. فأقول: جاء في العدد السادس من الأصحاح التاسع من كتاب إشعياء من الترجمة العربية المطبوعة في لندن سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين من الميلاد هكذا: "لأنه كان صبيًا ولد لنا، وابنا أعطينا، وصارت رياسته على منكبيه، ويدعى اسمه عجيبًا مشاورًا لله، جبارًا، أبا العالم الآتي، رئيس السلام؛ ليكثر سلطانه وسلامه، ليس له فناء على كرسى داود. وعلى مملكته يجلس ليقمها ويعضدها بالإنصاف والعدل، منذ الآن وإلى الأبد" انتهى. وجاءت هذه العبارة في الترجمة المطبوعة في بيروت سنة ألف وثمانمائة وسبعين من الميلاد هكذا: "لأنه يولد لنا ولدًا ونعطي ابنًا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إليها قديرًا أبا أبدى رئيس السلام؛ لنمو رياسته وللسلام. لا نهاية له على كرسى داود وعلى مملكته. ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن وإلى الأبد" انتهى.

فانظر أيها المتفطن إلى هذا التباين البين الواقع بين هاتين النسختين. ولا يخفى عليك أيها المتنبه الفرق الحاصل بين قوله مشاورًا لله، وبين قوله مشيرًا إليها. وتأمل في زيادة الفرق الحاصل بي، قوله

جباراً أبا العالم، وبين قوله قديراً. والظاهر أن التحريف الواقع فى الترجمة الثانية كان قصدياً ليوافق مزعومهم فى السيد المسيح عليه السلام من كونه ربا وإلهاً؛ فإنهم يزعمون أن هذا الخبر فى حقه. وقد علمت أنه ليس فى حقه وإنما هو فى حق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله للوجوه التى تلوتها عليك فيما تقدم صدر الكتاب، فتنبه لذلك، ولا تكن من القوم الغافلين، الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

وقد جاء فى العدد العشرين من الأصحاح السادس من سفر الخروج من النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٠ هـ كذا: "وأخذ عمار يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هرون وموسى" انتهى.

وجاءت هذه العبارة فى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين هـ كذا: "فتزوج عمران يوكابد ابنة عمه فولدت له هارون وموسى" انتهى. فانظر أيها اللبيب إلى هذه المباينة الحاصلة بين قوله عمته وقوله ابنة عمه. والظاهر أن تحريف النسخة الثانية كان قصدياً لئلا يقع العيب فى نسب موسى وهارون عليهما السلام لأن نكاح العممة حرام فى شريعة موسى عليه السلام كما يدل عليه صريح العدد الثانى عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر الخروج وهذا التحريف موجود فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وستماية وخمسة وعشرين، والترجمة المطبوعة سنة ألف وثمانماية وخمسة وثلاثين. وقد سبق لهذا الكلام تنمة فى مبحث النسخ؛ فارجع

إليه إن أحببت. وجاء فى العدد الثالث من الأصحاح التاسع من سفر التكوين من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٧ هكذا: " وكل ما يتحرك على الأرض وهو حى يكون لكم مأكولا كخضر العشب" انتهى. وجاءت هذه العبارة فى النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وإحدى عشر من الميلاد هكذا: "كل ديبب طاهر حى؛ يكون لكم مأكلا؛ كخضر العشب " انتهى. فزادوا فى هذه النسخة لفظ "الطاهر" من جانبهم لئلا يشمل الحيوانات المحرمة فى الشريعة الموسوية؛ فإنه ورد فى التوراة أنها نجسة. ولذلك حرم على بنى إسرائيل أكلها. ولنقتصر على هذه المخالفة ولا أنكر غيرها من الاختلافات هربا من التطويل. وذلك القدر يكفى اللبيب، ومن لا يكتفى بذلك فليرجع إلى النسختين المذكورتين، ويجرى المقابلة بينهما أو بين غيرهما يجد من الاختلافات ما لا يقدر أن يحصيه.

إذا علمت هذا ظهر بطلان ما سلكه صاحب "البرهان" فى هذه النتيجة، ومن كان مرتابا يزيل ارتيابه برهان الحسن والمشاهدة، فضلا عن ما نقلناه فيما تقدم من إجماع المؤرخين قديما وحديثا على وقوع التحريف فى التوراة فى كل زمان من الأزمان وهذا عدا ما ورد فى ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟

قول القسيس: إن توبيخ القرآن لليهود هو فى التحريف فى الألفاظ الدالة على محمد

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "الثالثة: أن القرآن لا يوبخ اليهود على تحريف جميع التوراة، بل على تحريف بعض آيات، هى على حسب اعتقاد المسلمين تشير إلى محمد وصفاته، ولما كانت طائفة اليهود تنكر إشارة تلك الآيات إلى محمد وتحملها على غيره، قيل فى حقهم إنهم قد حرفوا كلام الله. فعلى ذلك يكون التحريف إنما وقع فى بعض آيات من التوراة اتخذها محمد إشارة إلى نبوته؛ فتكون سائر الآيات التى لم تذكر فيها الإشارات المتقدمة سالمة من التحريف، ولا شك أن تلك الآيات موجودة فى التوراة، لم تنقص حرفاً إلى زمننا هذه. وقال البيضاوى فى هذا الشأن تفسيراً للآية ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يختارونها على الهدى، ويستبدلونها بعد تمكنهم منه، وحصوله لهم، بإنكار نبوة محمد ﷺ".

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن ما ادعاه صاحب البرهان على أهل الإسلام فى هذه النتيجة؛ باطل البتة. فإنه لا يوجد فى المسلمين -وقاهم الله- من يعتقد أن تحريف التوراة منحصر فى الآيات التى تشير إلى بعثة سيدنا ومولانا محمد ﷺ بل أجمعت الأمة الإسلامية على تحريف غالب آيات التوراة لعموم لفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن. فإن قوله تعالى

﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ عام لا يختص بآية دون غيرها، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من حديث طويل في حق النصارى واليهود: إن كتابهم محرف عام لا يختص بالآيات التى تشير إلى بعثة محمد ﷺ كما لا يخفى على من له أدنى رائحة من العقل. وأما تمثيل بعض المفسرين للتحريف اللفظى بقوله كنعت محمد ﷺ فلا يفيد انحصار التحريف فى ذلك كما توهمه هذا القسيس؛ لأن الكاف للتمثيل وليست للاستقصاء كما يشهد لذلك مخالفة القرآن المجيد لغالب مضامين هذه التوراة. وما اشتملت عليه من الأغلاط والاختلافات والعبارات المضحكة التى تلوت عليك بعضًا منها فيما تقدم؛ هو أدل دليل على كثرة وقوع التحريف فيها بالزيادة والنقصان والتغيير والتبديل. فمن هنا وما تقدم تعلم فساد ما سلكه صاحب "البرهان" فى هذه النتيجة. ولنقتصر على هذا خوف الإطالة. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

كلام القسيس فى التحريف المعنوى واللفظى

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "الرابعة - وهى نتيجة النتائج-: ليس المراد بالتحريف التحريف اللفظى فقط، بل يحتمله ويحتمل التحريف المعنوى أيضاً. أى التأويل بدون تبديل الألفاظ أصلاً. لأن الفقهاء وأئمة المفسرين اختلفوا فى معنى التحريف. هل هو التحريف اللفظى أو المعنوى؟ وكلا المذهبين مقبول عندهم. لأنه لم يطعن الذى ذهب إلى التحريف اللفظى فى الذى ذهب إلى التحريف المعنوى. وبالعكس. بل خيروا بين المذهبين. لأن كل واحد منهم ذكر فى تفسيره القولين. هكذا قالوا. وأقول: إن تأملت معانى الآيات التى أوردناها بعين الإنصاف يتحقق لك أن المراد بها التحريف المعنوى لا التحريف اللفظى^(١)"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: قد علمت فيما أسلفنا لك أن التحريف اللفظى والتحريف المعنوى؛ كلاهما واقعان من

(١) إن كلام الله له معنى واحد. وينشأ الاختلاف فى الفهم من قلة العلم ومسألة تحريف اليهود للتوراة مسألة خلافية من قلة العلم، وأيضاً من خدع الرواة. والراسخون فى العلم المقيمي الصلاة لا يرون أن المسألة خلافية لأن النصوص القرآنية واضحة فى إثبات التحريف اللفظى والمعنوى. فلبس الحق بالباطل يدل على التحريف اللفظى ونسيانهم حظاً مما ذكروا به يدل على التحريف اللفظى. ولو لم تكن عندهم نية التحريف وإعادة الكتابة؛ ما نسوا. ثم إنهم فى عصرنا هذا يؤولون النص تأويلاً فاسداً. ولا يقدرون على إعادة كتابة النصوص. وجاء عن ذلك: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

وعلى ما قدمنا لا تكون هذه المسألة خلافية إلا عند الجهلاء والمغرضون.

أهل الكتاب وعليهما مشى أئمة المفسرين. وهذا القسيس قد اعترف بأن كلا المذهبين مقبول عندهم، وما ذكرناه لك أيها المنصف في الأبحاث المتقدمة من النصوص الشرعية والأقوال التاريخية الدالة على وقوع التحريف اللفظي؛ كاف للميز من الصبيان. وتأمل أيها الموفق قوله عليه الصلاة والسلام: "لم تسألون أنتم منهم" أى من أهل الكتاب "مع علمكم بأن كتابهم" محرف وإنك قد عرفت فيما تلى عليك: أن الكتاب لا يُوصف بالتحريف المعنوي، وإنما يوصف بالتحريف اللفظي. وحيث كان الأمر كذلك تعين حمل الآيات القرآنية الواردة فى هذا الشأن المحتملة للمعنيين المذكورين على التحريف اللفظي كما هو مقتضى قواعد التفسير. وهذا ما عليه السلف والخلف من أئمة المسلمين. وقد اعترف به المحققون من المسيحيين، ونبه عليه جميع المؤرخين من الموافقين والمخالفين. ولا وجه للإنكار بعد المشاهدة والعيان. والله المرشد لا اعتقاد الصواب، والتخلى عن شؤم العصبية والارتياب.

قول القسيس إن المراد من التحريف هو التحريف المعنوى

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فما يؤيد زيادة تأييد أن المراد بالتحريف المذكور في القرآن هو التحريف المعنوى، لا التحريف اللفظى بالزيادة والنقص، والمراد بالتحريف المعنوى؛ التأويل. أى تفسير الآية على خلاف تفسير المسلمين: ما يذكر فى بعض آيات القرآن من أن أهل الكتاب يكتمون الحق، وما يذكر فى بعض آيات أخر منه أنهم كانوا يخفون بعض أشياء من الكتاب. ومما يوضح لك غاية الإيضاح أن المراد بالتحريف التحريف المعنوى: إتيانه فى هذه الآيات بالكتم والإخفاء فإتبعها لا يدلان على أن التحريف المذكور فيها هو التحريف المعنوى لا مطلق التحريف. كما رأينا. وعبر عنه فى هذه الآيات بالكتم والإخفاء ليحمل التحريف عليهما لأنهما مرادفين للتحريف المعنوى لا لمطلق التحريف، وإلا لما ساغ له أن يأتى بالكتم فى آيات والإخفاء فى آيات. والإخفاء لبعض آيات الكتاب لا يستلزم تغيير تلك الآيات وتبديلها بل ينفي هذا القول فى الكتاب فمن هذه الآيات قوله فى سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ وقال البيضاوي تفسيراً لهذه الآية: إن الذين يلعنهم الله كأخبار اليهود ﴿أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ كالأيات الشاهدة على أمر محمد ﷺ ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ وما

يهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به من بعده ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ في التوراة. وقال ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآية: سأل معاذ ابن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل وخارجة ابن زيد أخو الحارث ابن الخارج نفراً من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم عنه؛ فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾

والظاهر: أن الآيات التي كان أهل الإسلام يظنونها أنها تشهد لنبوة محمد كانت باقية في التوراة، غير أن اليهود كتموها عنهم، إما بعدم إظهارها وإنكار وجودها في كتابهم، وإما بتأويلهم إياها بغير معتقد المسلمين. ومنها قوله في سورة البقرة أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ ومنها قوله في سورة البقرة أيضاً: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ومنها قوله في سورة آل عمران: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ومنها وقوله في سورة المائدة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ومنها قوله في سورة آل عمران: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل

الكتاب ﴿لَفَرِيقًا يَلُوكُونَ السِّنِّهَم بِالْكِتَابِ لِحَسْبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ومنها في سورة الأنعام: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّوهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ قال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: إن اليهود كانوا يكتبون التوراة في أوراق متفرقة، أي كراريس أبدوا بعضها وأخفوا بعضها لا يشتھونها. فحاصل المعنى: أنهم كتبوا جميع أجزاء التوراة بتمامها وحفظوها عندهم، وإنما وبخوا على إخفاء بعض أجزاء منها ولو حصل من القرآن شك بصحة التوراة، وكان المراد منه توبيخ اليهود على إفساد كتابهم؛ لبيان في هذه الآية لا محالة، ولما نص فيه على إخفاء بعض الأوراق والكراريس فقط. وهذه الآية تشهد بصريح اللفظ بأن التوراة التي كانت في أيام محمد في أيدي اليهود والتي كانت ينسخونها في كراريس هي من الله لا محالة. فمفاد هذه الآيات جميعها: أن آيات التوراة التي ظنها محمد شاهدة لنبوته كانت باقية فيها، وأنه لم يتجاسر أحد على تغييرها أو تبديلها أو زيادة عليها أو نقص منها، وأنهم حرفوها بالتأويل وكنتم وإخفاء بعض آيات منها وتلبيس الحق بالباطل. أي تفسيره بالباطل. وبما ليس المقصود منها. وهذا هو التحريف المعنوي الذي يكون بالتأويل والكنتم والإخفاء"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن هذا القسيس قد أطل الكلام في هذه القضية وأفرط في التطويل المحذور والذي يعلم من كلامه هذا عدم النزاع في وقوع التحريف المعنوي، وإنما النزاع في التحريف اللفظي بالتغيير والتبديل والزيادة والنقصان. ولقد ثبت فيما قدمناه لك: أن التحريف بسائر أنواعه قد وقع من أحبار اليهود في جميع أجزاء التوراة فكتموا بعضها وأخفوا بعضها وأولوا بما يشتهون بعضها، وحرقوا بعضها ومزقوا بعضها وحرفوا بعضها تحريفاً معنوياً والبعض الآخر تحريفاً لفظياً بأنواعه الثلاثة. وهذا لا سبيل إلى إنكاره بعد ثبوت وقوعه فيها بالحس والمشاهدة. وماذا يقول هذا القسيس في ذلك بعد اعتراف المحققين من مفسريهم ومؤرخيهم في وقوع التحريف اللفظي في غالب أصحابات التوراة وعباراتهم في هذا المقام طويلة الذيل لا يجعلها المعنيون بالاطلاع على ما تكشفه الأفكار من غرائب الفوائد وقت سياحتها العلمية ويكفى من تلك ما أسلفناه لك أيها اللبيب صدر الكتاب فرارا من التطويل المحذور في هذا المختصر؛ لكنني أذكر لك لزيادة الإيضاح عن صاحب إظهار الحق قولاً واحداً نقله عن علماء كثر في تلك في الشاهد التاسع عشر من المقصد الثالث في إثبات التحريف بالنقصان. وهو هكذا: "إن اليهود ضيعوا كتباً كثيرة من كتب الأنبياء قصداً لعناد الدين المسيحي" انتهى ملخصاً. ثم قال: "وقد ألف مفرد كاتلك كتاباً سماه بسؤالات السؤال. وطبع هذا الكتاب في مدينة لندن سنة ألف وثمانمائة وثلاث وأربعون من الميلاد.

فقال فى السؤال الثانى هكذا: "الكتب التى كان فىها هذا يعنى ما نقله متى الإنجيلى من أن المسيح سيدعى ناصريا انمحت لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن لا يوجد فى أحد منها أن عيسى يدعى ناصريا. قال كرىزاستم فى تفسيره التاسع على متى: "انمحي كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتبنا لا لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها" انتهى قول كرىزاستم. قال مفرد: "وهذا هو الأغلب جدا أنهم مزقوا الكتب وحرقوها لأنهم لما رأوا أن الحواريين يتمسكون بهذه الكتب فى إثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الأمر. ويعلم هذا من إعدامهم كتبنا نقل عنها متى. انظروا إلى جستن يقول فى المناظرة لطريفون: "اليهود أخرجوا كتبنا كثيرة من العهد العتيق ليظهر أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق. ويعلم من هذا: أن الكتب الكثيرة انمحت" انتهى كلام مفرد.

قال الشيخ رحمة الله: "ويظهر منه أمران: الأول: أن اليهود مزقوا بعض الكتب وأحرقوا البعض لأجل عدم ديانتهم. والثانى: التحريف كان سهلا فى سالف الأزمان. ألا ترى كيف انمحت هذه الكتب بإعدامهم عن صفحة العالم". قال: "وإذا عرفت ديانة أهل الكتاب بالنسبة إلى الكتب الإلهية وعرفت سهولة وقوع التحريف فى الزمان السالف فأى استبعاد عقلى أو نقلى لو قلنا إنهم فعلوا مثله بالكتب أو بالعبارات التى كانت تشهد صراحة لنبوة محمد ﷺ؟"

قلت: ومن يطلع على أصحاحات سفر أخبار الأيام الأول والثانى وأسفار الملوك من كتبهم المقدسة يقف على حال ديانة بنى إسرائيل وقبائحهم التى أجروها فى سالف الأزمان بالنسبة إلى التوراة وأحكامها، وإذا كان حالهم فى تلك الأيام كما ذكر هناك، فكيف يكون حالهم مع التوراة فيما بعدها؟ ولعمري إن داءهم هذا لفى ازدياد فى كل زمان بعده زمان، حتى سرى ذلك الداء فى أعضاء علماء المسيحيين. غير أن هذا الداء فى علماء ملة بروتستنت أشد، لا يرجى شفاؤهم منه، كما قد عرفت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه. وما أطربنى من قوله عن شأنه فى معرض التحريف ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أى من أهل الكتاب ﴿الْأَقِلَّامِ مِنْهُمْ﴾ أى لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم . فهذا البحث مع ما أسلفته فيما تقدم يكفى البالغ حد التمييز فى إثبات وقوع التحريف اللفظى فى التوراة. والآيات القرآنية التى ذكرها هذا القسيس ههنا ليستدل بها على أن المراد بالتحريف المذكور فى آيات القرآن إنما هو التحريف المعنوى لا التحريف اللفظى؛ فليس بشئ بل هو غلط منه أو تغليب منشأه شدة التعصب وعدم الإنصاف.

فإن الآيات الواردة فى كتم اليهود كلام الله وإخفائه لا يتعين حملها على التحريف المعنوى، كما زعم، وإنما هى تحتمل المعنيين المذكورين - أعنى التحريف المعنوى والتحريف اللفظى - إذ من المعلوم للمتبحر فى العلوم بل لا يخفى على من له أدنى إطلاع على كتب اللغة أن الكتم والإخفاء فى لغة العرب هو ترك إظهار الشئ

قصدا مع مسيس الحاجة إليه، وتحقق الداعى إلى إظهاره، لأنه متى لم يكن كذلك لا يعدّ من الكتم والإخفاء وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، وقد يكون بإزالته عن موضعه بالكلية أو وضع شئ آخر موضعه. وهذا هو التحريف اللفظى بعينه. وحيث تبين لك أيها العاقل اللبيب ورود آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل صراحة على وقوع التحريف اللفظى؛ تعين حمل هذه الآيات عليه لا محالة، كما هو قواعد التفسير. وبرهان الحسّ والمشاهدة يؤكد ذلك. وعليه جرى أكثر المفسرين فى تفسيرهم لأيات الكتم والإخفاء. ففى الجاللين تفسيراً للآية الأولى التى نقلها من سورة البقرة ما لفظه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ أى التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أى يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْإِسْلَامُ﴾ الملائكة والمؤمنون، أو كل شئ بالدعاء عليهم باللعنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك وأصلحوا عملهم وبينوا ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. وقال أبو السعود فى تفسيره: المراد من قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْإِسْلَامُ﴾ بيان دوام اللعن واستمراره، وعليه يدور الإستثناء المتصل فى قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أى عن الكتمان ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أى ما أفسدوه بأن أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف. فانظر أيها الموفق إلى هذه

الأقوال فإنها تفيد بصريح اللفظ أن المراد بالكتم ها هنا التحريف اللفظي. وهو الحق بدليل: ذكر الإصلاح والتمييز. وكذلك فسرهما غيرهم من محققى المفسرين. وأما الكتم فى الآية الثانية. فلقد فسرهُ صاحب الجلالين وغيره من المحققين بما فسروا به الآية الأولى وقالوا فى تفسير الآية الثالثة الى أوردتها القسيس وهى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم علماء اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أى محمداً ﷺ بأوصافه ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ فإنهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم. روى عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله ابن سلام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال؟ لأنى لست أشك فى محمد أنه نبي. فأما ولدى فلعل والدته قد خانت. فقبل رأسه ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾ أى من أهل الكتاب وهم علماؤهم ﴿لَيَكُونَنَّ الْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ وغيره ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أى أنهم كاتمون وتذكر ما تلوناه عليك فى تفسير الآية الأولى. قال صاحب الجلالين فى تفسير الآية الرابعة التى ذكرها القسيس من سورة آل عمران: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أى من اليهود والنصارى ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أى تخلطون ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ أى بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾ أى نعت النبي ﷺ وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق. وفى تفسير البيضاوى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف وإيراز الباطل

فى صورته ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوة محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عالمين بما تكتمونه. وفى تفسير النسفى: ولبس الحق بالباطل خلطه والباء فى قوله بالباطل إن كانت صلة مثلها فى قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به؛ كان المعنى ولم تكتبون فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتمتوه حتى لا يميز بين صحيحها وباطلها؟ وإن كانت باء الاستعانة كالتى فى قولك كتبت بالقلم؛ كان المعنى لم تجعلون الحق ملتبسا مشتبهاً بباطلكم الذى تكتبونه بأيديكم وتكتمون الحق وأنتم تعلمون أنكم لابسون وكاتمون؟ ولعمري أن اللبس والخلط الواقع فى التوراة والإنجيل لا يخفى على المميز من الصبيان بل لا يخفى على من له أدنى درجة من العقل وذرة من الذوق.

وأما تفسير قوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ فى الجلالين ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ أى تكتبونه فى دفاتر مقطعة ﴿يُبَدُّونَهَا﴾ أى ما تحبون إبداءه منها ومما ﴿وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ فيها كنعيت محمد ﷺ ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ أيها اليهود فى القرآن ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ من التوراة ببيان ما اختلفتم فيه ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أى الله أنزله. إن لم يقولوه. لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ أى اتركهم فى ﴿خَوْضِهِمْ﴾ أى أباطيلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ وفى حاشية

الجمال على الجلالين ما لفظه: "وإنما جعلوا التوراة في كراريس مفارقة
ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه بخلاف ما لو جعلوا الكل في مجلد
واحد، كالمصحف. فربما اطلع غيرهم على جميع ما فيها" انتهى. قلت:
وعبارة البيضاوى التى ذكرها هذا القسيس صاحب البرهان فى ذيل
هذه الآية ليست هى كما ذكرها، وإنما هى فى سائر النسخ هكذا:
"وتضمن ذلك. أى قوله ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ إلخ توبيخهم على سوء
جهلهم بالتوراة، وذهمهم على تجزئتها بإبداء بعض ما انتخبوه وكتبوه
فى ورقات متفرقة وإخفاء بعض لا يشتبهونه"

قلت: وهذه العبارة تقتضى بصريح اللفظ أن البعض الذى يخفونه
هو الذى لم يجعلوه فى القراطيس، وعليها يكون قول المفسر صاحب
الجلالين. مما فيها معناه مما فى التوراة. وذلك الكثير هو الذى لم
يكتبوه فى القراطيس. فما أحبوا إظهاره كتبوه وما لم يحبوا إظهاره لم
يكتبوه ولم ينقلوه منها. كذا فى حاشية الجمل على الجلالين. وعليه
تكون هذه الآية نص صريح فى إثبات التحريف بالنقصان، والآيات
التى قبلها تدل على إثبات التحريف والتغيير والتبديل، عدا قوله تعالى
فى سورة آل عمران: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ﴾ أى من أهل الكتاب ﴿فَرِيقًا يَلُونُ السِّنِّهُمْ
بِالْكِتَابِ لِحُسْبُوهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإن ظاهر هذه الآية الشريفة يدل على
التحريف بالمعنى. والتى تدل على إثبات التحريف بالزيادة قوله تعالى

في حق أهل الكتاب: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ فظاهر هذه الآية يدل على التحريف، بالزيادة غير أن كلام المفسرين يفيد أنها عامة في التحريف والأكثر على أنها واردة في التغيير والتبديل. والحاصل أن قبائح أهل الكتاب تنوعت بالنسبة إلى كلام الله تعالى فأخفوا بعضه وكتموا بعضه وزادوا في بعضه ونقصوا من بعضه وحرفوا بعضه تحريفا معنويا والبعض الآخر تحريفا لفظيا بالتغيير والتبديل. وبرهان الحس والمشاهدة يؤكد ذلك. ومن اطلع على كتبهم المقدسة لا يخفى عليه هذا الأمر البديهي، ويعلم أن ما ادعاه صاحب البرهان غلط منه وافتراء محض لا يلتفت إليه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

الآيات القرآنية التي نزلت في تحريف التوراة قد نزلت في المدينة المنورة ولم تنزل في مكة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " ثم مما يستحق الاعتبار في هذا المحل أن تحريف أهل الكتاب كتابهم ليس له ذكر في آية من الآيات المكية، بل يذكر فيها التوراة والإنجيل بغاية التعظيم والتوقير، ككونهما كتابين منزلين من عند الله، وأن القرآن أنزل مصدقا لهما. والسبب في ذلك: أن محمداً كان في بداية أمره يرجو إمالة اليهود والنصارى إليه ويشوقهم إلى قبول نبوته قائلاً: إن اسمه وصفاته موجودة في كتبهم. ولما قرر لهم ذلك انضم إليه بعض منهم؛ فأسلم. وأكد ذلك.

وأما أكثرهم فامتنع من تصديق نبوته وأنكر وجود ذكره في الكتابين. فلما انقطع أملهم من دخول اليهود والنصارى في دينه؛ أخذ يلومهم على تحريف كلام الله. أي أنهم مع وجود ذكره في كتبهم، ومع أنهم يعرفونه بسبب هذه الدلائل كما يعرفون آبائهم؛ لم يقبلوه مؤولين تلك الآيات الشاهدة له تأويلاً مغايراً لمعناها الحقيقي. فإذا ثبت أن محمداً سلم بصحة التوراة والإنجيل كامل مدة إقامته في مكة، كما يظهر من السور المكية. أفنقول إنه كذب نفسه لما انتقل إلى المدينة وأنكر في المدينة ما أثبتته في مكة؟ والخلاصة: إن الآيات القليلة الواردة في السور المدنية هي التي يذكر فيها تحريف أهل الكتاب لبعض ما في كتابهم. فليس المقصود منه التحريف اللفظي، بل

كما أوضحنا آنفاً. فخلاصة ما تقدم: أن القرآن لم يقع فيه شك بصحة التوراة والإنجيل أصلاً فضلاً عن أن يشهد بتغيير وتبديل وقعا فيهما"

أقول لله در من قال:

إذا عجز الغبي؛ أتى السفاهة

فإن هذا القسيس لما استضعف أدلته التي أوردها على عدم تحريف التوراة والإنجيل؛ أخذ يطعن في الحضرة النبوية بما لا يليق بحضرة جنابه الشريف ومقامه المنيف. لكن مثل هذا لا يعول على ما يقوله لشدة حماقته وجهله وفرط تعصبه بل وكفره. فكلام مثل هذا لا يُوجب نقصاً في مقامه الرفيع. وهذه عادة الله سبحانه في أنبيائه وأصفيائه. كما ورد في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ فما أرسل من نبي إلا وجعل له أعداء من المجرمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. ولقد أتى اليهود أهل الكفر والجحود بما هو أعظم من هذا فنسبوا إلى سيدنا ومولانا المسيح عليه السلام وإلى أمه العذراء البتول ما هو أشد في المقال وأعظم في البهتان، ولا ضرر عليهما في ذلك وما أطربنى من قول من قال:

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكفى بجهنم جزاءً وافياً لمن كفر برسول الله الطاهرين، المؤيدين بالمعجزات الباهرات والآيات البينات. ولولا أن القصد من هذه الرسالة تبين غلط هذا القسيس لبنى جلدته لاكتفيت بالضحك من كلامه عن الجواب، لكنى جمعت بين الضحك والاعتناء على ضد ما استحسنته الأفكار.

فأقول: أما الجواب عن قوله إن تحريف أهل الكتاب كتابهم ليس له ذكر في الآيات المكية... إلخ فهو ما سيطلب عليك. اعلم: أن الآيات المكية هي ما نزلت على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، والآيات المدنية هي ما نزلت عليه بعدها، وحيث من المعلوم أن مكة المشرفة لم تكن مسكناً لأهل الكتاب، وإنما كانت مسكناً لمشركي العرب الذين كانوا على رسوم فاسدة؛ نزلت الآية المكية للرد عليهم وإزاحة شبههم الداحضة، مع قيام الحجة عليهم، وتقرير دلائل التوحيد والنبوة بأبلغ عبارة وأوضح بيان، ولم يكن فيها ذكر قبائح أهل الكتاب التي تنوعت بالنسبة إلى تحريفهم كلام الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق وغلطهم في السيد المسيح وأمه العذراء البتول؛ لما عرفت أنهم لم يكونوا من سكان مكة المشرفة، وإنما كانوا من سكان المدينة المنورة.

ولا يخفى أن آيات القرآن المجيد كانت تنزل نجوماً بحسب الوقائع والأحوال. ولما أمر الله ﷻ نبيه الأكرم ورسوله الأفخم بالهجرة من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة اجتمع ﷺ مع أهل الكتاب فبلغهم رسالته ودعاهم إلى الإيمان به وبشريعته الغراء؛ فأمن بعضهم وهو

أجلهم علما وأعظمهم قدراً. كعبد الله ابن سلام، وتبعه على ذلك جماعة من أكابر أحبارهم وأعز أمرائهم. ولم يكن إسلامهم عن رغبة في شئ من حطام الدنيا الفانى، بل رغبة منهم في الآخرة الدائم نعيمها عن بصر وبصيرة ومعرفة تامة بعلامات النبوة التى كانوا يعلمونها. وما كفر به إلا أجهلهم عنادا أو حسدا منه أو طمعا ورغبة فى رياستهم وإمارتهم التى كانوا عليها. وهؤلاء الذين عمدوا إلى اسمه الشريف فحذفوه من التوراة وجاؤا إلى صفاته الشريفة فحرفوا بعضها تحريفا لفظيا كعادة أسلافهم المستحسنة عندهم. فنزلت الآيات المدنية توبخهم على هذا الفعل الشنيع وتذمهم على هذا الداء الموروث عن أسلافهم. قال تعالى: ﴿ أَقْطَعُكُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ أى من أسلافهم ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة فى ذم اليهود أهل الكفر والجحود. فلو نزلت تلك الآيات الكريمة بمكة المشرفة لم يكن فى إنزالها كبير فائدة^(١) لما

(١) كان يجب على المؤلف رحمه الله- أن يجيب بقوله: إن القرآن المكى والقرآن المدنى. ليس من دليل قوى من القرآن على التفرقة بينهما. حتى نقول بالمكى والمدنى. والتفرقة بينهما من روايات غير موثقة. وبذلك على ذلك: قراءة كتب التفاسير فإنها غير متفقة على المكى والمدنى، وغير متفقة أيضا على عدد بعض آيات السور.

١- فسورة الأنفال قيل مدنية إلا سبع آيات منها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة. هكذا فى الخازن والبغوى.

٢- وسورة الرعد قيل إنها مكية، وقيل إنها مدنية. والقولان مرويان عن واحد هما ابن عباس. هكذا فى الخازن.

عرفت أن مكة المشرفة لم تكن مسكنا لأهل الكتاب، الصادر منهم تلك القبائح، بل كانوا من سكان المدينة المنورة. ولهذا كان بالآيات المدنية توبيخهم مع ذم النصارى وبيان غلطهم فى حق السيد المسيح وأمه العذراء البتول، وأنه رسول الله إلى بنى إسرائيل وأنهم ما قتلوه وما صلبوه بل رفعه الله إليه طاهرا مطهرا من كل دنس وسوء، مع تقرير دلائل نبوة نبينا ﷺ وأن اسمه وصفاته موجودة فى التوراة والإنجيل، وأنهم بسبب تلك الدلائل يعرفونه كما يعرفون أبنائهم بل معرفتهم به أشد. وأن من يبتغ غير دين الإسلام ديناً؛ فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وكلها مدنية نزلت بعد اجتماعه ﷺ بأهل الكتاب.

فما سلكه صاحب البرهان فى مقالته هذه؛ غلط منه منشأه التعصب من سوء الاعتقاد. وأما قوله: "فإذا ثبت أن محمداً ﷺ سلم بصحة التوراة والإنجيل كامل مدة إقامته بمكة كما يظهر من السور المكية. أفنقول أنه كذب نفسه لما انتقل إلى المدينة وأنكر فى المدينة ما ثبته بمكة؟" فلا يخفى ما فيه من الغلط وسوء الأدب مع الصادق الأمين. لكن مثل هذا لا يعول على ما يقوله -كما عرفت- وما رأينا آية من الآيات المكية ولا آية من الآيات المدنية يفهم منها ذم التوراة والإنجيل والنبى ﷺ مازال مدة إقامته بمكة المشرفة ولم يزل مدة إقامته بالمدينة المنورة يسلم بصحة نزول التوراة والإنجيل على موسى

٣- وسورة الإسراء هى مكية فى قول الجماعة. إلا أن بعضهم يقول فيها مدنى.

وعيسى -عليهما السلام- وأنهما كتابان كريمان جليلان نزلا من عند الله نورا وهدى للناس، غير أنه ما شهد لهما بالحفظ من وقوع التغيير والتبديل فيهما بل صرح بوقوعه في مواضع متعددة. فوبخ أهلها على إحداث ذلك فيهما وناقضهم بل كذبهم فيما دسّوه فيهما من نسبة الكذب والخيانة والكفر والزنا إلى أنبياء الله الكرام ورسله الفخام، ونمهم على خلطهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يعلمون.

فالتوبيخ والذم واردان في القرآن المجيد إنما وقعا على أهلها المحرفين لهما لا عليهما. كما فهم القسيس حتى نسب للنبي ﷺ ما لا يليق بجنابه الرفيع ومقامه المنيف. ولقد ذكرني هذا ما تكرر التصريح به من علماء المسيحيين سيما فرقة بروتستنت وإنجيلهم في ذم التوراة وموسى وسائر أنبياء إسرائيل عليهم السلام.

وأنا أنقل لك ههنا بعض أقوالهم في ذلك ولا أخشى من التطويل اليسير فأقول: قال وارد كاتلك في الصفحة الثانية والثلاثين من كتابه المطبوع سنة ألف وثمانماية وإحدى وأربعين ميلادية هكذا: "قال لوطر في الصفحة الأربعين وإحدى وأربعين من المجلد الثالث من كتابه: "لانسع من موسى ولا ننظر إليه؛ لأنه كان لليهود فقط ولا علاقة له بنا في شئ ما" وقال في كتاب آخر: "نحن لا نسلم موسى ولا توراته لأنه عدو عيسى" ثم قال: "إنه أستاذ الجلادين" ثم قال: "لا علاقة للأحكام العشرة بالمسيحيين" ثم قال "لنخرج هذه الأحكام العشرة لتزول كل بدعة حينئذ لأنها منابع البدعات بأسرها" وقال اسنلى بيس تلميذه:

"هذه الأحكام العشرة لا تعلّم فى الكنائس" وخرجت فرقة انتى نوميس من هذا الشخص وكانت عقيدتهم أن التوراة ليس بلائق أن يعتقد أنها كلام الله، وكانوا يقولون إن أحدا لو كان زانيا أو فاجرا أو مرتكبا ذنوبا آخر؛ فهو فى سبيل النجاة البتة وإن غرق فى العصيان بل فى قعرها وهو يؤمن فهو فى سرور الذين يصرفون أنفسهم فى هذه الأحكام العشرة. فعلاقتهم بالشيطان صلب هؤلاء بموسى" انتهى.

قلت يلزم من هذه الأقوال المنقولة عن إمام فرقة بروتستنت وتلميذه الرشيد؛ كذب موسى وتوراته عند هذه الفرقة. فإن إمامهم صرح بأنه لا علاقة لهم بموسى فى شئ ولا يسمعون منه ولا ينظرون إليه ولا يسلّمون توراته؛ لأنه كان لليهود فقط، وعدوا لعيسى وأستاذ الجلادين، وأنه لا علاقة لهم بالأحكام العشرة، ويلزم إخراجها من التعاليم المسيحية لنزول كل بدعة لأنها منابع سائر البدع. وصرح تلميذه الرشيد بأن من يعرف نفسه بأحكام التوراة العشرة يكون علاقته بالشيطان ومصلوب بموسى. فعلى هذا يلزم أن يكون تكذيب موسى ~~الطبيخ~~ وعبادة الأوثان وعدم تعظيم الأبوين وإيذاء الجار والسرقة والزنا والقتل وشهادة الزور من أعظم أركان ملة بروتستنت؛ لأن جميع هذه الأمور على خلاف أحكام التوراة العشرة التى هى منابع سائر البدعات عندهم. قال الشيخ رحمة الله: قال لى البعض من هذه الفرقة أيضا: إن موسى عندنا ما كان نبيا، بل كان عاقلا مدونا للقوانين. ثم قال: وقال لى البعض الآخر من هذه الفرقة أيضا: إن موسى عندنا كان سارقا

لصا. قال: فقلت له: اتق الله تعالى. قال: لم؟ وأن عيسى قال: "جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم" كما صرح بذلك يوحنا الإنجيلي في العدد الثامن من الأصحاح العاشر من إنجيله. قال: فأشار بقوله: "جميع الذين أتوا قبلي" إلى موسى وغيره من أنبياء بنى إسرائيل"

قلت: والظاهر أن هذا القول هو الدليل لإمام فرقة بروتستنت وتلميذه في ذم موسى وتوراته. ولقد جاء مثله في هذا الإنجيل كثير. ففي العدد الحادي والعشرين من الأصحاح الثاني من رسالة بولس إلى أهل غلاطية هكذا: "إن كانت العدالة بالناموس؛ فقد مات المسيح عبثاً" انتهى. والمراد بالناموس: توراة موسى وما بعدها من كتب الأنبياء- عليهم السلام- قال داکتر همنڊ في شرح هذا المقام هكذا: "لا أستعمل هذا العتيق لأجل ذلك ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى ولا أفهم أن أحكام موسى ضرورية لأنه يجعل المسيح كأنه بلا فائدة" انتهى. وجاء في الأصحاح الثالث من رسالة بولس المذكورة هكذا: "جميع ذوى أعمال الشريعة ملعونون. لا يتزكى أحد عند الله بالناموس؛ فإن الناموس لا يتعلق بالإيمان وأن المسيح افتدانا من لعنة الناموس؛ إذ صار لعنة لأجلنا" انتهى ملخصاً. وقد صرح في هذا الأصحاح المذكور بأن لا طاعة لأحكام التوراة بعد الإيمان بعيسى عليه السلام وقال في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل أفسس هكذا: "ونقض حائط السياج. أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض" انتهى.

فانظر أيها اللبيب إلى قديس المسيحيين بولس. كيف أطلق على التوراة لفظ العداوة وأنها بطلت بمجيئ جسد المسيح عليه السلام. وقال في العدد الثامن عشر من الأصحاح السابع من رسالته إلى العبرانيين هكذا: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئاً" فهذه العبارة تدل بصريح اللفظ أنه يلزم إبطال التوراة لأجل ضعفها وعدم نفعها وأنها لم تكمل شيئاً. وقال في العدد السابع من الأصحاح الثامن من رسالته العبرانية هكذا: "فإنه لو كان ذلك الأول -يعني التوراة- بلا عيب؛ لما طلب موضع لثان "يعني الإنجيل. ثم قال في العدد الثالث عشر من نفس الأصحاح: "فإذا قال جديداً عتق الأول، وأما ما عتق وشاخ؛ فهو قريب من الاضمحلال" كذا في النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانية وأربعين هكذا: "فلو كان العهد الأول غير معترض عليه؛ لم يوجد للثاني موضع" ثم قال: "فبقوله عهداً جديداً صير الأول عتيقاً. والشيء العتيق والبالى؛ قريب من الفناء" انتهى.

فهذه الأقوال جميعها صريحة اللفظ في الدلالة على ذم التوراة وموسى أيضاً بل وجميع أنبياء بني إسرائيل. وأي ذم أيها العاقل اللبيب أعظم من قول لو طر إمام فرقة بروتستنت وتلميذه أن موسى كان عدواً لعيسى، وأنه كان إمام الجلادين، وإن أحكام التوراة العشرة يلزم إخراجها من تعاليمهم لتزول كل بدعة؛ لأنها منبع سائر البدع، وأن من يصرف نفسه في أحكامها العشرة فعلاقته في الشيطان، ومصلوب بموسى. وأنه لا يليق بالعاقل أن يعتقد بالتوراة أنها كلام الله. وأي قول في ذم موسى وأنبياء بني إسرائيل أشد من قول الإنجيل إن جميع الأنبياء الذين أتوا قبل المسيح هم سراق ولصوص. وأي ذم للتوراة أشد من قول بولس قديس المسيحيين: لو

كان بالتوراة عدالة؛ لكان المسيح مات عبثاً، وإنه لا يعتمد عليها في النجاة، وإن جميع من يعمل بها ملعون لا يتركى بها عند الله أحد؛ لأنها لا علاقة لها بالإيمان، وإنها عداوة بطلت بجسد المسيح، وإنها ضعيفة عديمة النفع ولم تكمل شيئاً، وإنها قريبة من الفناء والاضمحلال، وإنها لو لم يكن بها عيب لم يوجد للإنجيل موضع. فالعجب كل العجب من هذا القسيس صاحب البرهان كيف ينسب لحضرة النبي ﷺ ما هو واقع من إنجيلهم وأشهر علمائهم، لكن هذا لا يستغرب على ملة بروتستنت. فإن عاداتهم ذلك. والحاصل: أن ذم التوراة إنما وقع من إنجيل النصارى ومقدسيهم وعلمائهم المعتبرين. وما وقع من القرآن المجيد شيء من ذلك. والذم والتوبيخ الواردان فيه إنما وقعا على أهل التوراة والإنجيل المحرفين لهما لا عليهما.

شبهة إقامة التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "وفضلاً عن عدم وجود إشارة في القرآن إلى تغيير وتبديل التوراة والإنجيل؛ تراه يذكرهما بغاية الوقار والتعظيم على أسلوب لا يظهر أدنى شك من جهتهما فتراه دائماً يحرض اليهود والنصارى على أن يقيموا^(١) التوراة والإنجيل. يعني يعملوا بأحكامهما ولو كانا مغيرين أو مبدلين؛ لما أمر باتباعهما. كيف؟ وأن القرآن يطلب منهم أن يقيموهما ويعملوا بما فيهما. ولو كان فيهما تغيير أو تبديل لأمرهم أولاً بإصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه. وبعد ذلك يحثهم على العمل به. فمن الآيات المشار إليها: قوله في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفي سورة يونس: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وفي سورة المائدة: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ

(١) في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوانك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود اسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لنلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط إخوانهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"

يَحْكُمَ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾ وقوله في المائدة أيضاً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقوله في سورة القصص: ﴿قُلْ فَاتُوا بَكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ أي من التوراة والقرآن ﴿أَتَبِعْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فهذه الآية تعظم التوراة كالقرآن على حد سواء، من دون تمييز بينهما. أي تفضيل أحدهما على الآخر. وقوله في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ - ﴿إِنَّمَا أَنزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ (أي اليهود والنصارى) ﴿مِّن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من راجع ما تقدم من الأبحاث واطلع على الآيات القرآنية المصرحة بوقوع التغيير والتبديل في التوراة والإنجيل؛ علم بالبدهاة واليقين أن دعوى القسّيس ههنا بعدم وجود إشارة في القرآن المجيد إلى تغيير وتبديل التوراة والإنجيل؛ غلط منه ودعوى باطلة، بل عاطلة قطعاً. والآيات التي أوردها ههنا ليستدل بها على صحة دعواه في غير محلها ولا تدل بوجه ما على ذلك، بل يفهم من إيرادها في هذا المقام أن هذا القسّيس لا يدري ماله وما عليه. فإياك وإياه. أيها المتنبه.

لكنني أشرح لك مبانيها وأبين معانيها لتكون على بصيرة تامة فأقول:
أما معنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمُ

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فهذه الآية مكية نزلت جواباً لمشركي العرب عن قولهم في حق النبي ﷺ: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؟» فأمرهم الله سبحانه أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة^(١). كذا في

(١) المؤلف نقل عن المفسرين. وهم مخدوعون مثله من الرواة. وذلك لأن «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ» لليهود الأميين أن يسألوا علماء بني إسرائيل إن كانوا لا يعلمون بالبينات والذبر. فالوقف على لا يعلمون خطأ. وصحته الوقف على الذبر. ويدلك على أن المخاطبين بالسؤال هم اليهود: ما قبل الكلام وما بعده والبينات والذبر عند علماء بني إسرائيل. والعرب ليسوا هم السائلون؛ لأنه قال «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» والناس هم اليهود لقوله: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَبْصُرُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»

وفي التوراة في نبوءة عن محمد ﷺ يقول لليهودي إذا شككت فاسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك يعنى بالآباء والشيوخ؛ علماء بني إسرائيل. ومما جاء في هذه النبوءة: "أنصتي أيتها السماوات فأتكلم و لتسمع الأرض أقوال فمي يهطل كالمنطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي كالطل على الكلا وكالوابل على العشب إني باسم الرب أنادي أعطوا عظمة لإلهنا هو الصخر الكامل صنيعه أن جميع سبله عدل اله أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو افسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم جيل اعوج ملتو الرب تكافئون بهذا يا شعبا غيبا غير حكيم اليس هو أباك ومقتنيك هو عملك وانشاك اذكر أيام القدم وتأملوا سني دور فدور اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك"

وليعلم علماء المسلمين جميعا أن العرب لم يشركوا بالله، ولم يعبدوا الأصنام. والذين ألصقوا بهم تهمة البعد عن الله هم اليهود. واليهود هم الموصوفون في القرآن بالشرك. ولكنهم فسروا عن طريق الرواة لفظ الشرك على العرب. واليهود مشركون حقا لأنهم يسمعون من الأحبار الذين يحلون لهم ويحرمون. فيكونون مشركين الأحبار مع الله في التشريع. أما العرب فإن الله قد استجاب فيهم دعاء إبراهيم عليه السلام

وهو ﴿وَأَجْتَنِبْ بَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ولم يكن له وقت الدعوة إلا ولده إسماعيل عليه السلام.

وليُعلم علماء المسلمين جميعاً: أن العرب لم يندوا البنات. وفي كتاب التوراة أن اليهود ذبحوا بنينهم وبناتهم إرضاء للأصنام. ففي سفر إشعياء: "باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه ورجال الإحسان يضمنون وليس من يفتن بأنه من وجه الشر يضم الصديق يدخل السلام يستريحون في مضاجعهم السالك بالاستقامة أما انتم فتقدموا إلى هنا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية بمن تسخرون وعلى من تغفرون الفم وتدلعون اللسان أما انتم أولاد المعصية نسل الكذب المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعازل في حجارة الوادي الملص نصيبك تلك هي قرعتك لتلك سكبت سكبياً واصعدت تقدمة اعن هذه أتعزى على جبل عال ومرتفع وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبح ذبيحة وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك لأنك لغيري كشفت وصعدت أوسعت مضجعك وقطعت لنفسك عهداً معهم أحببت مضجعهم نظرت فرصة وسرت إلى الملك بالدهن وأكثرت أطيابك وأرسلت رسلك إلى بعد ونزلت حتى إلى الهاوية بطول أسفارك أعيبست ولم تقولي ينست شهوتك وجدت لذلك لم تضعفي وممن خشيت وخفت حتى خنت وإياي لم تذكرني ولا وضعت في قلبك أما أنا ساكت وذلك منذ القديم إياي لم تخافي أنا أخبر بترك وبأعمالك فلا تفيدك إذ تصرخين فليفتذك جموعك ولكن الريح تحملهم كلهم تأخذهم نفخة أما المتوكل علي فيملك الأرض ويرث جبل قدسي"

ومعنى آية سورة يونس: ليس كما ذكر المؤلف والمفسرون. فإن المعنى الصحيح فإن كنت أيها اليهودي الأممي المعاصر لنزول القرآن في نبوة محمد ﷺ فاسأل علماء أمتك الذين كانوا معاصرين لموسى عليه السلام فإن المأثور عنهم مدون في التوراة التي معك. والدليل على أن الشاك هو اليهودي المعاصر، لا محمد وأى مسلم من العرب أو من غير العرب: قوله قبل آية الشك: ﴿وَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وبعد آية الشك: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ والمراد بالناس في جميع سور القرآن اليهود. وغيرهم مخاطب من

البيضاوي. وفي حاشية الجمل على الجلالين نقلاً عن أبي السعود. والمعنى: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد جنسك نوحى إليهم، فاسألوا أهل الذكر توجيه هذا الخطاب إلى الكفرة لتبكيته واستنزاهم عن رتبة التكبر. أي اسألوا أيها الجاهل أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال إن كنتم لا تعلمون ذلك. فإنهم يعلمون ولا يخفى أن هذا ليس مما نحن فيه، بل كلامنا في حدوث التغيير والتبديل في التوراة والإنجيل. فأين هذا من ذاك؟ والعجب أن هذا القسيس لا يعرف الدليل من المدعى. ثم قال ما قال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ومعنى آية سورة يونس: قل يا محمد للشاك فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من القصص وأخبار نبوتك؛ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك؛ فإنه محقق عندهم. على الجلالين. ثم قال: والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأخبار حسبما هو المسطور في كتبهم، وإن لم يكن له حاجة إلى سؤالهم. قلت: وعلى هذا يكون المراد بالخطاب النبي ﷺ وذلك لزيادة تثبيته ﷺ وليس لإمكان وقوع الشك له؛ فإنه محال في حقه. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لا أشك ولا أسأل" وعلى هذا قيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد: أمة الدعوى. وفي السورة ما يدل على هذا التأويل. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾

خلالهم. وقد جاء الشك عن اليهود في سور كثيرة: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ - ﴿بَلْ هُمْ فِي

شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾

وقيل: المراد غير النبي ﷺ كما في قوله تعالى ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبِطَنَ عَمَلِكُ﴾ الخطاب له. والمراد غيره. ونظائره كثيرة. وقيل: المراد كل من يسمع. أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبيك إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك. وفي هذا تنبيه على أن كل من خالفته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم. كذا قال البيضاوي مع زيادة من غيره.

والحاصل: أن الاستدلال بهذه الآية الشريفة على عدم تحريف التوراة والإنجيل في غير محله. فإنه لا يلزم من سؤال أهل الكتاب عن شيء من كتبهم؛ عدم تحريفها. سيما إذا كان المراد سؤالهم عن علامات نبوة محمد ﷺ فإن اعتقادنا بهم أنهم ما غيروها إلا بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته. كما قال تعالى قبيل هذه الآية الشريفة: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ وقال في سورة لم يكن: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي إلا من بعد ما جاءهم محمد ﷺ فإنهم كانوا قبل مجيئه مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، ولما جاء حسده من كفر به منهم. كذا في الجلالين. وأما معنى قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فقد قدمنا لك معناها فيما تقدم صدر الكتاب بما يشفي العليل ويروي الغليل. وإذا رجعت إلى هناك ترى أنه غير لائق بعلم هذا القسيس الاستدلال بها على صحة دعواه؛ فإن منطوقها صريح في أنها خبر من الله سبحانه وتعالى لنبيه

المصطفى بما فرضه على أهل الإنجيل من الحكم بما تضمنه الإنجيل في وقت نزوله. فعليه لا تكون مما نحن في صدد. ومعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: سبب نزول هذه الآية أنه جاء لرسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع ابن حرملة وقالوا: يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم وتؤمن بما عندنا من التوراة؟ فقال: بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها وكنتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس. فأنا برئ من إحداثكم. فقالوا: فإننا نأخذ بما فى أيدينا. فإننا على الحق والهدى ولم نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أى على دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئا لفساده وبطلانه ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ المنزليين على موسى وعيسى عليهما السلام ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى سائر الكتب الإلهية. قال البيضاوى: ومن إقامتها^(١) الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه. فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان به ومن

(١) معنى إقامة التوراة والإنجيل: أن اليهود لو أقاموها حقا؛ فإن الإقامة لا تكون حقة ومعتبرة شرعا إلا بالإيمان بمحمد ﷺ إذا ظهر. وذلك لأنه مكتوب فيها: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك..." فالنبي محمد هو الذى أقامه الله وأوقفه لليهود ليسمعوا منه، وليعلموا بكلامه. ونفس المعنى فى الإنجيل. فإن المسيح بشر بمقدمه بقوله "اقترب ملكوت السموات" وبكلامه عنه بأنه سوف يخبر عن أمور آتية.

صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له. قال: والمراد: إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها" انتهى.

قلت: ومن هذا يعلم عدم صحة دعوى صاحب البرهان من عدم تحريف التوراة والإنجيل، ولا يفهم من هذه الآية الشريفة إلا الحث على الإيمان بنبوّة محمد ﷺ المشار إليه تصرّيحاً وتلويحاً في كثير من أصحابات كتبهم. فإذا آمن أهل الكتاب به وبما أنزل عليه من عند الله وصدقوه واتبعوه؛ فقد آمنوا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل وعملوا بأحكامها المنزلة، وحينئذ لا حاجة لهم فيهما بشئ، فإن القرآن العظيم الذي أنزله الله على هذا النبي الكريم جاء وافياً كافياً مغنياً عن الاستعانة بغيره. فالأمر بإصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه؛ ليس بلزوم ضروري. ألا ترى يا صاحب البرهان أن المسيح عليه السلام ما بين الاختلافات المتعددة الواقعة فيما بين النسخة العبرانية والنسخة السامرية، ولا شك أن تلك الاختلافات الكثيرة كانت واقعة فيهما قبل مجئ المسيح عليه السلام؟ فلقد علمت أنه ورد في هذا الإنجيل المتداول أن امرأة من طائفة السامرة سألت المسيح عليه السلام عن الاختلاف الواقع بين توراتهم وتوراة اليهود في الموضع الذي ينبغي السجود فيه؛ فلم يبينه^(١) لها بل سكت عن البيان. وإنما قال لها: ستأتي أيام لا

(١) المسيح لم يسكت عن البيان لأنه قال لها: سوف يأتي قوم يسجدون لله بالروح والحق لأن الله طالب مثل هؤلاء الساجدين. وهم المسلمون. وأما السؤال عن العبادة الماضية وكونها مقبولة أو ليست مقبولة؛ فإن الإجابة عن الماضي لا تفيد. وهذا هو

تسجدون في هذا الجبل. يعني جريزيم ولا في اورشليم. فقلوه هذا وسكوته عن البيان؛ يدل على أن البيان ليس بلازم ضروري بعد نزول الإنجيل فكذاك إصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه في التوراة والإنجيل ليس بلازم ضروري بعد نزول القرآن. ومع هذا فلقد

النص من إنجيل يوحنا: "فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ أَنَّ الْفَرِيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصَيِّرُ وَيُعَمِّدُ تَلَامِيذَ أَكْثَرَ مِنْ يُوْحَنَّا، مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلَامِيذُهُ، تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضًا إِلَى الْجَلِيلِ. وَكَانَ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَحْتَاجَ السَّامِرَةَ. فَأَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ السَّامِرَةِ يُقَالُ لَهَا سُوخَارُ، بِقُرْبِ الضِّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ ابْنِهِ. وَكَانَتْ هُنَاكَ بئرٌ يَعْقُوبُ. فَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعَبَ مِنَ السَّهْرِ، جَلَسَ هَكَذَا عَلَى الْبِئْرِ، وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لَتَسْتَقِي مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَغْطِينِي لِأَشْرَبَ لَأَنَّ تَلَامِيذَهُ كَانُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَتَنَاقَوا طَعَامًا. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِأَشْرَبَ، وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا امْرَأَةٌ سَامِرِيَّةٌ؟ لَأَنَّ الْيَهُودَ لَا يُعَامِلُونَ السَّامِرِيِّينَ. أَحَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ أَغْطِينِي لِأَشْرَبَ لَطَلَبْتَ أَيْضًا مِنْهُ فَأَعْطَاكَ مَاءً حَيًّا. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، لَا دَلِيلَ لَكَ وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ. فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ أَلَمْ تَكُنْ أَغْطِمْ مِنْ أَيْبِنَا يَعْقُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبِئْرَ، وَشَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَوَاشِيهِ؟ أَحَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطِشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطِشَ إِلَى الْأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يُصَيِّرُ فِيهِ نَبْرَاقَ مَاءٍ يَنْبَغُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ أَغْطِينِي هَذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لَا أَعْطِشَ وَلَا آتِي إِلَى هُنَا لِأَسْتَقِي. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالِي إِلَيَّ هَهُنَا أَحَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: حَسَنًا قُلْتُ: لَيْسَ لِي زَوْجٌ، لِأَنَّهُ كَانَ لَكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجَ، وَالَّذِي لَكَ الْآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجُكَ. هَذَا قُلْتُ بِالصِّدْقِ. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! أَبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسَجَدَ فِيهِ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدَّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلْآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ، لَأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلْآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لَأَنَّ الْآبَ طَالِبُ مِثْلِ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيًّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا الَّذِي أَكَلَمُكَ هُوَ"

عرفت فيما تقدم أنه بين تحريفهما وأظهر الغلط الواقع فيهما في مواضع كثيرة لا يمكن حصرها إلا بكلفة. ولقد أسلفت لك بعضاً من ذلك فارجع إليه إن شئت.

والحاصل: أن هذه الآية لا دليل فيها لصاحب البرهان على عدم تحريف التوراة والإنجيل، وكذلك آية سورة القصص لا تدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل، وإنما هي نزلت للرد على مشركى العرب حين قالوا: إن موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا وتعاوننا بإظهار الخوارق، وتوافق الكتابين فى الهداية، وبتصديق كل منهما للآخر. وذلك أنهم أى كفار مكة بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود وأحبارهم بالمدينة فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا إنا نجد فى التوراة بنعته وصفته. فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ أَيْ بَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ كَافِرُونَ﴾ وعليه قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْ يَا مُحَمَّدُ إِلْزَامًا لَهُمْ﴾ ﴿فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ أى من التوراة والقرآن ﴿أَتَبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أى فى قولكم أنى وموسى ساحران. وليس فى هذا ما يدل على عدم حدوث التحريف فى التوراة والإنجيل. كما لا يخفى على المتبهيّن، وكذلك آية سورة الأنعام لا تدل على عدم وقوع ذلك فيهما. فإن معناها ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ أى لأجل تمام نعمتنا ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أى على

الذى أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه. أى أجاده من العلم والشرائع. أى زيادة على علمه إتماما له ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أى وبيان مفصلا لكل ما يحتاج إليه فى الدين وهدى ورحمة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أى لعل بنى إسرائيل ﴿يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ﴾ وهو البعث ﴿يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كِتَابٌ﴾ وهذا كتاب يعنى القرآن ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ أى كثير النفع ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بسبب اتباعه وهو العمل بما فيه ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أى لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ لا ندرى ما هى لغتهم، ولا نعرف مثلها. وليس فى هذا ما يدل على صحة دعوى صاحب البرهان من عدم تحريف التوراة والإنجيل، ولا يلزم من إخباره تعالى بإنزال التوراة على موسى والإنجيل على عيسى؛ عدم تحريفهما بعد ذلك. كيف وأن آيات القرآن المجيد صريحة بذلك يدركها كل من له أدنى درجة من العقل، وذرة من الذوق^(١).

(١) قول المؤلف رحمه الله- إن آية سورة القصص نزلت للرد على مشركى العرب حين قالوا إن محمدا وموسى ساحران. قوله باطل. وذلك لأن الكلام فى اليهود وهو: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾ إلخ ﴿إِشْدِيدُ قَوْلِنَا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ من العرب ﴿مَنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ والتذكير يدل على أن المخاطبين هو اليهود. لأن التوراة معهم وغفلوا عما فيها وهو يذكروهم به. أما العرب فإنهم لا يذكرون لأن التوراة ما كانت معهم. ثم قال عن اليهود: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْكُنَّا أَوْتِيَتْهُمَا أُوتِيَتْ مُوسَى﴾ أى التوراة وفتح البلاد والملك على الأمم. ورد بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَتْهُمُ مِنْ قَبْلُ؟﴾ وفى القرآن كلام كثير عن كفر اليهود ثم قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

لو كانت التوراة محرفة ما قال محمد إني مصدق لها

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "ولا شك أنه لو فرض اتيان نبي في يومنا هذا، ومعه كتاب وشهد أن كتابه مصدق للقرآن. ويقول إن القرآن منزل من عند الله هدى ونورا للناس، وطلب من أهل القرآن أن يقيموا القرآن. أى يجروا أحكامه، ويعملوا بها؛ لم يظن أحد أن ذلك النبي يشهد بأن القرآن كتاب موحى به من الله ويسلم بصحته، ومع ذلك يشك فيه أو يقول إنه مغير ومبدل، وإلا لكان كلامه متناقضا. وكذلك لو كانت التوراة والإنجيل فى أيام محمد غير باقين على أصلهما بل اعتراهما تغيير وتبديل؛ لما وسع القرآن أن يشهد أنه منزل لتصديقهما. كما رأينا فى الآيات السابق ذكرها. فهل الله سبحانه وتعالى يصدق الكذب ويثبت الغش ويشهد بالزور. تعالى عن ذلك علواً كبيراً"

يَتَذَكَّرُونَ﴾ والقول هو أن موسى واليهود وهم على جبل الطور طلبوا من موسى إذا أراد الله أن يكلمهم فليكن عن طريق موسى. وقد رد الله بقوله سأرسل إليكم من يوصل إليكم كلامى من بين إخوانكم. وقد أرسل الله محمداً إلى العرب. ووصل القول أى كلام الله وهو القرآن إلى اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ هذه النبوءة عنه. الموجودة فى سفر التثنية ١٨: ١٥-٢٢

وأخطأ المؤلف فى قوله إن الطائفتين هما اليهود والنصارى. والصحيح أنهما هم العبرانيون والسامريون.

أقول: إن شدة التعصب وعدم الإنصاف قد جعلاهذا القسيس
مسلوب الفهم؛ فإنه لا يوجد آية من آيات القرآن المجيد يفهم منها الشك
بصحة نزول التوراة والإنجيل، بل لا يوجد مسلم يؤمن بالله واليوم
الآخر يقول بأنهما غير موحى بهما من الله تعالى. كيف وأن القرآن
الكريم سلّم بصحة نزولهما على موسى وعيسى عليهما السلام ولا يلزم
من هذا عدم تحريفهما. فإن الإخبار بإنزالهما من عند الله ﷻ نوراً
وهدياً للناس لا يستلزم عدم تحريفهما حتى يقتضى التناقض -كما زعم
القسيس- كيف وأن التحريف ثبت وقوعه فيهما ببرهان الحس
والمشاهدة^(١) واعترف به الموافق والمخالف من المؤرخين فضلاً عن

(١) القسيس يغالط في إيراد هذه الشبهة. وذلك لأن أنبياء بنى إسرائيل قد اعترفوا
بتحريف التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام. والمسيح نفسه قد اعترف بتحريفها.
ومع هذا قال المسيح: اعملوا بالتوراة إلى أن يأتي النبي الذي أبشر به. ومحمد ﷺ قال:
إن التوراة محرفة، وصرح بنسخها؛ لأنه مهيم عليها. وهذا هو نص من أسفار
الأنبياء تدل على التحريف: "لإمام المغنين على الحمامة البكاء بين الغرباء مذهب
لداود عندما اخذه الفلسطينيون في جت ارحمني يا الله لان الإنسان يتهمني واليوم كله
محاربا يضايقني تهمني أعدائي اليوم كله لان كثيرين يقاومونني بكبرياء في يوم
خوفي أنا عليك اتكل الله افتخر بكلامه على الله توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي البشر
اليوم كله يحرفون كلامي علي كل أفكارهم بالشر يجتمعون يختفون يلاحظون خطواتي
عند ما ترصدوا نفسي على إثمهم جازهم بغضب اخضع الشعوب يا الله تيهاني راقبت
اجعل أنت دموعي في زقك أما هي في سفرك حينئذ تترد أعدائي إلى الوراء في يوم
ادعوك فيه هذا قد علمته لان الله لي الله افتخر بكلامه الرب افتخر بكلامه على الله
توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي الإنسان اللهم علي نذكرك أوفي ذبائح شكر لك لأنك

نجبت نفسي من الموت نعم ورجلي من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء"

وهذا هو نص للمسيح من إنجيل برنابا: "قل لي أيها الأخ : أخطر في بالك لما أتيت لتسألني في الهيكل ؛ أن الله قد بعثني لأبيد الشريعة والأنبياء؟ من المؤكد أن الله لا يفعل هذا لأنه غير متغير. فإن ما فرضه الله طريقا لخلاص الإنسان هو ما أمر الأنبياء بالقول به.

لعمرك الله الذي تقف نفسي في حضرته لو لم يفسد كتاب موسى مع كتاب آيينا داود بالتقاليد البشرية للفريسيين الكذبة والفقهاء ؛ لما أعطاني الله كلمته ولكن لماذا أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود؟ فقد فسدت كل نبوة حتى أنه لا يطلب اليوم شيء لأن الله أمر به بل يُنظر إذا كان الفقهاء يقولون به والفريسيون يحفظونه . كأن الله على ضلال والبشر لا يضلون .

فويل لهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعه دم كل نبي وصديق مع دم زكريا بن برخيا الذي قتلوه بين الهيكل والمذبح أي نبي لم يضطهدوه ؟ أي صديق تركوه يموت حتف أنفه ؟ لم يكادوا أن يتركوا واحدا وهم يطلبون الآن أن يقتلوا يفاخرون بأنهم أبناء إبراهيم وأن لهم الهيكل الجميل ملكا لعمرك الله إنهم أولاد الشيطان فلذلك ينفذون إرادته ولذلك سيتهدم الهيكل مع المدينة المقدسة تهدما لا يبقى معه حجر على حجر من الهيكل .

قل لي أيها الأخ وأنت الفقيه المتضلع من الشريعة : بأي ضرب موعد مسيا لأيينا إبراهيم ؟ أيا سحق أم بإسماعيل ؟ أحاب الكاتب : يا معلم أحشى أن أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت حينئذ قال يسوع:إن أسف أيها الأخ أن أتيت لأكل خبزا في بيتك لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ولكن لا تخشى أن تخسر الإيمان والحياة الأبدية التي تضع معي تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله .

حينئذ بكى الكاتب الصالح وقال : يا معلم لو عرفت كيف أثمر لكنت قد بشرت مرارا كثيرة بما عرضت عن ذكره لئلا يحصل شغب في الشعب أجاب يسوع : يجب عليك أن لا تحترم الشعب ولا العالم كله ولا الأطهار كلهم ولا الملائكة كلهم إذا أغضبوا الله فخير أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك ولا تحفظه في الخطيئة لأن الخطيئة تملك ولا تحفظ أما الله فقدير على خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر .

حينئذ قال الكاتب : عفوا يا معلم لأن قد أخطأت قال يسوع : الله يغفر لك لأنك إلى قد أخطأت فقال من ثم الكاتب : لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع الذي أوقف الشمس كما قد فعلت .خادمي ونبيي الله وهو كتاب موسى الحقيقي فقيه مكتوب : أن إسماعيل هو أب لمسيا وإسحق أب

ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وفيما قدمناه كفاية لأولى الأبصار.

لرسول مسيا وهكذا يقول الكتاب : إن موسى قال : "أيها الرب إله إسرائيل التقدير الرحيم أظهر لي عبدك في مناء مجدك"

فأراه الله من ثم رسوله على ذراعى إسماعيل، وإسماعيل على ذراعى إبراهيم ووقف على مقربة من إسماعيل إسحق وكان على ذراعيه طفل يشير بأصبعه إلى رسول الله قائلا : هذا هو الذى لأجله خلق الله كل شئ .

فصرخ من ثم موسى بفرح : يا إسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة اذكرنى أنا عبد الله لأجد نعمة في نظر الله بسبب ابنك الذى لأجله صنع الله كل شئ .

لا يوجد في ذلك الكتاب : أن الله يأكل لحم المواشى أو الغنم لا يوجد في ذلك الكتاب : أن الله قد حصر رحمته في إسرائيل فقط بل إن الله يرحم كل إنسان يطلب الله خالقه بالحق لم يتمكن من قراءة هذا الكتاب كله لأن رئيس الكهنة الذى كنت في مكتبته ثمانى قائلا : إن إسماعيليا قد كتبه فقال حينئذ يسوع : انظر أن لا تعود أبدا فتحجز الحق"

القرآن يشهد للتوراة المتداولة بالصحة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " فإن قال قائل: إن التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن ليسا هما الأصليين الذين أنزلا على موسى وعيسى عليهما السلام وليس المراد بهما اللذان كانا في أيدي اليهود والنصارى زمن النبي محمد؛ يكون كلامه هذا عند المنصفين من العقلاء إما جهلا وإما تعصبا؛ لأنه لا سبيل إلى إنكار أن الإشارة الواردة في القرآن هي دالة على صحة نسخ التوراة والإنجيل التي كانت في أيدي اليهود والنصارى وقت محمد، التي كانوا ينسخونها ويدرسونها ويستعملونها في عباداتهم، والتي كان موجودا منها في ذلك العصر ألوف من النسخ التي لا تحصى منشورة في بلاد الحجاز وسائر البلدان في اللغتين الأصليتين. أي العبرانية واليونانية. وفي الترجمات العديدة في غيرهما من اللغات. فهذا هو الإنجيل الذي أراده القرآن لما شهد للنصارى أنهم ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وهذه هي التوراة المذكورة في القرآن التي رآها محمد عند اليهود ولمسها بيديه. وهما أيضا اللذان كان يطالعهما ورقة بن عم خديجة زوج النبي وينسخ منهما. على ما روى ابن إسحاق في سيرة الرسول، والبخارى في صحيحه. فعلى ذلك قد ثبت أن القرآن يشهد

بصحة التوراة والإنجيل اللذين كانا متداولين عند اليهود والنصارى فى أيام محمد. أى فى القرن السابع بعد المسيح^(١)

(١) يقول القسيس: إن الإنجيل كان منتشرا فى بلاد الحجاز، وقت بعثة محمد، وأن القرآن شهد بالصحة لهذا الإنجيل الذى كان منتشرا فى بلاد الحجاز. وقول القسيس باطل. لأن أرض الحجاز لم يكن فيها مسيحيون مقيمون ولا مسيحيون زائرون. ولا أحد من العرب اعتنق الديانة المسيحية. وذلك لأن المسيحية تختلف عن النصرانية. فالنصرانية دعوة تبشيرية بمجئ محمد ﷺ وكان منهم نصارى نجران. والإنجيل الذى كان معهم هو الإنجيل الصحيح وفيه اسم محمد وأوصافه وحث العرب وغيرهم على الإيمان به إذا جاء. أما المسيحية فهى دعوة معمولة بقوة الرومان لإظهار أن عيسى عليه السلام هو النبى المنتظر، وسوف يأتى فى مجيئه الثانى لتأسيس ملكوت السموات وأن النبى المنتظر لن يظهر من العرب. ومن أوصاف النبى المنتظر المماثلة لموسى. وقد جعل المحرفون للإنجيل عيسى مكان محمد. وعرضوا دعوتهم المحرفة على العرب فلم يقبلوها. وذلك لأن محمدا إذا ظهر سوف يكون لهم به ملك على العالم. وقد جاء فى القرآن عن أن المحرفين عرضوا دعوتهم المحرفة على العرب ولم يقبلوها: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ أى أن العرب لم يقبلوا المسيحية التى تدعو إلى أن عيسى حل محل محمد. وإذ لا يوجد فى العرب مسيحيون. لا توجد أناجيل محرفة أو غير محرفة. وإذ لا توجد أناجيل؛ لا يوجد شخص ورقة بن نوفل الذى زعموا أنه كان يقرأ الإنجيل بالعبرانى. وزعمهم أيضا باطل فإن الإنجيل كان فى الأصل باللغة اليونانية.

هذا عن الإنجيل والمسيحيين. وأما عن توراة اليهود. فإن التوراة لم تكن فى أيدي المؤمنين باليهودية كلهم. وإنما كانت فى أيدي العلماء الهارونيين واللاويين فقط. وهم باعتبارهم المفسرون للدين لم يكونوا يسمحون لغيرهم بالقتاء نسخ منها. والقرآن لم يشهد بصحة التوراة التى كانت فى زمن محمد أو فى أى زمن من بعد تحريفها عمدا

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن ما أتى به صاحب البرهان في هذا المقالة ليس بشئ يعتد به. ولقد عرفت فيما مر غير مرة أن هذه التوراة وهذا الإنجيل الموجودين الآن، بل والموجودين في زمن النبي محمد ﷺ ليسا هما الأصليان، اللذان جاء ذكرهما في القرآن، فإنك قد عرفت أنهما في اصطلاح هذا الكتاب المبين: ما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام لا تعدد فيهما ولا اختلاف. على خلاف ما نراهما الآن. فإن التوراة يوجد منها ثلاثة نسخ

في بابل. وكيف يشهد لها بالصحة وفيها خبر موت موسى ودفنه في أرض موآب، ولا أحد يعرف قبره؟ أليس خبر موته فيها يدل على الإضافة فيها؟

اقرأ هذا النص: "و صعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى راس الفسجة الذي قبالة أريحا فإراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض إفرايم ومنسى و جميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم واسحق ويعقوب قائلًا لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوما فكملت أيام بكاء مناة موسى ويشوع بن نون كان قد امتلا روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون و بجميع عبيده وكل أرضه وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل"

العبرانية واليونانية والسامرية والاختلافات ما لا يخفى على من له أدنى درجة من الفهم ونرة من الذوق. وكذلك الإنجيل أربعة نسخ تنسب إلى بعض أشياخ النصارى. وهى تختلف اختلافا كثيرا حتى فى صفة المسيح عليه السلام وأيام دعوته وفى نسبه الشريف ووقت الصلب - على زعمهم - بل يوجد فى كل إنجيل من الأغلاط والاختلافات ما لا يحتمل وقوع مثلها من غيرهم. فهذا برهان قاطع على أن هذه التوراة وهذا الإنجيل ليس هما اللذان جاء ذكرهما فى القرآن، بل لا يوجد فيه إشارة إلى صحتهما كيف وهو يكذب أكثر مضامينها ويذم أهلها على تحريفهما وتغييرهما. ومن طالعهما ولم يكن من أهل المكابرة والعناد لا يُنكر سريان هذا الداء فى أعضائهما الرئيسية بعد ظهوره فى عالم عباراتهما. ولا يلزم أيها اللبيب من انتشار نسخهما وكثرتها فى سائر البلدان على تقدير صحته عدم تحريفهما بالتبديل والتغيير؛ لما قد عرفت فيما سلف. إذا أضفنا ذلك إلى ملة بروتستنت فإنهم لا يبالون بذلك بعد وجود صناعة الطبع أيضا. فما بالك به فى سالف الأزمان. فما سلكه صاحب البرهان ساقط عن الاعتبار. وكذلك قوله: إن أهل الكتاب كانوا فى زمن الحضرة النبوية يتلون نسخ التوراة والإنجيل ويدرسونها ويستعملونها فى عباداتهم؛ لا يلتفت إليه. فإن ذلك لا يستلزم عدم تحريفهما. وكذلك لمس النبى لهما بيديه - على تقدير صحته ومطالعة ورقة ابن عم خديجة لهما ونسخه منهما - لا يقتضى عدم تحريفهما. كما لا يخفى على المميز من الصبيان.

وإعلم أن ورقة هذا هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة رضى الله عنها كان من العرب وقد ترك^(١) عبادة الأوثان وتنصر فى الجاهلية. لما كره طريقها للقيه من هو ماش شريعة المسيح عليه السلام ولم يبدلها. وكان يكتب الكتابة العبرانية فى حال كهوليته فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمى. كذا فى صحيح البخارى وشرحه للقسطلانى. وفى زيادات المغازى عن ابن إسحاق: أن ورقة قال للنبي ﷺ: أبشر ثم أبشر. فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم. وأنت على مثل ناموس موسى وأنت نبي

(١) قول المؤلف: إن ورقة بن نوفل ترك عبادة الأوثان وتنصر فى الجاهلية. هو قول باطل لأن العرب ما عبدوا الأوثان وما قبلوا المسيحية. والتنصر معناه: أنه يعمل بالتوراة ويدعو إلى اقتراب زمان محمد ﷺ والإيمان به إذا جاء. وكل العرب كانوا يعملون بالتوراة ويدعون إلى اقتراب زمانه ﷺ للإيمان به. فما فائدة قوله ترك عبادة الأوثان؟ ولأن المسلمين لم يفرقوا إلى اليوم بين النصرانية والمسيحية وقعوا فى أهداف الرواة. والذين عبدوا الأصنام هم اليهود، وهم الذين استخدموا السحر، وهم الذين وأدوا البنين والبنات، وهم الذين استشاروا الموتى.

والنص التالى يوضح ذلك: "كان منسى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك وملك خمسا وخمسين سنة فى اورشليم واسم أمه حفصية وعمل الشر فى عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل أخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح فى بيت الرب الذي قال الرب عنه فى اورشليم أضع اسمي وبنى مذابح لكل جند السماء فى داري بيت الرب وعبر ابنه فى النار وعاف وتقاتل واستخدم جانا وتوابع وأكثر عمل الشر فى عيني الرب لإغاظته"

مرسل. الحديث. وفي البخارى أنه فى بدء الوحي أخبر بهجرة النبى ﷺ وإخراجه من مكة بقوله: يا ليتنى فيها. أى فى مدة النبوة جذعا أى شابا قويا. لأنصرك. ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى قومك أنصرك نصرا مؤزرا. أى قويا بليغا. ثم لم ينشب. أى لم يلبث ورقة أن توفى. قال القسطلانى: وهذا ظاهره أن ورقة أقر بنبوة محمد ﷺ ولكنه مات قبل الدعوة إلى الإسلام. فيكون مثل بحيرا. يعنى أنه شهد له بالنبوة والرسالة قبل الدعوة إلى الإسلام، بل شهد بنبوته قبل البعثة. وما اجتمع به إلا مرة واحدة. وذلك أنه لما بلغ النبى ﷺ سبع سنين -على الراجح- أراد عمه أبو طالب الخروج إلى الشام للتجارة وتهيأ للرحيل؛ فهبَّ له النبى عليه الصلاة والسلام وأخذ زمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلنى؟ لا أب لى ولا أم. فَرَّقَ له عمه. وقال: والله لأخرجن به معى ولا أفارقه أبداً. فخرج به معه.

فلما بلغ الركب بصرى من أرض الشام رأى راهب بها. يقال له بحيرا واسمه جرجس. وهو فى صومعته غمامة تساير ذلك الركب، حتى إذا نزلوا تحت شجرة هناك اخضرت وتهصرت أغصانها ووقفت الغمامة ولم تبارح منزلهم. فأمر بحيرا من عنده أن يصنعوا طعاما ونزل من صومعته وأتى إليهم. وقال: يا معشر قريش إني قد صنعتُ لكم طعاما وأحب أن يحضره كلكم صغيركم وكبيركم حرکم وعبدکم. وكانوا كثيرا ما يمرون عليه قبل ذلك؛ فلا يكلمهم ولا يعرض لهم.

فاجتمعوا إليه وتخلف النبي عليه الصلاة والسلام لحدائثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا إلى القوم لم يرَ الصفة التي يعرفها ويجدها عنده، وجعل ينظر فلم يرَ الغمامة على أحد من القوم، بل رآها متخلفة على الشجرة. فلما نظر بحيرا قال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلاما هو أحدث القوم سنا. فقال بحيرا: إني أحب أن لا يتخلف أحد منكم أصلا. فذهب من أحضره فأتى رسول الله والغمامة تسير على رأسه حتى وصل إليهم فأجلسوه معهم. فجعل بحيرا يلحظه شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته. فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال يا غلام: أسألك بحق اللات^(١) والعزى ألا أخبرتني عما أسألك. فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى. فإني لا أبغض بغضهما شئ قط. قال بحيرا: فبالله أخبرني عما أسألك. قال: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ما عنده. ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي هي عنده. فقبل موضع الخاتم. فقال قريش: إن لمحمد عند الراهب قدراً عظيماً. ثم قال الراهب لأبى طالب: ما هذا الغلام منك؟ فقال: هو ابني فقال بحيرا: ما ابنك ولا ينبغي لهذا الغلام أن يكون أباه حيا. فقال أبو طالب: هو ابن أخى فسر بحيرا سرورا

(١) الذين عبدوا اللات والعزى ومناة هم اليهود [كتاب الأحكام الشرعية تأليف نادى فرج

عظيما لإصابة فراسته ونفوزه بنظره، ثم قال لأبى طالب: إن هذا سبيعه الله رحمة للعالمين، ويكون خاتم النبيين والمرسلين. وسأله أن يرده إلى بلده خوفا عليه أن يراه بعض كهنة اليهود فيقصده بسوء ويهينوه^(١) لعلمهم بأنه هو الغرس الذى سيخرج فى البرية فتخرج منه نار تهلك اليهود. كما كان يعلم عندهم من كتبهم المقدسة. فباع أبو طالب ما عنده من البضاعة هناك، وعاد به مسرعا إلى مكة المشرفة. ولم يخرج رسول الله ﷺ إلى الشام إلا هذه المرة.

(١) "أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل وقل ما هي أمك لبوة ربضت بين الأسود وربت جراءها بين الأشبال ربت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة أكل الناس فلما سمعت به الأمم اخذ في حفرتهم فاتوا به بخزائن إلى ارض مصر فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وصيرته شبلا فتمشى بين الأسود صار شبلا وتعلم افتراس الفريسة أكل الناس وعرف قصورهم وخرب مدنهم فأقفرت الأرض وملؤها من صوت زمجرته فاتفق عليه الأمم من كل جهة من البلدان وبسطوا عليه شبكتهم فاخذ في حفرتهم فوضعوه في قفص بخزائن واحضروه إلى ملك بابل وأتوا به إلى القلاع لكيلا يسمع صوته بعد على جبال إسرائيل أمك ككرمة مثلك غرست على المياه كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين وارتفع ساقها بين الأغصان الغيباء وظهرت في ارتفاعها بكثرة زراجينها لكنها اقتلعت بغيط وطرحت على الأرض وقد يبست ريح شرقية ثمرها قصفت ويبست فروعها القوية أكلتها النار والآن غرست في القفر في ارض يابسة عطشانة وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها و ليس لها الآن فرع قوي لقضيب تسلط هي رثاء وتكون لمرثاة"

ومرة أخرى لما بلغ خمسة وعشرين سنة -على قول جمهور العلماء- وذلك لما عرضت عليه خديجة رضى الله عنها الخروج فى تجارتها مع غلام لها. يقال له ميسرة لما بلغها من صدق رسول الله ﷺ وأمانته ودرايته. فأجابها إلى ذلك فخرج مع قافلة من قوافل الشام، ومعه ميسرة. فلما وصل إلى بصرى نزل مع ميسرة قرب صومعة بحيرا تحت شجرة هناك؛ فرآه نسطورا الراهب. وكان بحيرا قد توفى وقام هو مقامه؛ فأتى إلى ميسرة وكان بينهما مودة وتعارفا، فتحدثا برهة. ثم شهد نسطورا لله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة، ثم التفت إلى ميسرة. وقال له ميسرة: هذا خاتم الأنبياء الذى بشر به عيسى عليه السلام وأوصيتك أن لا تقدم به دمشق خوفاً من اعتداء بنى إسرائيل عليه، لمعرفتهم إياه بأوصافه سيما لتيقنهم بزوال دولتهم على يده فأجاب ميسرة سؤال نسطورا بالسمع والطاعة، فباعوا تجارتهم هناك، وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، وعادوا إلى مكة، ودخلوا إليها وقت الظهيرة. وكانت خديجة جالسة فى عليّة لها هى ونساء كن عندها، فرأين من بين الركب رجلاً يُظل عليه ملكان بأجنحتهما. فعجبين لذلك وصرن يقلن: من هذا؟ وبينما هن فى ذلك إذ دخل عليهن ميسرة. فسألته فقال: هو محمد الأمين. وأخبر بأنه كان يشاهد ذلك وقت الحر، منذ خرجوا. ونقل ما قال نسطورا الراهب فى حقه -عليه الصلاة والسلام- وما رآه من أمانته وطهارته ووفائه وبالربح الذى ربحتَه تجارتهم ببركته. ولم يثبت خروجه إلى الشام قبل النبوة أزيد من هاتين

المرتئين^(١). وبهذا تعرف فساد ما حكاه صاحب ميزان الحق ومنه تعرف افتراء صاحب رسالة الكندى. وعلمت مما تقدم غلط صاحب البرهان بما سلكه فى مقالته السالفة، وأنه لا يلزم من كتابة ورقة بن نوفل فى التوراة والإنجيل عدم تحريفهما. ولقد أسلفنا لك الجواب عن قوله: إن القرآن يشهد بصحة التوراة والإنجيل الموجودين فى زمن الحضرة النبوية بما لا مزيد عليه، لكنى هاهنا أسأل هذا القسيس سؤال استفهام وأطلب منه الإفادة هل كانت شهادة القرآن بالصحة للنسخة العبرانية من التوراة أم للنسخة اليونانية أم للنسخة السامرية؟ أم كانت هذه الشهادة لإنجيل متى دون غيره من الأنجيل أم لإنجيل مرقس عدا خلافة أم لإنجيل لوقا خاصة أم لإنجيل يوحنا أم لرسائل حضرة القديس بولس التى نقضت وخالفت سائر كتب العهد العتيق والجديد؟

أفدنا يا صاحب البرهان لأى كتاب كانت هذه الشهادة؟ فإننا نرى كل كتاب منها يخالف الآخر فى الأخبار والأحكام والقصص والمواعظ وبتعاليم المسيح وحكاياته وأخباره وانتقالاته وفى كيفية صلب المصلوب وقتله. كما علمت ذلك بما يشفى العليل ويروى الغليل.

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول إن قصص ورقة وبحيرا وغيرهما مكتوبة بروايات الآحاد الذى يفيد الظن فى الثبوت وفى الدلالة. ومعلوم أن روايات الآحاد ليست حجة فى دين الله؛ لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن. لأن شهادة الواحد مردودة فى شئون الدنيا، وفى شئون الدين أولى وأخرى. فإذا ردنا روايات الآحاد فإنه لا يكون بحيرا ولا ورقة ولا غيرهما. ومعلوم أن الرواة من اليهود والمسيحيين ينسبون الكلام إلى غير أصحابه. وعندما يثبت فى عقول الناس يطعنون به فى الدين.

والحاصل: أن تلاوة أهل الكتاب التوراة والإنجيل ودرسهم إياهما واستعمالهم أحكامهما لا يقتضى عدم تحريفهما. وكذلك لمس النبى ﷺ لهما بيديه الشريفتين على تقدير صحته ومطالعة ورقة لهما ونسخه منهم؛ لا يستلزم عدم تحريفهما وتبديلهما كما لا يخفى على المميّز من الصّبيان.

التحريف بعد زمان محمد ﷺ

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فإن قال قائل: إنا نسلم بصحة التوراة والإنجيل اللذين كانا في أيام النبی، ولكن لا نسلم أن نسخ التوراة والإنجيل المتداولة عند اليهود والنصارى الآن هي باقية صحيحة من دون تغيير وتبدیل، بل ربما وقع التحريف والتغيير فيهما بعد أيام محمد. نقول له: إن هذا الأمر لا سبيل إلى إثباته من وجهين عقلي ونقلي. أما العقلي: فلأن تغيير الكتابين بعد ستمائة سنة، وبعد انتشارهما في سائر أقاليم الأرض وإخفاء هذا الأمر؛ من المحال المحض الذي لا يتصوره العقل أصلاً. وأما النقلی فلأنه ما سمع أحد من أهل الدراية من الوثنيين أو المسلمين أو بعض النصارى المدعين بوقوع تحريف لفظي في التوراة والإنجيل مع بغضهم لدين النصارى واليهود وتصديهم للطعن في كتبهم؛ ادعى أن ذلك وقع بعد الجيل السادس أو السابع من التاريخ المسيحي. أي بعد محمد؛ فلا يسع الذين يدعون هذا الادعاء إلا أن يقولوا بأن ذلك قبل ظهور محمد بمدة مديدة في القرن الأول أو الثاني أو الثالث بعد ظهور المسيح، ولا يدعى بهذا الأمر إلا من كان جاهلاً غاية الجهالة في التواريخ والفنون المتعلقة بهذه القضايا"

أقول: قد تكرر التصريح غير مرة أن تحريف التوراة والإنجيل كان من قبل بعثة نبينا ﷺ ولا يوجد في أهل الدين الإسلامي المبين من يقول غير ذلك. كيف وأن الآيات الكثيرة القرآنية والأحاديث الجمّة

النبوية فى هذا الباب صريحة. وهو ثابت بالشهادة من كلام القدماء من أجل مفسريهم وأعظم مؤرخيهم، وأشهر علماء اليهود السالفين، ومن كلام الماديين والطبيعيين والوثنيين وسائر الأمم من سلف وخلف، مما لا يحتاج إلى استشهاد عليه، اختصاراً واقتصاراً على اشتهاى العلم به. وهذا القسيس صاحب البرهان قد اعترف فى مقالته هذه بأن أهل الدراية من الوثنيين والمسلمين وبعض النصارى قد ادعوا وقالوا بوقوع التحريف اللفظى. وهو التغيير والتبديل فى التوراة والإنجيل. غير أنه زعم أنهم ما عينوا وقت وقوعه فيهما. وهذا التبيين ليس بلام ضرورة بعد وجوده فيهما مشاهدة زيادة على نقله متواتراً. ولقد عرفت أن الموافق والمخالف ينادون من القرن الثانى من القرون المسيحية أن التحريف قد وقع فيهما، ومحققوهم قد اعترفوا بوقوعه بأقسامه الثلاثة. وقد عرفت مما مر غير مرة: أن سلسوس الذى كان من أجل العلماء فى القرن الثانى من الميلاد كان يصيح بأعلى صوته: أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات، بل أزيد منها تبديلاً كأن مضامينها بدلت. وكذا فاستس من علماء فرقة مانى كيز من الفرق المسيحية كان ينادى فى القرن الرابع من الميلاد بأن هذا الأمر محقق وهو أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم، خوفاً من أن لا تعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التى كتبها وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التى توجد فيها

الأغلاط والتناقضات. وتقدم لك نقل هنرى واسكات فى تفسيره قول
اكستائين: أن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمن الأكابر
الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام وفعّلوا هذا
الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى قال:
"ويُعلم أن القدماء من المسيحيين كانوا يعترفون بتحريف التوراة وكانوا
يقولون إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد"
قلت: وهذا قول الموافق من قدماء أسلافهم والمخالفين من قدماء
الوثنيين أفادنا أن تحريف التوراة كان فى سنة مائة وثلاثين من
الميلاد، وأن تبديل الإنجيل وتغييره كان فى القرن الثانى والرابع من
الميلاد. وأفادنا فائدة زائدة على المطلوب. وهى أن هؤلاء الأناجيل ما
كتبهم الحواريون ولا رفقاؤهم وإنما الذى كتبهم وألفهم رجل مجهول
الاسم. وهذا فضلاً عما وقع فيهما من التغيير والتبديل بعد انتشارهما
فى المشارق والمغرب من أيام محمد ﷺ إلى يومنا هذا. وقد علمت
أنهم لا يبالون من هذا الأمر فى كل زمان حتى بعد صناعة الطبع
أيضاً. ومن اطلع على الاختلاف الواقع بين نسخهما ونظر إلى ما
اشتملا عليه من الأغلاط والاختلافات لا ينكر حقيقة هذا الأمر. فما
سلكه صاحب البرهان فى مقاله هذه يدل على فرط تعصبه وشدة
جهالته فى التواريخ والفنون المتعلقة بهذه القضايا.

زمان تحريف التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب انبرهان الجليل " والذي يظهر لك ذلك: أنا لو فرضنا تحريف القرآن بالزيادة والنقص وإزالة النسخ الأصلية في خلافة أبي بكر مثلاً لكان هذا الأمر مما يمكن وقوعه مع ما فيه من الصعوبة. وأما إجراء مثل هذا الفعل في أيام خلافة عثمان أو علي فهو أصعب أقل احتمالاً، وفي أيام هارون الرشيد أصعب مما تقدم، نظراً لامتداد الإسلام وانتشار القرآن في سائر الأطراف وتكاثر الناس الحافظين له في تلك الأيام. وأما إفساد جميع نسخ القرآن الأصلية وتبديلها بنسخ حادثة مغيرة ونشرها في جميع البلدان عوضاً عن الأصلية بعد ظهور الإسلام بخمسائة سنة كأيام صلاح الدين لما كان دين الإسلام منشوراً في الشرق والغرب في آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ فهذا مما لا يتصور وقوعه رجل سليم العقل. ولو سعى بمثل هذا الأمر أناس كثيرون فمن المحال إتمامه وكما أن اتفاق جميع المسلمين على تحريف القرآن وتبديله بعد خمسمائة سنة من ظهور الإسلام هو أمر من المحال. فهكذا ومن باب أولى تحريف التوراة والإنجيل بعد خمسمائة أو ستمائة سنة من ظهور المسيح مما لا يتصور؛ لأن نسخ الكتابين كانت حينئذ منتشرة في جميع أقطار الأرض وأيضاً: ليس حالها كحال القرآن من كونها في لغة واحدة بل كانت منقولة في جملة من اللغات. فمنها الأصلية ومنها المترجمة إليها، ولم تزل نسخ محفوظة في بعض مكاتب أوروبا من الإنجيل

كتبت في القرن الرابع والخامس والسادس بعد ظهور المسيح ونسخ
قديمة من التوراة إلى يومنا هذا، وهي مطابق بعضها لبعض وموافقة
للسنخ المتداولة عند جميع النصارى واليهود في زماننا هذا أيضاً.
وهذا دليل واضح على أنه لم يقع في التوراة أو الإنجيل تغيير وتبديل
من القرن الرابع بعد المسيح إلى يومنا هذا، وأن نسخ التوراة
والإنجيل المتداولة عند اليهود والنصارى اليوم هي مطابقة للنسخ
المتداولة عندهم في أيام محمد ﷺ أي في أوائل القرن السابع من
التاريخ المسيحي".

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من طالع ما
تقدم من الأبحاث وتأمل جوابنا على مقالتي القسيس اللتين قبل هذه؛
علم الجواب. فإذا ثبت تحريف التوراة والإنجيل بإقرار علمائهم
ومفسريهم وعلم ببرهان المشاهدة والعيان؛ فأى محل لاستبعاده وعدم
إمكانه؟ وقياس القسيس هذه الكتب على القرآن المجيد قياس مع الفارق
فإنها قابلة للتحريف في كل زمان قبل أيام نبينا وبعده حتى بعد صناعة
الطبع أيضاً كما يظهر لك ذلك من تقابل نسخها، بخلاف القرآن
المجيد؛ فإن اشتهاره وتواتره كانا في كل زمان مانعين عن التحريف؛
فإنه كما كان محفوظاً في السطور؛ فكذلك كان محفوظاً في الصدور
قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقال: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَكَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ كما كان عليه مدة ثلاثة عشر قرناً من أول نزوله إلى
يومنا هذا؛ حجة قاهرة ومعجزة باهرة على مرور السنين والأيام.

مُيسَّر حفظه للغلمان في أقرب زمان قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾
فهو محفوظ في زماننا هذه في صدور كثير من المسلمين، ومن كان
شاكاً في هذا الأمر فليجرب ويدخل في جامع الأزهر من جوامع
محروسة مصر القاهرة؛ فيجد فيه في كل وقت من الأوقات أزيد من
سبعة آلاف من حفاظ القرآن الذين حفظوه بالتجويد التام، ولو تتبع كل
قرية من القرى الإسلامية فضلاً عن المدن والأمصار سيما قرى مصر
لا يجد قرية من قراها تكون خالية من حفاظ القرآن ولو نظر أيضاً إلى
كثير من الحمّارين والبغاليين من أهل القطر المصري أيضاً؛ لوجدهم
حافظين للقرآن حفظاً جيداً، بحيث يمكن كتابته من صدر أحدهم مع
غاية صحة الألفاظ وضبط الإعراب. بخلاف التوراة والإنجيل فإنه لا
يوجد في ديار أوربا بل ولا في في جميع الممالك في هذه الطبقة من
أهل الكتاب مع فراغ بالهم وتوجههم التام إلى العلوم والصنائع في هذه
الأيام خمسة أنفار يكونون حافظين للتوراة والإنجيل بل ما سمعنا أن
أحدًا من المسيحيين حافظاً لإنجيل من الأنجيل فضلاً عن أن يكون
حافظاً لجميعها. فجميع ديار أوربا من المسيحيين في هذا الأمر ليسوا
في مقابلة قرية صغيرة من القرى الإسلامية، وليس الكبار من الرهبان
والشماسية بل والقسيسيين في هذا الأمر خاصة في مقابلة الحمّارين
والبغاليين من أهل الدين الإسلامي المبين. فهؤلاء الحمارون والبغالون
فائقون في هذا الباب على الأساقفة والشماسية والقسوس والرهبان
الذين يوجدون شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً في هذا الزمان الذي هو

زمن شيوع العلم فى أهل الكتاب فضلا عن القرون السالفة من القرون المسيحية من الجيل السابع إلى الجيل الخامس عشر التى كان فيها بمنزلة شعار العلماء فى هذه القرون. وهذا على اعتراف علماء بروتستانت. ويوجد والله الحمد والمنة فى الأمة المحمدية فى هذا العصر أيضا من الحفاظ أزيد من مليون فى جميع ديار الإسلام. وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ ولكتابهم.

ولقد حكى صاحب إظهار الحق رحمه الله: "أن أميراً من أمراء الإنكليز جاء يوماً إلى مكتب فى بلدة سهار تفور من أمراء بلاد الهند ورأى الصبيان المشتغلين بتعليم القرآن وحفظه. فسأل المعلم أى كتاب هذا؟ فقال: القرآن المجيد. فقال الأمير: أحفظ أحد منهم القرآن كله؟ فقال المعلم: نعم. وأشار إلى جملة منهم. فلما سمع الأمير ذلك استبعده. فقال: اطلب أحداً منهم وأعطنى القرآن أمتحنه. فقال: أيهم شئت؟ فطلب واحداً منهم كان ابن ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة وامتحنه فى مواضع. فلما تيقن أنه حافظ لجميع القرآن تعجب وقال أشهد: أنه ما ثبت تواتراً لكتاب من الكتب كما ثبت للقرآن؛ إنه يمكن كتابته من صدر صبي من الصبيان مع غاية صحة الألفاظ وحفظ الإعراب" انتهى.

وقد أورد بعد هذا فى كتابه أمورا أزال بها استبعاد وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل وأثبت وجوده فيهما بعبارة رائقة وإشارات فائقة تشفى العليل وتروى الغليل. فمن أراد الإطلاع فليرجع

إليه يجد ما يسره في هذا الشأن. ولولا الإطالة لذكرت شيئاً من ذلك.
ويكفيك أيها اللبيب ما تقدم لك من الأبحاث.

مخالفة المسلمين لنبیهم ﷺ

ثم قال القسيس النبیل صاحب البرهان الجلیل: "إنما اقتصرنا على هذه الدلائل القليلة المبرهنة على عدم تحریف التوراة والإنجیل من أيام محمد ﷺ إلى اليوم خوفا من التطویل، ولما كان قصدنا فی هذه الرسالة البرهان على صحة التوراة والإنجیل وعدم تبدیلهما بمجرد شهادة القرآن لا ببراهین تاریخیة أو عقلیة؛ اكتفينا بما تقدم. وإن شاء الله سنذكر الدلائل الخارجة عن القرآن التي لم نترك ذكرها هنا لضعفها بل لعدم احتیاجنا إليها فی هذه الرسالة، كما لا يخفى على ذی البصيرة. فإذا ثبت أن نسخ التوراة والإنجیل المتداولة عندنا اليوم هی مطابقة للنسخ المتداولة فی أيام محمد ﷺ وأن القرآن يشهد بصحة تلك النسخ، كما أوضحنا ذلك؛ ثبت أن القرآن يشهد كذلك بصحة النسخ التي بین أيدينا الآن. والعجب كل العجب أن بعض المسلمين يشكّون بما سلّم بصحته نبیهم، وينكرون ويهينون ما شهد لحقیقته قرآنهم، وذكره بالتبجیل والتعظیم. ألا يرون أنهم بمخالفتهم هذه لا يخالفون اليهود والنصارى، بل يخالفون نبیهم، ولا يكذبون كتب اليهود والنصارى بل يكذبون قرآنهم"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: إن من أمعن النظر فيما تقدم علم بالبداهة والیقین أنه لا دلیل لصاحب البرهان على عدم تحریف التوراة والإنجیل لا من النقل ولا من العقل، وأن التحریف ثابت وقوعه فیهما البتة. وكفیک أيها العاقل اللبيب فی ثبوت ذلك؛

اعتراف مفسريهم وإقرار مؤرخيهم ومحققهم وسائر التورايخ طافحة
فى إثبات هذا الأمر. وما أعرض هذا القسيس عن ذكر عباراتها إلا
لكونها تصرح وتتادى بأعلى نداء فى إثبات هذا الأمر. وهذا فضلا عن
ما أثبتناه لك من شهادة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ولا توجد
آية من آياته الكريمة تشهد بصحة هذه التوراة وهذا الإنجيل المتداولين
-كما زعم هذا القسيس- بل غالب آياته الشريفة تخالف ما فى هذين
الكتابين فضلا عن ما فيه من التصريح بوقوع التحريف فيهما. ولكثرة
شواهد هذا الأمر لا حاجة إلى نقلها هنا زيادة عن ما أثبتناه لك فيما
تقدم. والتبجيل والتعظيم الواردان فيه إنما هو إلى التوراة والإنجيل
المنزّلين على موسى وعيسى قبل تحريفهما ولا تعظيم فيه ولا تبجيل
لهذه الكتب والرسائل المسماة بالتوراة والإنجيل، المشحونة بالأغلاط
والاختلافات وأكاذيب الحكايات المفتريات. فما اعتقده المسلمون فى
هذا الأمر هو عين ما أثبتته قرآنهم بصحته إلى نبيهم. فتعجب صاحب
البرهان من المسلمين فى مقالته هذه؛ غلط محض، منشأه شدة التعصب
من سوء الفهم.

اتصال السند فى كتب التوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " فإن ادعى بعضهم كصاحب إظهار الحق أن الإنجيل ليس كتابا موحى به من الله نظرا لاحتوائه على بعض ألفاظ أو تعاليم يرونها هم غير لائحة بكتاب إلهي، أو لأن بعض أسفار التوراة والإنجيل لم تصل إلينا بأسانيد متصلة منبئة عن كونها منسوبة لرسول أو نبي، ويوجد اختلاف من جهتها، أو لأن بعض علماء النصارى أيضا اعترضوا على بعض الأسفار فنقول إن هذه دعوى بينهم وبين كتابهم، ويكفي أن القرآن يسلم بصحة الكتابين المذكورين ويذكرهما بغاية التعظيم والتوقير مع وجود تلك الألفاظ والأقوال فيهما ومع وجود الاختلاف من جهة كاتبى بعض أسفارهما، ولا يعترض عليهما" ثم قال "وليكن هذه آخر الرسالة"

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق: قد علمت فيما مر غير مرة أن القرآن المجيد ما شهد لهذه الكتب بشئ من الصحة ولا فيه تعظيم لها ولا توقير وإنما جاء شاهداً عليها معترضا، ومكذبا غالب مضامينها ومبكتا وموبخا أهلها على تحريفها بتبديلها وتغييرها، ولبسهم الحق بالباطل، وكتمانهم الحق وهم يعلمون، وإرادتهم لإطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. ومن ادعى أن بعض أسفار هذه التوراة وهذا الإنجيل ليست كتباً موحى بها من الله ﷻ فهو

مضطرب ومغذور؛ لأن الكلام الإلهي مصان الأغلاط والاختلافات، ونسبة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى كفر، وكذا يسان عن تفسيق الأنبياء الكرام وتقيصهم ونسبة الكذب والزنا واللغة والكفر إليهم؛ لأن الله تعالى لما اختارهم واصطفاهم لهذا المنصب الشريف؛ حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمنهى عنه. نهى تحريم أو كراهة. وإنا نرى هذه الكتب فضلاً عن ما فيها من الأغلاط والاختلافات مشحونة بتفسيقهم وتقيصهم وإهانتهم. وما نرى من نبي ذكر فيها من آدم إلى المسيح إلا ويكون فاسقاً أو كافراً أو كاذباً أو زانياً أو من أولاد الزنا، حتى أن بولس مقدس المسيحيين لم يكتف بذلك بل صرح بلعن ربه وإلهه المسيح، حيث قال في رسالته إلى أهل غلاطية: "الْمَسِيحُ اقْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ الثَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجَلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ" ومسيح النصارى علق على خشبة حين صلبه، فهو إذاً ملعون -والعياذ بالله تعالى-

فهذه الحكايات وأمثالها لا تليق بالكتب الإلهية، بل لا يليق ذكر أمثالها بتواريخ أهل الصيانة والديانة على فرض وقوع ذلك من أمثالهم، بل لو وقع مثل ذلك من آحاد الناس الرعاع لا يليق ولا يجوز أن يتحدث به، فكيف يجوز أن تتسب هذه الرذائل إلى أعراض الأنبياء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض. ولعمري أن ما نسب إليهم محض اختلاق وحاشا أن يكون من كلام الخلاق. فهذا يا صاحب البرهان من أعظم الأعذار لمن ادعى أن هذه الكتب ليست كتباً

موحى بها من الله - عز شأنه - وهو من أكبر الدلائل المقنعة والبراهين القاطعة على تحريفها وعدم اتصال أسانيدھا. ولا يكفى أيھا العاقل اللبيب فى إثبات الكتاب أنه موحى به من الله؛ اسناده ونسبته إلى شخص صاحب إلهام بمجرد الادعاء، وكذلك الظن والتخمين والوهم لا يكفى فى إثباته، بل لا بد فى كون الكتاب سماويا واجب التسليم؛ أن يثبت أولا بدليل تام أنه كتب بواسطة النبی الفلانى أو الحوارى الفلانى ووصل إلینا بالسند المتصل من غير تغيير ولا تبديل، وكذلك لا يكفى فى إثبات الكتاب أنه موحى به؛ مجرد ادعاء فرقة من الفرق ألا ترى أن كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب وزم وكتاب إيكليزيا سيتركوس والكتاب الأول والثانى للمقابين وعشر آيات فى الأصحاح العاشر وستة أصحاحات من الأصحاح الحادى عشر إلى الأصحاح السادس عشر من كتاب أستير وغناء الأطفال الثلاثة فى الأصحاح الثالث من كتاب دانيال والأصحاح الثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب قد بينت فرقة بروتستنت بالبيانات الشافية أنها ليست إلهية، وكذلك اليهود لا يسلّمون إلهاميتها والسفر الثالث لعزرا جزء من أجزاء العهد العتيق عند كنيسة كريك، وقد أثبتت فرقة كاثوليك وبروتستنت بأدلة واضحة أن ذلك الجزء ليس إلهاميا، وكذلك كتاب القضاة ليس إلهاميا على قول من قال إنه تصنيف فينحاس، وكذا على القول بأنه تصنيف حزقيا، وكذلك كتاب راعوث ليس إلهاميا على قول من قال إنه تصنيف حزقيا، وكذا على قول طابعى كتاب السبيل، وكذلك كتاب أيوب ليس إلهاميا

على قول الإمام الأعظم لفرقة بروتستنت لبوطر، وكذلك الأصحاح
 الثلاثون والحادى والثلاثون من كتاب أمثال سليمان ليسا بإلهاميين،
 وكذلك كتاب الجامعة ليس إلهاميا على قول علماء التلمود، وكذلك
 كتاب نشيد الأنشاد ليس إلهاميا على قول وسمين ووستام وسمير،
 وكذلك سبعة وعشرون أصحاحا من كتاب إشعياء ليست إلهامية على
 قول كثير من علماء كيوسى بيس وغيرهم من المحققين الأفاضل،
 وكذلك إنجيل متى ليس إلهاميا على قول القدماء وجمهور علماء
 المتأخرين الذين قالوا إنه لم يكن فى اللسان العبرانى وحروفه العبرانية
 فُقدت، والموجود الآن ترجمته. وكذلك إنجيل يوحنا ليس إلهاميا على
 قول استادلن والمحقق برطشنيدير وفرقة الوجين التى كانت فى القرن
 الثانى كانت تتكر هذا الإنجيل وجميع تصانيف يوحنا، وكذلك الرسالة
 الثانية لبطرس، والثانية ليوحنا، ورسالة يهوذا، ورسالة يعقوب،
 ومشاهدات يوحنا؛ ليست إلهامية على قول الأكثرين من محققيهم،
 وكذلك رسائل بولس كلها ليست إلهامية على قول الفرقة الأبيونية التى
 تعدّ بولس صاحب هذه الرسائل من المرتدين الكاذبين، وكانت هذه
 الفرقة معاصرة له ومنكرة عليه أشد الإنكار، وكذلك كتاب المشاهدات،
 والسفر الصغير للتكوين وكتاب المعراج وكتاب الأسرار، وكتاب
 استمنت، وكتاب الإقرار؛ كلها منسوبة إلى سيدنا موسى، ومع هذه
 النسبة لم تعد إلهامية، وكذلك السفر الرابع لعزرا منسوب إلى عزرا،
 ولم يعد إلهاميا، وكتاب معراج إشعياء وكتاب مشاهداته منسوبان إليه،

وما أحد عدّهما إلهاميين سوى الكتاب المشهور لإرميا، وكتاب آخر منسوب إليه، ولم يُعد إلهاميا، وكذلك عدة ملفوظات منسوبة إلى حَبْقُوق ولم تعد إلهامية، وعدة زبورات منسوبة إلى سليمان عليه السلام لم تعد إلهامية. وسوى الكتب المشهورة المتداولة من العهد الجديد كتب جاوزت سبعين كتابا منسوبة إلى سيدنا عيسى عليه السلام والسيدة مريم والحواريين وتابعيهم، ومع هذه النسبة لا يعدّها المسيحيون إلهامية، ويدعون أنها من الأكاذيب المصنوعة، واتفقت على هذه الدعوى كنيسة كريك وكاثوليك وبروتستنت، وحيث كان كذلك فلا ينبغي للعقل أن يعتقد بمجرد إسناد الكتاب إلى نبي أو حوارى أنه كتاب إلهى، واجب التسليم. وكذلك بمجرد ادعائهم ذلك؛ لا يجوز أن يُسلم بل يحتاج الأمر إلى دليل، كما عرفت. قال صاحب إظهار الحق: "وكثيرا ما طلبنا من علمائهم الفحول السند المتصل لهذه الكتب فما قدروا على بيانه، وقد اعتذر بعض القسيسين -يعنى القسيس فندر صاحب ميزان الحق وغيره ممن كانت المناظرة بينه وبينهم- فقالوا: إن سبب فقدان ذلك عندنا: وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاثة عشر سنة من الميلاد" قال: "وقد تفحصنا فى كتب الإسناد فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين"

قلت: ومن المعلوم أن غير اليقين فى باب الإعتقادات لا يغنى من الله شيئا. فما سلكه صاحب البرهان فى هذه المقالة يدل على قلة علمه وسوء فهمه، ولا يخفى على المتنبه ما تضمنته هذه المقالة من

الإقرار والتسليم بوقوع التحريف فى كتب التوراة والإنجيل وعدم اتصال أسانيدها وكونها ليست كتباً موحى بها من الله، حيث قال: "إن هذه دعوى بينهم وبين كتابهم" ولم يعلم أن الإقرار أحق ما يؤخذ به الرجل فإنه أقوى من البينة، ولا حاجة إلى البينة بعد الإقرار. وكفىنا فى إثبات هذه القضية: برهان الحس والمشاهدة، فضلاً عما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى ثبوت ذلك. فالذى ينبغى للإنسان: أنه متى عرف قضية أو استيقن أمراً أن يصدق به؛ ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾- ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

وليكن هذا آخر ما أردنا إيرادَه فى هذا المختصر، ونسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وموجباً للفوز لديه بجنت النعيم. والله ولى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

وكان الفراغ من تسويد هذا المؤلف فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ذى الحجة المبارك من سنة ثمان وثلاثمائة بعد الألف، من هجرة من له العز والشرف ﷺ وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الفائزين المؤيدين. آمين.

انتهى كتاب السيف الصقيل

فهرس كتاب السيف الصقيل

الصفحة	الموضوع
-٣	التعريف بكتاب السيف الصقيل
-٩	التعريف بكتاب الهداية تأليف المرسلون الأميركان بمصر
-١٠	نماذج من كتب إظهار الحق، والهداية، والرد على الهداية
-١٢	أسفار التوراة العبرانية
-١٥	أسفار التوراة اليونانية
-١٧	اختلاف نسخ التوراة فى أعمار أبناء آدم
-١٨	اختلاف التوراة فى أنساب سام ابن نوح إلى إبراهيم عليه السلام
-٢٦	إبراهيم والكواكب
-٢٩	الرد على شبهة إبراهيم والكواكب
-٣١	الأحكام الفقهية فى التوراة
-٣٥	التوراة تؤدب الناس إلى مجيئ محمد ﷺ
-٣٧	مقدمة المؤلف. وهو الشيخ/ عمر بن أحمد بن موسى التميمي الدارى
-٤٠	النابلسى الفلسطينى ردّ على كتاب "البرهان الجليل فى صحة التوراة والإنجيل"
-٤٢	التحريف فى التوراة والزيور والأناجيل الأربعة
-٤٣	تقسيم التحريف إلى لفظى ومعنوى
-٤٤	كلام حزقيال النبى فى المسئولية الفردية
-٤٥	كلام التوراة فى أن إبراهيم تاجر بامرأته سارة
-٤٦	خداع يعقوب لأبيه إسحق
-٤٧	شرب لوط للخمر وزناه بابنتيه.
-٤٨	زنا يهوذا بثامار

- ٤٩- قول اليهود إن عيسى من الزنا
- ٥٠- قول النصارى إن مريم تزوجت بعد ولادتها للمسيح
- ٥٢- قول التوراة إن سليمان كفر بالله وعبد الأصنام
- ٥٤- أبشالوم بن داود زنا بجوارى أبيه
- ٥٦- تحريم مطالعة كتب التوراة المشتملة على هذه المفاصد
- ٥٨- قول القسيس: ليس فى القرآن ما يدل على أن التوراة غير محرفة
- أقسام تحريف التوراة فى القرآن
- ٥٩- اليهود يلوون أسنتهم بالكتاب بالحن الموسيقى
- ٦١- اليهود حرفوا أسفار الأنبياء بعد الميلاد
- ٦٣- قصة الملك إستواج والصنم بال
- ٦٦- اعتراف علماء النصارى بأن التوراة محرفة
- ٧١- حجة الله البالغة
- ٧٢- معجزات الأنبياء
- ٧٤- أخلاق أهل الإسلام
- التوراة تعلم بنى إسرائيل سوء الخلق
- ٧٧- سجود المسيحيين لصور القديسين والقديسات
- ٧٨- نحن المسلمين لا نعتقد أن داود زنا بامرأة أوريا ولا أن ابنه آمنون زنا بأخته، ولا أن شمشون زنا بدليلة
- ٧٩- مصارعة الله ليعقوب، وأن يعقوب غلب الله
- ٨٢- الوحي الإلهي
- ٨٣- كلام القسيس فى خاصية الوحي
- ٨٤- انتشار الإسلام فى العالم بشهادة علماء فرنسا
- ٩٩- أقسام الدين-
- ١٠٠- كلام القسيس فى أقسام الدين

- ١٠١- الهداية الإلهية/ رد المسلم على القسيس في موضوع عصمة الأنبياء
- ١٠٢- قصة النبي الذي كذب
- ١٠٥- شكّ المسيحيين في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام
- ١٠٩- كلام المسيحيين عن النبي المنتظر
- ١١٣- الهدى والنور في التوراة والإنجيل/ رد المؤلف على القسيس
- ١١٥- كتب الإنجيل مشكوك فيها
- ١١٦- تفسير المؤلف لقوله: ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ ﴾
- ١٢٢- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
- ١٢٢- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ ﴾
- ١٢٥- تفريق المسيح بين الأنبياء الكذبة والأنبياء الصادقين
- ١٢٧- إطلاق لفظ الأنبياء على علماء بنى إسرائيل
- ١٣٣- محمد ﷺ في التوراة/ شرح المؤلف لنص التوراة عن محمد ﷺ
- ١٣٧- المسيح يذم علماء بنى إسرائيل
- ١٤٢- محمد ﷺ يخبر بغيوب وتحدث من بعده
- ١٤٧- أحاديث علامات الساعة
- ١٥٣- تعظيم المسلم للتوراة والإنجيل
- ١٥٣- السفر الذي يدل على موت سليمان مفقود
- ١٦١- سبب القول بالأقانيم الثلاثة
- ١٦٤- الوحي ينزل شبه الحمامة
- ١٦٧- الله واحد في التوراة
- ١٨٥- مسألة صلب المسيح وقتله
- ١٨٨- ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾
- ١٩١- نسخ القرآن للتوراة
- ١٩٢- الملحدون يطعنون في التوراة وفي الإنجيل

- ٢٠٧- نسخ الشرائع/ الرد على دعوى القسيس أن القرآن قد نسخ التوراة
- ٢٠٨- بولس يقول: إن المسيح ملعون من الله
- ٢١٠- مناقشة المؤلف فى قوله: إن الذبة ليست فى شريعة التوراة ومناقشة المؤلف أن الغنيمة ليست فى التوراة
- ٢١٤- سارة أخت إبراهيم
- ٢١٥- الأطعمة كلها كانت حلالا فى عهد نوح
- ٢١٥- يعقوب جمع بين الأختين
- ٢١٧- كلام المؤلف عن النسخ فى الأنجيل
- ٢٢٠- نسخ الختان
- ٢٢٣- كلام القسيس فى عدم نسخ القرآن للتوراة والرد عليها
- ٢٢٦- النسخ فى الأمر والنهى
- ٢٢٨- فى سفر إرمياء أن كل مسلم سيكون إماماً ومقيم شعائر. وهذا يدل على نسخ التوراة
- ٢٣٢- اعتراف علماء النصراني بأن الشريعة الموسوية كانت تزداد وتتقص على وفق أحوال بنى إسرائيل
- ٢٣٧- مناقشة موضوع هل رسالة المسيح خاصة أو عامة؟
- ٢٤٢- الطرق الثلاث فى نسخ الشريعة-الرد على القسيس فى الطرق الثلاث
- ٢٤٨- إنكار القسيس للتحريف فى التوراة والإنجيل
- ٢٤٩- مخطوط عبرى فى قمران يُظهر تحريف التوراة
- ٢٥٠- سؤال المسلمين لأهل الكتاب
- ٢٥١- ثلاثون غلطاً فى التوراة
- ٢٨٢- الاختلافات الثلاثون فى التوراة والأنجيل
- ٢٨٩- المسيح يلعن شجرة التين
- ٣٠٥- تسليم المسلم بصحة التوراة والإنجيل
- ٣١٣- تراجم التوراة العبرانية والسامرية واليونانية

- ٣١٤- اختلافات بين تراجم التوراة
- ٣١٥- يوسيفوس المؤرخ يشك في توراة موسى
- ٣١٧- إنجيل ابن ديسان
- ٣٢١- تفسير المسلمين للتحريف
- ٣٢٢- وفد اليهود الذى تكلم فى تحريف التوراة
- ٣٢٤- تفسير «رَاعَيْنَا كَيْهَ الْبَاسْتَنِّهَم»
- ٣٢٧- أدلة الخوارج التى ذكرها الإمام فخر الدين الرازى على نفى بالرجم
- ٣٣٢- شهادة القرآن بعدم تحريف الإنجيل فى نظر القسيس
- ٣٣٣- كتاب تخجيل من حرف الإنجيل
- ٣٣٥- كتاب المطالب العالية من العلم الإلهى لفخر الدين الرازى
- ٣٣٦- رفع المسيح إلى السماء
- ٣٤٢- مناقشة قول القسيس: إن شهادة القرآن بتحريف التوراة هى لليهود
- المعاصرين لمحمد ﷺ والمجاورين له فى زمنه.
- ٣٤٧- مناقشة قول القسيس إن توبيخ القرآن لليهود هو فى التحريف فى
- الألفاظ الدالة على محمد ﷺ
- ٣٤٩- كلام القسيس فى التحريف المعنوى واللفظى
- ٣٥١- قول القسيس إن المراد من التحريف هو التحريف المعنوى
- ٣٥٥- اليهود مزقوا بعض كتبهم المقدسة
- ٣٦٢- الآيات القرآنية التى نزلت فى تحريف التوراة
- قد نزلت فى المدينة المنورة، ولم تنزل فى مكة
- ٣٦٥- القرآن المكى والمدنى
- ٣٦٧- البروتستانت النصارى يذمون التوراة وموسى وأنبياء بنى إسرائيل
- ٣٧٢- شبهة إقامة التوراة والإنجيل
- ٣٧٤- معنى سؤال اليهودى الأمى لعلماء اليهود
- ٣٧٩- قصة المسيح مع المرأة السامرية

- ٣٨٣- قول القسيس: لو كانت التوراة محرفة ما قال محمد إني مصدق لها
- ٣٨٧- قول القسيس: القرآن يشهد للتوراة المتداولة بالصحة
- ٣٩١- قصة ورقة بن نوفل
- ٣٩١- ملوك اليهود كانوا يعبرون أولادهم في النار
- ٣٩٤- الغرس الذي سيخرج في البرية فتخرج منه نار تهلك اليهود
- ٣٩٥- نسطور الراهب
- ٣٩٨- التحريف بعد زمان محمد ﷺ
- ٤٠١- زمان تحريف التوراة والإنجيل
- ٤٠٦- قول القسيس: مخالفة المسلمين لنبيهم
- ٤٠٨- اتصال السند في كتب التوراة

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- تفسير القرطبي
- ٣- تفسير شيخ الإسلام فخر الدين الرازي
- ٤- تفسير ابن كثير
- ٥- تفسير الخازن
- ٦- التوراة والزيور والإنجيل (تراجم مختلفة)
- ٧- تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين
- ٨- تفسير السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم
- ٩- تفسير الإنجيل -لمتى هنرى أربعة أجزاء
- ١٠- الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي
- ١١- أقانيم النصارى بيان ونقد
- ١٢- إظهار الحق لرحمت الله الهندي
- ١٣- شرح الأحكام الشرعية فى التوراة تأليف نادى فرج درويش العطار
- ١٤- الهداية ٤ جزء تأليف المرسلون الأميركان بمصر ضد إظهار الحق وضد السيف الصقيل
- ١٥- تهافت الهداية ٤ جزء رد على كتاب الهداية تأليف نادى فرج درويش العطار
- ١٦- حروب الرد- تأليف نادى فرج درويش العطار
- ١٧- مقامع الصليبان ومراتع روضات أهل الإيمان للخزرجى القرطبي
- ١٨- نقد التوراة/ أسفار موسى الخمسة السامرية والعبرانية واليونانية -تأليف الدكتور أحمد حجازى السقا
- ١٩- إنجيل برنابا
- ٢٠- إنجيل الديداكى تحقيق وطبع الدكتور أحمد حجازى السقا